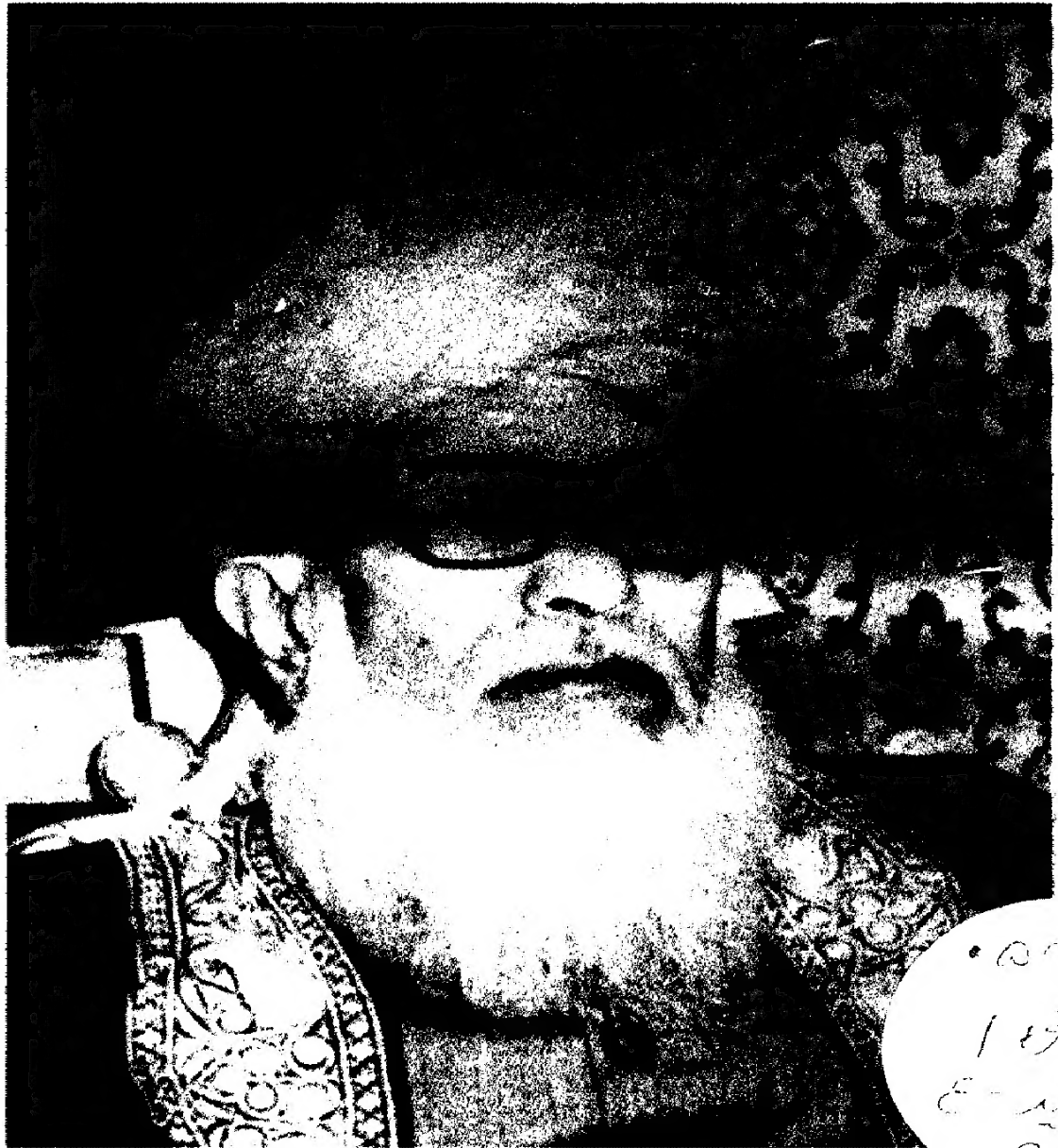


ثقافة الهند



الجلس السنوي للعلاقات الثقافية

مجلة علمية، ثقافية، جامعة، فصلية

ثقافة الهند

المجلد ٥٢ العدد ٤

٢٠٠١م

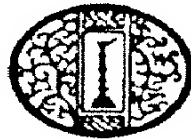
عدد ممتاز

عن

الشيخ أبي الحسن علي الحسيني الندوي

رئيس التحرير

س. ضياء الحسن الندوي



المجلس الهندي للعلاقات الثقافية

آزاد بوان، نيو دلهي

الهند

إن المجلس الهندي للعلاقات الثقافية منظمة حرة لوزارة الشؤون الخارجية للحكومة الهندية انشئت عام ١٩٥٠م لإنشاء و تنمية العلاقات الثقافية و التفاهم المتبادل بين الهند و البلدان الأخرى، و ضمن برنامج مطبوعاته ينشر المجلس، بين ها ينشر، عدة مجلات، ففي العربية "ثقافة الهند" و في الانكليزية "Indian Horizons" و "Africa Quarterly" و في الفرنسية "Rencontre Avec L'Inde" و في الاسبانية "Papeles de la India" و في الألمانية "Indien in der Gegenwart" في الهندية "Gagananchal" و كلها يصدر أربع مرات في السنة. و المراسلات المتعلقة بالاشتراك و دفع الثمن و بشؤون الطباعة و النشر توجه إلى:

The Programme Director (Pub.)
Indian Council for Cultural Relations
Azad Bhavan, Indraprastha Estate
New Delhi- 110002. (INDIA)

و حقوق جميع المقالات المنشورة في ثقافة الهند محفوظة فلايجوز نشرها بدون الإذن، و الآراء التي تحويها المقالات هي آراء شخصية للمساهمين و الكتاب و لاتعكس سياسة المجلس بالضرورة.

بدل الاشتراك للمجلات الصادرة عن المجلس كالاتي :

ثمن النسخة	الاشتراك السنوي	اشتراك ثلاثة أعوام
٢٥ روبية	١٠٠ روبية	٢٥٠ روبية
١٠ دولارات	٤٠ دولارا	١٠٠ دولار
٤ جنيهات	١٦ جنيها	٤٠ جنيها

نشرها وطبعها السيد هيماتشل سوم المدير العام للمجلس الهندي للعلاقات الثقافية۔
آزاد بوان، نيو دلهي ، الهند.

طبعت في مطبعة سائبرارت انفارميشنس براثيويت لميتيد

سي ٢، كانو تشامبار، سانول ناغر، نيو دلهي ١١٠٠٤٩۔

مجلة ثقافة الهند الفصلية

المجلد ٥٢ العدد ٤

٢٠٠١م

محتويات العدد

كلمة التحرير س. ضياء الحسن الندوي

(١) الشيخ الكبير أبو الحسن علي الحسن الندي

كيف تكونت شخصيته ٧ - ١

الأستاذ السيد محمد الرابع الحسن الندي

(٢) رباني الامة و داعية الإسلام العلامة الندوي ٢٨ - ٨

أ / د يوسف القرضاوي

(٣) لمحات و وقفات مع سيرة سماحة الشيخ الندوي ٤٨ - ٢٩

د / عنان علي رضا النحوي

(٤) فضيلة الشيخ السيد أبو الحسن علي الندوي ٥٦ - ٤٩

أ / د عبد الرحمن مومن

(٥) الشيخ أبو الحسن علي الحسن الندي عالم رباني جليل ٦٩ - ٥٧

الشيخ ضياء الدين الإصلاحي

- (٦) شخصية القرن العشرين
٧٠ - ٧٣
الشيخ وحيد الدين خان
- (٧) الشخصيات و الكتب التي أسهمت في بناء
شخصية الشيخ الندوي
٧٤ - ٩٥
الاستاذ أبو سحبان
- (٨) الشيخ أبو الحسن الندوي و حبه للإنسانية
٩٦ - ١٠٦
الاستاذ واضح رشيد الندوي
- (٩) العلامة السيد أبو الحسن الندوي و حبه للوطن العزيز
و أبناءه
١٠٧ - ١١٩
أ / محمد راشد الندوي
- (١٠) الشيخ أبو الحسن الندوي في تعريفه لمسلمي الهند
١٢٠ - ١٤٢
د / محمد ثناء الله الندوي
- (١١) دور سماحة الشيخ الندوي في حل قضايا المسلمين الهنود
١٤٣ - ١٥٣
د / جمشيد أحمد
- (١٢) الشيخ الندوي وقضايا الأمة العربية
١٥٤ - ١٦٢
د / عبد الحليم عويس
- (١٣) الشيخ الندوي حامل لواء العربية في القارة الهندية
١٢٦ - ١٧٣
الاستاذ محمد حسن بريغيش

- (١٤) النقد المعياري عند الشيخ أبي الحسن الندوي
١٧٤ - ١٩٥
/ د منجد مصطفى بهجت
- (١٥) آراء الشيخ أبو الحسن اللغوية
١٩٦ - ٢١٧
د/ محمد عبد السلام آزادي
- (١٦) الأدب الإسلامي و نقده عند الشيخ أبي الحسن الندوي
٢١٨ - ٢٥٩
الاستاذ بن عيسى باطاهر
- (١٧) أسلوب سماحة الشيخ الندوي للدراسات القرآنية
٢٦٠ - ٢٦٨
الاستاذ/ س. ضياء الحسن الندوي
- (١٨) موجز من منهج التراجم و معالم التجديد عند الشيخ الندوي
٢٦٩ - ٢٧٢
د/ الحسن العربي رحمون
- (١٩) سماحة العلامة السيد أبي الحسن الندوي و نماذج من أسلوبه
٢٧٢ - ٢٨١
/ د سعيد الأعظمي
- (٢٠) أدب الرحلة في كتابات الشيخ أبي الحسن
٢٨٢ - ٢٨٦
د/ سمير عبد الحميد إبراهيم
- (٢١) بعض الأساليب الأدبية العلمية لسماحة الشيخ الندوي
٢٨٧ - ٢٩٩
الاستاذ عميد الزمان الكيرانوي
- (٢٢) أبو الحسن الندوي - نظرة في كتابه ماذا خسر العالم
٣٠٠ - ٣٠٨
د/ محمد رجب البيومي

٢٢٠ - ٢٠٩ (٢٣) رجال الفكر و الدعوة في الإسلام دراسة تحليلية

أ / د محمد إجتباء الندوي

٢٢٨ - ٢٢١ (٢٤) نظرية الشيخ أبي الحسن الندوي عن الأدب

أ / د زبير أحمد الفاروقي

٢٣٥ - ٢٢٩ (٢٥) دراسة في كتاب العرب و الإسلام

أ / د شفيق أحمد خان الندوي

٢٤٥ - ٢٣٦ (٢٦) ماذا خسر العالم دراسة تحليلية

أ / د محمد أسلم الإصلاحي

٢٥٤ - ٢٤٦ (٢٧) دراسة في قصص النبيين للأطفال

د / أنيس الرحمن الدهلوي

٢٦١ - ٢٥٥ (٢٨) دراسة في كتاب المسلمون في الهند

د / حبيب الله خان

٢٦٩ - ٢٦٢ (٢٩) دراسة تحليلية لروائع إقبال للشيخ الندوي

د / عبد الماجد القاضي

٢٧٦ - ٢٧٠ (٣٠) السيرة النبوية لسماحة الشيخ الندوي

محمد فهيم اختر الندوي

كلمة التحرير:

هذا العدد الخاص من ثقافة الهند بنكرى فقيده الأمة الهندية و ضالة العالم الإسلامي الأستاذ العلامة الشيخ سيد أبي الحسن علي الحسنبي الندوي – تغمده المولى برحمات غواد رانحات – بين أيديكم أيها القراء الكرام، كانت ولا تزال نكرياته العطرة أمانة في أقلام الكتاب و المترجمين من معاصريه و تلاميذه البارزين فلم يضمنوا في أداء هذه الأمانة إلى الجيل المعاصر و الأجيال القادمة، فجزاهم الله عنا خير الجزاء، فقد صرت عشرات من الأعداد الخاصة للمجلات و الجرائد و الدوريات المحلية و الدولية تنكراً لتلك الشخصية الفذة، ليس في لغة واحدة بل في عديد من اللغات العالمية مثل العربية و الأرية و الهندية و الانكليزية و التركية و الفارسية و ما إلى ذلك.

إن الأستاذ أبا الحسن الندوي رحمه الله كان من خيرة الأبناء البارين الذين أنجبتهم الهند في مطلع القرن العشرين، أثرت شخصيته في كافة الجامعات العلمية و الثقافية بفضل عطاءاته النبيلة القيمة، استخدم لسانه و قلمه دائماً في صالح الإنسانية ببالغ من شعور المسؤولية و الأمانة و كف اللسان و القلم عن كل ما لا يعني و لا يفيد. كان يحمل في طياته قلباً خاشعاً نكياً و حساساً يتفاعل و يتأثر بكل ما تتعرض له الإنسانية في مشارق الأرض و مغاربها فكان يرضى و يرتاح بمنجزاتها كما يتألم و يحزن لمأسيتها و مراسبها إنه رأى الدنيا و تعامل معها كمزرعة للأخرة، لم يقدر لزخارفها – و لو لحظة – اغراء نفسه إليها فاستغنى عن زهوها و بهوها تمام الاستغناء حتى ألقت الدنيا بنفسها و نفيسها في قدميه ولكنه عاش فيها كغريب أو عابر سبيل و عمل

لحنياء كأنه يعيش أبداً و عمل لأخوته كأنه يموت غداً، أمطرت عليه الجواهر الغالية المحتوية على آلاف من الدنانير و الدولارات في مملكة الأردن الهاشمية و المملكة العربية السعودية و أبوظبي و دبي و الشارقة و بروناي، ولكن لم يصل فلس منها إلى بيته و أسرته بل و قسمها بين المعاهد و الجماعات التي تهتم بتحفيظ القرآن الكريم و نشر الدعوة الإسلامية و تحقيق المصالح الشعبية الاجتماعية، تشرف باستقباله و الترحيب به شرق الأرض و غربها و شمالها و جنوبها كما سعد العالم العربي و الإسلامي قريبه و بعيد به باستضافته المثالية و شهد اهتمامه بأعلاء كلمة الحق عند سلطان جائر أو شعب حائر، كأنه اكتشف من جديد عن خسارة العالم بالانحطاط المسلمين إذ كان العالم في غمرة من هذا السر المكنون و دعا الناس إلى اقتناء ميزات إنسانية حيث وجدت و مهما تيسرت و لم يفرق في هذا الأمر بين الشرق و الغرب أو الشمال و الجنوب، استلقت انتباه السكان الهنود بدون أن يفرق بين ديانة و ديانة أو حضارة و حضارة نحو الرسالة الإنسانية الخالدة و دعا الناس إلى وحدة الكلمة على أساس الأدمية.

استرعى اهتمام الكتاب و الأدباء و الشعراء إلى رسالة الأدب الإسلامي و نظريته الطاهرة الباهرة فلبى دعوته المخلصة عدد كبير من نوابغ الشعر و الأدب من أقصى الغرب إلى أقصى الشرق و دوى صوته الرنان في صميم العالم العربي. إنه علّم الهنود المسلمين أن يتمسكوا بشعائهم الدينية و الثقافية كائناً ما كان فإنها بمثابة أمانة في أعناقهم ليؤديها أسلافهم إلى أخلافهم كاملة غير منقوصة، لا مأروضة و لا متأكلة.

هذه كانت شخصية الأستاذ العلامة أبي الحسن علي الحسيني الندوي كان الشاعر العربي عنه إذ قال:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

بالمناسبة ساقصر عن واجبي إذا نسيت أن أقدم شكري و امتناني
الخالصين إلى الأستاذ الدكتور محسن العثماني رئيس القسم العربي بجامعة
لهي سابقاً و الدكتور نعمان خان رئيس القسم الحالي الذي تكرم علينا
بموافقته السخية على نشر حوالي عشر مقالات قدمت في ندوة خاصة حول
شخصية الأستاذ أبي الحسن خلال شهر مارس / آذار سنة ٢٠٠١م في هذا العدد
الممتاز كما تفضل بإذنه الكريم لنشر عدد لا بأس به من المقالات التي تم
تقديمها في ندوة خاصة أخرى حول سياحة الهنود في العالم العربي في عدد
سابق من مجلتنا. فليقبل منا القسم العربي بجامعة لهي و اساتذته ألف ألف
تحية و شكر لهذا التعاون على البر و على هذه المساعدة العلمية البارزة جزاهم
المولى القدير عنا خير الجزاء.

كما اشكر زملائي أعضاء هيئة التدريس بقسم اللغة العربية بالجامعة
الملية الإسلامية و جامعة نهرو و جميع المساهمين الذين شاركوا معنا في
إعداد هذه المجلة الخاصة.

و لا بد أن أذكر - ولو بإيجاز - ما سعدت به أسرة "الثقافة" من
توجيهات كريمة و توصيات يتعسر حصرها و تقديمها من أستاذنا و أستاذ الجيل
سماحة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي رئيس رابطة الأدب الإسلامي
العالمية لشبه القارة الهندية و منطقة جنوب شرقي آسيا الذي لم يسمح فقط
بنشر مقالته القيمة كفاتحة خير لهذا العدد الممتاز بل و تكرم باعطاء بعض
ما لديه من كتابات فحول الأدباء و المفكرين الإسلاميين العرب إزداد بفضلهم
هذا العدد وقاراً و اعتباراً، أفلا يجب إذن تقديم كل ما لدى من شاعر

الإستحسان و الشكر إلى هؤلاء العظماء عن طريق أستاذنا الجليل حفظه الله و أرجو من سماحته الإستمرار برعايته الكريمة و توجيهاته الرشيدة أكثر من ذي قبل فلن اتمكن من الإستغناء عنها رجاء و إيماناً بما وعدنا القدير على كل شيء بقوله عز و جل "لئن شكرتم لازيدنكم" فإنه لا يخلف الميعاد.

س. ضياء الحسن الندوي

الشيخ الكبير أبو الحسن علي الحسيني الندوي*

كيف تكونت شخصيته

بقلم: الأستاذ السيد محمد الرابع الحسيني الندوي

إن حياة العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسيني الندوي رحمه الله تعالى كانت حياة نمونجية للعلماء و العاملين في مجالات العلم و التعليم و التربية الاجتماعية، فقد طلب رحمه الله العلم حتى استوعب منه ما كانت تتطلبه حاجة حياته الذاتية و ما كان يفرضه عليه عصره للعمل في مجالات الحياة الاجتماعية، و العمل التربوي، و ما كانت تقتضيه حاجة الفكر الإسلامي المعاصر.

و قد ساعده في تحقيق كل ذلك عوامل مختلفة، و منها أولاً البيئة العائلية التي ولد و نشأ فيها، فقد كانت بيئة علم و ثقافة، كان جده مؤرخاً و أديباً، يدل على ذلك تأليفه لكتاب موسوعي في التاريخ في جانب، و ما تركه من مجموعة شعرية ظهر فيها براعته و نبوغه في جانب آخر، ثم جاء والده فصار على نفس الدرب من البحث و التأليف في التاريخ و بتوسع و إفادة أكثر، فقد ألف في تاريخ الرجال و في تاريخ الثقافة و العلم، و ألف كتاباً قيماً في تاريخ الشعر و نقده، و هي كتب تعد من المصادر في موضوعاتها، ثم كانت أمه من النابهات في شؤون التربية و الأدب، لها كتاب في تربية البنات، و لها مجموعة قصائد شعرية

* هذه مقالة قدمت في الندوة العلمية التي عقدها مركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية حول حياة و خدمات سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسيني الندوي بمدينة أوكسفورد في ٢/ سبتمبر ٢٠٠٠.

عبرت فيها عن آمالها في ولدها الوحيد، و ابتهالات و مناجات قرضتها بأسلوب هتين أخذ النفس.

و كان أقارب سماحته في مثل هذه الخصائص، فقد كانوا موصوفين بالثقافة و العلم و الآداب الرفيعة، فنشأت في سماحته ميول و أخلاق عالية، و لكن ما بلغ الشيخ تسع سنوات من عمره حتى توفي والده، و كان في مهنته طبيباً، و كانت مهنته هذه وسيلة وحيدة لكفالتة و كفالة عائلته، و كان له أخ يكبره سناً و لكنه لم يكن وصل بعد إلى درجة التفرغ للعمل فقد كان طالباً في المرحلة العالية، فوق عبء اقتصادي ثقيل على العائلة، و صبرت العائلة عليه، و أثبتت أم الشيخ رحمه الله تعالى صبراً و رزانةً و اهتماماً بأن يشب ولدها اليتيم على شمائل الشرف و مكارم الأخلاق، و على الهمة و العزيمة و الجد، و قامت عملياً بتربيته عليها كما يدل على ذلك رسائلها التوجيهية التي كانت ترسلها إليه من القرية التي تسكنها إلى المدينة التي كان يقيم فيها ولدها العزيز للتعليم الثانوي العالي، و لقد ساعد الوضع القاسي الذي واجهه الشيخ رحمه الله تعالى في هذه المرحلة من صغر سنه مع يتمه و زهادة اقتصاده في نمو مؤهلاته الفطرية لمواجهة الشدة و لتنمية ملكاته البناءة من جد و احتمال و من اعتماد على الله ثم على نفسه، فاشتغل بالدراسة بجد و اهتمام بالاستفادة مما تركه والده الجليل من تراث علمي و منهج عملي و خلق نبيل، و ساعده في ذلك أخوه الأكبر كل المساعدة، و اهتم بتنمية مؤهلاته الفكرية و حفزه على توسعة معرفته العلمية بمؤهلاته الفردية المحدودة، و هو نشأ و تربى على والده العظيم، و من هنا نشأت في سماحة شيخنا رحمه الله تعالى السعة في الفكر و الالتزام بالقيم و الحب لتوسعة معارفه العلمية، فاهتم بدراسة لغته و اللغة الأجنبية كذلك.

هذا بالنسبة إلى ما حصل له من بيئته العائلية، أما في بيئة أوسع من هذه البيئة و هي البيئة التعليمية و الاجتماعية العامة فقد حصلت له من طراز خاص أيضاً، كان فيها سعة النظر أكثر و اعتدال الفكر و جامعية علمية و ثقافية، و ذلك لما كان قد توصل إليه طائفة من العلماء في عصر قبيل ميلاده و رجال الثقافة و العلم معهم بعد اطلاعهم على أوضاع المسلمين المختلفة و رقي الغرب و قوته و استيلائه على الشرق إلى ضرورة إنشاء منظمة و جامعة تقومان بالجمع بين الثقافتين: الثقافة الإسلامية القيمة و الثقافة المفيدة للحياة الجديدة، و بين المنهجين للتعليم و التربية: المنهج الديني الماثور و المنهج العلمي الجديد، و هي منظمة ندوة العلماء و جامعتها دار العلوم التابعة لها، و بذلك أحدثوا بيئة علمية ثقافية جامعة بين القديم و الجديد، أخذوا فيها من القديم الموروث ما يلزم و ما يُفتقر إليه للمحافظة على القيم الدينية الصالحة، و أخذوا من الجديد ما ينفع في تأهيل الجيل الصاعد لمسايرة الشعوب الراهنة، و المساهمة في إنجاز الأمر الذي يخرج الأمة من غفوتها السائدة، فقد رأوا الغزو العلمي و السياسي للغرب، فوجدوا أن الانفتاح العلمي لابد منه لتربية الأجيال الصاعدة، فقرروا في المنهج التعليمي ما يلزم من العلوم الاجتماعية و الإنسانية و من اللغات، و سمحوا بدراسة العلوم الطبيعية ما يزيل هذا التخلف المخزي.

و كان والد سماحته من أوائل من حملوا مسئولية إدارة منظمة ندوة العلماء و قام بتنفيذ المشروع التعليمي الجديد، و قد كان واسعاً في النظر عارفاً لمقتضيات الحياة العزيزة للمسلمين في الظروف الراهنة مع محافظة على الدين و القيم الأصيلة، و بناءً على ذلك سمح لنجله الأكبر أخي سماحته أن يقوم بعد إتمامه لدراسة العلوم الإسلامية بأن يوسع معارفه العلمية، و يدرس

الجيد منها، فتعلم اللغة الانجليزية، و درس العلوم الطبيعية إلى أن نال شهادة ليسانس فيها بامتياز، ثم التحق بكلية الطب، و أتم الدراسة فيها أيضاً بامتياز.

ثم إن زوجته أم سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسيني الندوي، كانت متصفة بصفات ممتازة، إنها كانت أديبة شاعرة و خبيرة في تربية البنات مع الصلاح الديني و التقوى و العبادة التي كانت ممتازة فيها بين عضوات أسرته، فنشأ سماحة الشيخ الندوي في بيئة هذا البيت و في بيئة ندوة العلماء، فحصلت له مؤهلات متعددة و خصائص متنوعة، فشب على الصلاح و التقوى، و تخصص في أصول الدين و العلوم الإسلامية و تعلم اللغة الانكليزية، أما الشغف بالتاريخ فقد ورثه من والده العلامة و امتاز فيهما، و استعمل معرفته للغة الانجليزية للاطلاع على تاريخ أوربا و أخلاقها، و الوسائل المجدية لها في تقدمها و استيلائها على الشعوب المتأخرة علمياً و سياسياً، كما أن مكانة والده العلمية و الدينية بين معاصريه هيات لولده الشيخ أبي الحسن أسباب المعرفة لرجال عصره و ميزاتهم، و استغل الشيخ رحمه الله معرفته هذه في تقربه إلى عظمائهم في العلم و الدين، و تتلمذ عليهم، و استفاد منهم، و بذلك أصبحت شخصيته جامعة لميزات و خصائص متنوعة.

كانت أمه التقية، و كان أخوه الصالح يتمنيان من البداية أن تكون سيرته على مستوى سيرة السلف من صلاح و تقوى و إخلاص و مكارم الأخلاق، فأشارا عليه به، و بناءً على ذلك زار العلماء و الصالحين من عباد الله في عهده، و اكتسب منهم قسطاً كبيراً من حسن الطوية و الزهد في الدنيا، و الإخلاص في العمل، و الاحتساب، و إيثار خير الآخرة على خير الدنيا، و التواضع لله و حسن الخلق مع الناس، كما ساقته مطالعته و قراءته إلى التقدير لما قام به العلماء السلف من تجديد الفكر الإسلامي في أزمان مختلفة، و لما قام به أهل العزيمة

و العمل منهم من حركات إصلاحية تريبوية، و كان له مثلاً محبوباً في ذلك أحد أجداد أسرته بصورة عامة، و هو المصلح المجاهد الكبير السيد أحمد بن عرفان الذي كان قد قام بحركة إصلاحية جبارة، و أصلح ألفاً من الناس في شبه القارة الهندية، و قد قرأ سماحته في أوائل عمره السيرة النبوية بشوق و رغبة، و كان تآثر بها تآثراً عظيماً و دخل ذلك الأثر في نفسه، و رسخ فيها، فكان مصداقاً لقول القائل:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا

و إن أهم ما تآثر به سماحته في مطالعته الأولى شعر الدكتور محمد إقبال الذي مجّد بشعره السلف الصالحين الأولين لبطولاتهم و خصائص سيرتهم العملاقة، و كذلك شعر الشاعر الناقد للحضارة الغربية و فكرها الإباحي الشاعر الكبير أكبر الإله آبادي، و كان رجلاً مثقفاً الثقافة الانكليزية، و كان شاعراً بارعاً في التعبير و التأثير، و مطالعة الشيخ رحمه الله لشعر هذين الشاعرين زادت من اعتزازه بعظمة أسلاف الإسلام و روعة سيرهم و أعمالهم، كما علم عن الحضارة الغربية ما امتازت به و فاقت في تطوير وسائل الحياة، و الذي يتطلب الاستفادة من منجزاتها المادية النافعة، و لكنه علم مع ذلك ما منيت به من الخواء الروحي، و فقر في القيم الإنسانية المشرفة، ثم إن مطالعته في أمهات كتب الفكر الإسلامي و الشريعة الإسلامية لعظماء المفكرين القدامى مثل شيخ الإسلام ابن تيمية، و ابن القيم، و ابن الجوزي و غيرهم، و مجدي الفكر الإسلامي في الهند مثل مجدد الألف الثاني الشيخ أحمد السرهندي، و مثل الشيخ الإمام ولي الله الدهلوي قد كوّنت في نفس شيخنا الاعتراف بعبقريّة الفكر الإسلامي و جدارته لهداية الحضارة و المدنية كذلك.

فهذا كله نجده في مؤلفات الشيخ بتعبيره القوي و عرضه الممتع، و يمثل فكره و نظرتة إلى الحياة في الجانب الأول كتاباه: "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" و "بين المدنية الغربية و المدنية الإسلامية"، و يمثل علمه و معرفته الحقيقة للشعرية الإسلامية كتاباه: "الأركان الأربعة" و "النبوة و الأنبياء"، و يمثل نظرتة التربوية و الأخلاقية كتاباه: "ربانية لا رهبانية"، و "بين الإيمان و المادية"، و يمثل تأثره بالشخصيات الإسلامية العملاقة من تاريخ الإسلام كتابه "رجال الفكر و الدعوة في الإسلام" و كتبه في سير نخبة من الشخصيات الإسلامية الممتازة، أما الذين استفاد منهم استفادة أكبر و تخلق بخلفهم من الشخصيات الإسلامية الكبرى شخصية أسرته العملاقة السيد أحمد بن عرفان، و شخصية الإمام أحمد بن حنبل، و المجدد للآلف الثاني الإمام السرهندي، و الإمام ولي الله الدهلوي، و قد ذكرهم في محاضراته و رسائله الإصلاحية و التوجيهية المختلفة الكثيرة، و ظهر اتباعه لمنهجهم في الدعوة و العمل في منهجه عند لقائه للحكام و الولاة و إسداء النصح إليهم بكل إخلاص و مودة مع الزهد فيما في أيديهم.

و قد امتاز سماحته بميزتين يصعب الاتصاف بهما على الناس، و قد زادت هاتان الميزتان في تأثير شخصيته و تحببه لدى الناس، و هما أولاً الصبر على أذى الناس و احتمال به بطلاقة الوجه، و عدم انتقامه من المسيء إليه بل معاملته معه رغم ذلك بإسداء الخير و مكارم الأخلاق، و الميزة الثانية هي رعاية من يساعده أو يشاركه في العمل، فكان يعامله معاملة جد كريمة، و لم يكن يجفوه بقدر المستطاع، فنادرأ ما هجر مساعداً له أو أبعد عنه، و كان يجمع بين أصدقاء الناس و يستفيد من كل واحد منهم من صلاحياته حتى المختلفين

عدد ممتاز

عنه في المنهج العملي و الاتجاه النظري، و بذلك كان يتفق عليه آراء الناس و يجتمعون حوله كما لا يجتمعون على غيره.

و بذلك ظهرت شخصية العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي شخصية فذة، اعترف بها الناس في أنحاء العالم الإسلامي كله، و عدوا وفاته خسارة عظيمة في مجال الحق، و الفضيلة و الخير الإنساني، و عدوا وفاته سبباً لخلو مكانه في عدد من الجمعيات و الجامعات و المراكز الثقافية و التربوية و العلمية، و ظنوا أنهم لا يجدون لمكانه فيها بديلاً يساويه و يجدي مثل جواه، رحم الله الشيخ أبا الحسن فقيده كلمة الحق و الفضيلة و الخير الإنساني، و فقيده العلم و الفكر و الأدب النافع.



رباني الأمة و داعية الإسلام العلامة أبو الحسن الندوي

بقلم: أ. د. يوسف القرضاوي

وقدر الله عليّ أن أنعى إلى أمتنا الكبرى الاعلام، بالحديث عن مناقبهم و آثارهم في حياة الأمة، بالكتابة في الصحف، أو بالكلام عنهم في برنامجي "الشريعة و الحياة" في قناة الجزيرة الفضائية في قطر، و برنامجي الآخر "المنتدى" في قناة أبوظبي الفضائية، و ذلك وفاء ببعض حقهم علينا، و كذلك حق الأجيال الصاعدة أن تعرف قدر هؤلاء الاكابر، و ما أدوه لدينهم و أوطانهم، طوال حياة عامرة بالخير، فياضة بالبذل و العطاء.

فلا غرو أن أتحدث عن شيخنا الندوي ببعض ما يستحقه، مقتبساً من بعض ما كتبته عنه في حياته رحمه الله و غفر له، و تقبله في الصالحين.

و كيف لا أتحدث عن هذا الإمام الرباني الإسلامي القرآني المحمدي، و هو أخي و شيعي و حبيبي رضي الله عنه و أرضاه،

أما أنه (رباني) فلان السلف أجمعوا على أن الرباني هو الذي يعلم و يعمل و يعلم، فمن علم و لم يعمل بما علم فليس برباني، و علمه حجة عليه، و هو من العلم الذي لا ينفع، و هو مما استعاذ منه الرسول صلى الله عليه و سلم: "اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، و من قلب لا يخشع..." و من علم و عمل، ولكنه لم

يعلم غيره، ولم يدع الآخرين، فليس برباني، فقد قال الله تعالى: [و لكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب* و بما كنتم تدرسون] و من علم و عمل و علم فذلك هو الرباني الذي يدعى عظيماً في ملكوت السماء: [و من أحسن قولاً ممن دعا إلى الله* و عمل صالحاً* و قال: إنني من المسلمين].

و كلمة (الربانية) هي الكلمة التي اختارها الشيخ أبو الحسن ليعبر بها عن (التركيبية) التي عني بها القرآن الكريم، و جعلها شعبة أساسية من مهمة الرسول صلى الله عليه و سلم، و عن مقام الإحسان الذي بينه الرسول الكريم صلى الله عليه و سلم بقوله: " أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه، فإنه يراك" و ذلك في كتابه القيم المعبر (ربانية لا رهبانية) يريد به السلوك الخالص لوجه الله، السالم من البدع و من المبالغات في الاعتقاد أو السلوك.

و أما أنه (إسلامي) فلأن الإسلام لحمته و سداه، و مبتدؤه و منتهاه، و أدناه و أقصاه، إليه يسعى و عليه يدور، وله يعمل، و به يعتصم، و منه يستمد، و عند يصدر، و فيه يحب و يبغض، و من أجله يكتب و يصنف، و يدرس و يحاضر، و يسافر و يقيم، و يصل و يقطع، فهو شغله في نهاره، و حلمه في ليله، و زاده في سفره، و أنيسه في إقامته، فهو بالإسلام و للإسلام، و من الإسلام و إلى الإسلام.

قضايا الأمة:

إن الذي يشغل عقله و قلبه و وقته باستمرار هو الإسلام: رسالته و حضارته، و انبعاثه و صحوته، و قضايا أمته، و هجمة أعدائه، و أعظم ما يهمه هو تقوية الجبهة الداخلية في مواجهة الغزوة الخارجية، هو تربية الفرد، لأنه اللبنة الأساسية في بناء الجماعة، هو تغيير ما بالنفس حتى يغير الله ما بالأمة: [إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم].

و أما أنه (قرآني) فلأن القرآن هو مصدره الأول، منه يستمد، و عليه يعتمد، و به يأنس، يتعبد بتلاوته، و يتلذذ بقراءته، و يعيش في رحابه، متجاوباً مع آياته، و متدبراً لمعانيه، يستخرج منه اللآلي و الجواهر، يعرضها في محاضراته و كتبه و رسائله، بعقل متفكر، و قلب متأثر، يشهد بذلك كله من استمع إليه محاضراً، أو قرأ كتبه الكبيرة أو الصغيرة، فهو رجل القرآن حقاً.

و أما أنه (محمدي) فلا أعني مجرد أنه من نسل الرسول الكريم صلى الله عليه و سلم، و من السلالة الهاشمية الحسنية، فكم من حَسَنِيِّين و حُسَيْنِيِّين تناقض أعمالهم أنسابهم (و من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه)، و إنما أعني أنه رجل جعل الرسول الكريم صلى الله عليه و سلم أسوته في هديه و سلوكه و حياته كلها، و اتخذ سيرته نبراساً له، في تعبده و زهده، و إعراضه عن زخارف الحياة، و زينة الدنيا، فهو يعيش في الخلف عيشة السلف، لا يهتم بما يهتم به أمثالنا من متاع و تملك و رياس و زينة، تحسبه إذا رأيته سلمان الفارسي أو أبا الدرداء.

و حديثه عن الحبيب المصطفى صلى الله عليه و سلم ليس محض حديث باحث دارس، بل حديث محب عاشق، معجب بهذه الشخصية الضخمة الفريدة، شخصية محمد بن عبد الله، و ليس هذا في كتابه القيم: "السيرة النبوية" فقط، بل في سائر كتاباته و محاضراته و أحاديثه المعبرة عن هذا الإعجاب، و هذا الحب، و هذا التأسي، و هي - كلها - نابعة من فهمه لهذه الحياة النبوية الشامخة، و هضمه لهذه السيرة الجامعة، و تنوقه لما فيها من معاني الكمالات التي فرقها الله تعالى في البشر و جمعها في مصطفىاه محمد صلى الله عليه و سلم.

و أما أنه (عالمي) فهذا ما يلمسه كل منتبج لنشاط الشيخ العلامة، فهو – وإن كان هندي المولد و النشأة و الحراسة – عالمي الوجهة و الغاية، عالمي النشاط و الحركة، و هو – و إن اهتم بالمسلمين في الهند، و شارك في همومهم، و تصدر الصفوف أحياناً في تلك، كما في قوانين الأحوال الشخصية، التي أرادت الحكومة الهندية يوماً أن تفرض على المسلمين فيها ما يحرمهم من خصوصيتهم – لا يقتصر همه و لا نشاطه على القارة الهندية، بل يمتد إلى العالم كله، و لذا نجد شهرة الشيخ في العالم العربي لا تقل عن شهرته في الهند، و نجد الشيخ عضواً في أكثر من مجلس، و أكثر من مؤسسة، مثل المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، و المجلس العالمي الأعلى للمساجد، و مجلس المجمع الفقهي للرابطة، و المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية بالأردن، و المجمع العلمي بدمشق، و هو الذي سعى لإنشاء مركز "أوكتافورد" للدراسات الإسلامية، ليكون نقطة انطلاق للفكر الإسلامي في جامعة غربية عريقة، و هو الذي يرأس مجلس أمنائه منذ انشئ، كما أسهم في إنشاء "رابطة الأدب الإسلامي" لتكون منبراً عالمياً لأدباء الإسلام، و هو رئيسها منذ أنشئت أيضاً، و من قرأ عناوين محاضرات الشيخ و رسائله و أحاديثه، و أين ألقيت؟ و إلى من وجهت؟ يعرف هذه العالمية بوضوح، فهناك أحاديث إلى العرب، و أحاديث صريحة في أمريكا، و هناك جملة (إسمعيات) – إذا صح هذا الجمع – و هي الرسائل التي وجهها إلى البلاد التي زارها ناصحاً لها و مشفقاً عليها: اسمعي يا مصر! اسمعي يا زهرة الصحراء! (يعني الكويت)، اسمعي يا إيران... إلخ.

أخوة الإسلام:

و أما أنه (أخي) فقد ربطت بيني و بينه (أخوة الإسلام) الذي يربط بين الأكبر و الأصغر من أبنائه: [إنما المؤمنون أخوة]، و: "المسلم أخو المسلم"،

و: "أخوة العلم"، و العلم رحم بين أهله، و "أخوة الدعوة"، و الدعوة رابطة بين الدعاة، و إن بعثت الدار، و شط المزار، و "أخوة المحنة"، و أعني المحنة بهموم الأمة، و ترشيد الصحة، و تفرق العلماء و توحد الأعداء، و هجمة الخصوم، و ضعف المقاومة، و فساد الحكام، و غفلة الجمهور، و ترف الأغنياء، و شغل الدعاة أتباعهم بالفروع عن الأصول، و الجزئيات عن الكليات، و بالشكل عن الجوهر، و بأعمال الجوارح عن أعمال القلوب.

و أما أنه (شيخ) فلاني تتلمذت على كتبه، و انتفعت بها، و اقتبست منها، و نقلت عنها في أكثر من كتاب لي، و كل كتاب فيها له طعم خاص، و مذاق معين، و فكرة محورية يدور عليها، و لا أجد داعية من الدعاة المعاصرين، و لا مفكراً من مفكرينا المعتبرين إلا استفاد من كتب الشيخ، و اقتبس منها، الشهيد سيد قطب، الداعية الكبير الشيخ محمد الغزالي، العالم الاديب الكبير الشيخ علي الطنطاوي... و غيرهم.

بل إنني تتلمذت عليه مباشرة باللقيا و السماع منذ لقيته في سنة ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م في مصر، و كلما لقيته بعد ذلك، فهو - حفظه الله - قدوة في حركته، و قدوة في سكونه، قدوة في كلامه، و قدوة في صمته.

أذكر أنه حينما زارنا منذ أكثر من ثلاثين عاماً في قطر، و كان يشكو من قلة موارد (دار العلوم) بندوة العلماء، اقترح عليه بعض الإخوة أن نزور بعض الشيوخ و كبار التجار، نشرع لهم ظروف الدار و نطلب منهم بعض العون لها، فقال:

لا أستطيع أن أفعل ذلك! و سألناه: لماذا؟ قال: إن هؤلاء القوم مرضى، و مرضهم حب الدنيا، و نحن أطباؤهم، فكيف يستطيع الطبيب أن يداوي

عبد ممتاز

مريضه إذا مد يده إليه يطلب عونه؟ أي يطلب منه شيئاً من الدنيا التي يداويه منها؟!

قلنا له: أنت لا تطلب لنفسك، أنت تطلب للدرس و معلميها و تلاميذها حتى تستمر و تبقى.

قال: هؤلاء لا يفرقون بين ما تطلبه لنفسك و ما تطلبه لغيرك، ما دمت أنت الطالب، و أنت الأخذ!!

و كنا في رمضان، و قلنا له حينذاك: ابق معنا إلى العشر الاواخر، و نحن نقوم عنك بمهمة الطلب، فقال: إن لي برنامجاً في العشر الاواخر، لا أحب أن أنقضه أو أتخلي عنه لأي سبب، إنها فرصة لأخلو بنفسي و ربي.

و عرفنا أن للرجل حالاً مع الله، لا تشغله عنه الشواغل، فتركناه لما أراد، محاولين أن نقلده، فلم نستطع، و كل ميسر لما خلق له.

أما أنه (حبيبي) فأشهد أي أحبه، و أرجو أن يكون حياً لله تعالى، فقد أحببته لتجرده و إخلاصه و ربانيتها، و أحببته ليقينه و توكله و قوته، و أحببته لتحرقه و توقده و غيرته، و أحببته لاعتداله و سيطرته، أحببته لنقاء فكره من الخرافة، و صفاء قلبه من الحسد، و سلامة عقيدته من الشوكيات، و سلامة عبادته من المبتدعات، و نظافة لسانه من الطعن و التجريح، بالتصريح أو التلويح، أحببته لانشغاله بالقضايا الكبيرة عن المسائل الصغيرة، و بالحقائق عن الصور، و بالمعنى عن المبنى، و بالعمق عن السطح.

أحببته لحسن خلقه و سهولته، أحببته لحياته، و رقة طبعه و دماثته.

لست وحدي:

و إني لا تقرب إلى الله تعالى بحبه، و أرجو أن أحشر معه: [مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين* و حسن أولئك رفيقاً].

و إني أتمثل هنا بقول الشاعر الصالح:

أحب الصالحين و لستُ منهم عساني أن أنال بهم شفاعنة

و أكره من بضاعته المعاصي و إن كنا سواء في البضاعنة!

و لست أنا وحدي الذي يحب الشيخ الجليل، فأحسب أن كل من عرفه و اقترب منه أحبه على قدر معرفته به، و قربه منه، و كلما ازداد منه قرباً، ازداد له حباً.

و لا غرو أن يختلف الناس على أشخاص العلماء، و لكنهم يتفقون على أبي الحسن، حتى الذين ليسوا من مشربه، و لا على طريقته، لا يملكون إلا أن يختاروه في مجامعهم، لما خصه الله به من مزايا قل أن توجد في غيره: [و الله يختص برحمته من يشاء* و الله ذو الفضل العظيم].

عرفت الشيخ أبا الحسن منذ أربعة و أربعين عاماً، حين زارنا في مصر، أول ما خرج من وطنه في الهند، و أراد أن يتحرك إلى العالم من حوله، فكانت زيارته لمصر ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م.

و كنت وقتها طالبا في كلية أصول الدين، مشغولاً بدعوة الإخوان المسلمين، مستولاً عن طلبة الإخوان في جامعة الأزهر، مع أخي أحمد العسال، و عدد من الإخوة الكرام، و أخطب الجمعة في مسجد بمدينة المحلة الكبرى –

عدد ممتاز

القريبة من قريتي - و كنت قد قرأت كتاب: "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟" الذي نشرته (لجنة التأليف و الترجمة و النشر) التي يرأسها الأستاذ الكبير أحمد أمين رحمه الله.

و قد أعجبت بالكتاب، و دللت عليه بعض الاصدقاء ليقرؤوه، و إن كنت لا أعرف عن صاحبة شيئاً إلا أنه عالم هندي مسلم، و قد كتب الأستاذ أحمد أمين مقدمة للكتاب، و لكنه لم يوف صاحبه حقه كما ينبغي.

و لكن الكتاب نظرة جديدة إلى التاريخ الإسلامي، و إلى التاريخ العالمي من منظور إسلامي، و هو منظور عالم مؤرخ مصلح داعية، يعرف التاريخ جيداً، و يعرف كيف يستخدمه لهدفه و رسالته.

و قد ساعده على ذلك معرفته باللغة الإنجليزية، كما ساعده الحس النقدي، و الحس الحضاري، و الحس الدعوي، و الحس الإصلاحى، - و كلها من مواهبه - على تقييم هذه النظرة الجديدة من خلال كتابه الفريد.

اتصل بي بعض الإخوة الهنود الذين يدرسون في مصر، و قالوا لي: هل تعرف الأستاذ أبا الحسن الندوي؟ قلت لهم: أليس هو صاحب كتاب: "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟"، قالوا: بلى، قلت: و ما شأنه؟ قالوا: سيصل إلى القاهرة يوم كذا، قلت: أرجوكم أن توصلوني إليه بعد حضوره.

و ما هي إلا أيام حتى حضر الشيخ، و معه اثنان من إخوانه و رفقائه الندويين، أحدهما: الشيخ معين الندوي، و الثاني: نسيبت اسمه.

لا ينزل في الفنادق:

كان الشيخ و من معه يسكنون في شقة متواضعة في رقاق من أزقة شارع الموسكى بحي الأزهر، فالشيخ لا يقدر على سكنى الفنادق، و لا يحبها - حتى

و إن قدر عليها – و في اجتماعات مجلس الرابطة بالمملكة يدع الفنادق التي ينزل فيها الضيوف – و هي من فنادق الدرجة الاولى – و ينزل عند بعض إخوانه.

كما أنه يرفض النزول ضيفاً على بعض الكبراء من الاغنياء و الموسرين، لعل ذلك للشبهة في اموالهم، أو لئلا يكون أسيراً لإحسانهم.

كان الشيخ حين زار مصر في شرخ الشباب، لحينته سوداء، و وجهه نضر، و عزمه فتي، و روحه و ثابة، و غيرته متوقدة، كان يحمل حماس الشباب، و حكمة الشيوخ، يحمل فكر العالم الموفق، و قلب المؤمن الغيور في آن واحد.

ذهبت لزيارة الشيخ في مسكنه المتواضع أنا و أخي و صديقي و رفيقي – محمد الدمرداش مراد رحمه الله – رفيقي في الدراسة، و رفيقي في الدعوة، و رفيقي في المحنة، و رفيقي في السكن، و دعواناه إلى بيتنا في شبرا، ليلتقى ببعض إخواننا من شباب الازهر الملتزمين بالدعوة في صورة ما يسميه الإخوان (كتيبة) و هو تعبير عن ليلة جماعية تُقضى في العلم و العبادة و الرياضة، و قليل من النوم، و كان الشيخ حريصاً على أن يستمع منا، كما نستمع إليه، فكان يسأل عن حسن البناء، و كلامه و طريقته، و مواقفه و تصرفاته في الأمور المختلفة، كبيرة كانت أو صغيرة، مما كَوّن معه فكرة عن الشيخ البناء، و أنه كان (إماماً ربانياً) بحق، و لم يكن مجرد زعيم يطالب بحكم إسلامي، بل كان قبل كل شيء (مربياً) يريد أن ينشئ للإسلام (جيلاً جديداً)، يحسن الفهم له، و الإيمان به، و الالتزام بتعاليمه، و الدعوة إليه، و الجهاد في سبيله.

و تكرر لقاءنا معه، و لقاءه معنا، نحن شباب الدعوة الإسلامية (أنا و الاخ أحمد العسال، و الاخ الدمرداش و آخرون).

كانت أيام الشيخ أبي الحسن في مصر أياماً خصبة مباركة، لا يكاد يخلو

عدد ممتاز

يوم منها عن محاضرة عامة يدعى إليها، أو درس خاص يرتب له، أو لقاء خاص يعدّ له.

ألقى محاضرة تحت عنوان: "المسلمون على مفترق الطرب" في دار الشبان المسلمين على ما أذكر، و ألقى محاضرة عن: "محمد إقبال" شاعر الإسلام في الهند في كلية دار العلوم، كان له تأثيرها و دويها، و الشيخ من المعجبين بشعر إقبال، و يحفظ منه الكثير الكثير، و قد أخرج كتاباً عنه بعنوان: "روائع إقبال".

التقى الشيخ في القاهرة بكثير من العلماء و الدعاة و المفكرين، و سجل عنهم ملاحظاته الدقيقة في كتابه الذي أصدره بعد رجوعه: مذكرات سائح في الشرق العربي.

التقى بالأديب الكبير الناقد الشهيد سيد قطب، و أعجب به الشهيد، و كتب مقدمة أخرى لكتابه: "ماذا خسر العالم...؟" أنصف فيها الكتاب و صاحبه، و قدره حق قدره.

و التقى كثيراً بالشيخ محمد الغزالي، و رافقه في بعض رحلاته الدعوية، و أعجب كل منهما بصاحبه، و كتب عنه الشيخ في (مذكراته) تلك.

و أذكر أن الشيخ الندوي كان قد اصطحب معه عدة رسائل من أوائل كتاباته الإسلامية الدعوية، و هي جملة رسائل تعبر عن حس رقيق و فكر عميق، و بيان أنيق، و عن رهافة الحاسة الأدبية، و عمق الحماسة الروحية عند الشيخ.

و أذكر أن الشيخ الغزالي قرأها و منها رسالتان: إحداهما: من العالم إلى جزيرة العرب، و الأخرى: من جزيرة العرب إلى العالم، و فيهما يستنطق الشيخ

ما يريده العالم من الجزيرة من الهدى و دين الحق، و هو ما قدمته الجزيرة قديماً للعالم، و ردّ الجزيرة على هذا التساؤل.

قال الغزالي معقّباً: هذا الإسلام لا يخدمه إلّا نفس شاعرة محلقة، أما النفوس البليدة المطموسة فلا حظ لها فيه!

لغة جديدة:

لقد وجدنا في رسائل الشيخ لغة جديدة، و روحاً جديدة، و التفاتاً إلى أشياء لم نكن نلتفت إليها، إن رسائل الشيخ هي التي لفتت النظر إلى موقف ربعي بن عامر رضي الله عنه بين رستم قائد الفرس و كلماته البليغة له، التي لخصت فلسفة الإسلام في كلمات قلائل، و عبرت عن أهدافه بوضوح بليغ، و إيجاز رائع: إن الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، و من ضيق الدنيا إلى سعتها، و من جور الأديان إلى عدل الإسلام، أبو الحسن الندوي – فيما أعلم – هو أول من نبهنا إلى قيمة هذا الموقف، و هذه الكلمات، ثم تناقلها الكاتبون بعد ذلك و انتشرت.

و قد لقي الشيخ أستاذنا البهي الخولي، و قد أعجب به الأستاذ البهي غاية الإعجاب، و سجل ذلك في رسالة سطرها إليه، كما لقي الأستاذ صالح ع شماوي و غيره من قادة الإخوان، و جلس إليهم و تحدث معهم حديثاً نشره في رسالة بعد ذلك، عنوانها: أريد أن أتحدث إلى الإخوان المسلمين.

و لقي كذلك أستاذنا العلامة الدكتور محمد يوسف موسى، و قد كتب له مقدمة لكتابه: "ماذا خسر العالم؟".

كما لقي الأديب الداعية الشيخ أحمد الشرباصي، الذي سجل معه مقابلة عن سيرته نشرت في مقدمة: "ماذا خسر العالم؟"، و مما ذكره في هذه

المقابلة: أنه سئل عن أغرب ما رآه في مصر؟ فكان جوابه: أني وجدت العلماء حليقي اللحي! ولا ريب أن هذه صدمة شديدة لعالم لم ير في حياته في وطنه عالماً واحداً حليقاً، وحلق اللحي عندهم من شأن المتفرنجين، و البعيدين عن الدين، أما أن يكون هذا هو الطابع العام للعلماء في بلد، فهو الشيء الغريب! ومن العجب أن بعض شيوخ الأزهر المتحمسين لإعادة الأزهر إلى مكانته القديمة يحاولون أن يفرضوا على الطلبة لبس العمامة، و هي مجرد تقليد! ولا يفكرون أن يفرضوا عليهم إطلاق اللحية، و هو سنة إسلامية بلا ريب!

و لم يكتف شيخنا بالنشاط و الحركة في مدينة القاهرة على سعتها، بل امتد إلى مدن أخرى، سمعت بالشيخ فدعته إلى زيارتها و لقاء الجمهور المسلم فيها.

و من ذلك: مدينة (المحلة الكبرى) التي كنت أخطب في أحد مساجدها، و قد دعاه إليها الدكتور محمد سعيد – رحمه الله – رئيس الجمعية الشرعية بمدينة المحلة، و هو طبيب أسنان معروف، نذر حياته لإحياء السنة، و الدعوة إلى الله على طريقة (إخواننا في الجمعية الشرعية) و قد عرف الشيخ أن بينه و بين الإخوان شيئاً، فهو يأخذ عليهم أنهم لا يلتزمون بالآداب التي يلتزمون بها هم من إعفاء اللحية، و إحفاء الشارب، و إرخاء العذبة، و إطالة الصلاة، و قال الشيخ للدكتور: إن دعوة الإخوان دعوة عامة، مهمتها أن تجمع الجماهير على الأصول الكلية للإسلام، ثم تربيتهم بالتدريج على الآداب الخاصة، و لا بد أن يكون في الأمة المنهجان: النهج العام للإخوان، و النهج الخاص كالجمعية، و استراح الدكتور سعيد – رحمه الله – لكلام الشيخ و دعاني معه على الغداء عنده.

و لكن سرعان ما كاد هذا يذهب هباءً، عند ما ذهبنا مع الشيخ إلى بلدة "نبروه"، و تكلمت كلمة أغضبت الدكتور سعيد – غفر الله لنا و له – و لا أدري:

لماذا؟ ولكن الشيخ تدارك الموقف بهدوئه و حكمته و بات الناس تلك الليلة في المسجد سجداً و قياماً، بدعوة من الشيخ و استجابة كثيرين من الحضور.

كانت زيارة الشيخ لمصر هي بداية لقائي به، و معرفتي به، ثم زادت الأيام قوة على قوة، بيد أن هناك فترة انقطعت فيها أخبار الشيخ عنا، و ذلك بعد ظهور ثورة يوليو، و صدامها الدامي مع الإخوان، و دخولنا المعتقلات و السجون، و الحيلولة بيننا و بين كل نشاط يتصل بالجماهير من تعليم و تدريس أو وعظ و خطابة، و إن أجبرتهم الأقدار أن يستعينوا بنا حين وقع العدوان الثلاثي على مصر، و قد صنف الشيخ النوي – و زميله الشيخ المودودي – على أنهما من أعداء الثورة المصرية، و خصوم الناصرية، و لهذا حين صدر قانون إنشاء "مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر"، و هو ينص على أن يضم علماء بارزين من أقطار العالم الإسلامي، استبعد اسما الرجلين الكبيرين مع أنهما كانا أولى المرشحين بذلك، لمكانتهما العلمية و العالمية.

ثم شاء القدر أن أعار إلى قطر، بعد عشرة سنوات من زيارة الشيخ لمصر (١٣٨١هـ/١٩٦١م) و قد سعدنا بزيارة الشيخ للدوحة، بعد أشهر أو سنة – لا أنكر – من قدومي إلى الدوحة، و كانت تلك الزيارة تجديداً و تأكيداً للصلة السابقة و المستمرة، و قد أشرت إليها فيما سبق.

البعث الإسلامي:

ثم ظلت أتصل به عن طريق ما يصدره من كتب، و ما ينشره من رسائل و محاضرات، و عن طريق مجلة "البعث الإسلامي" التي كنا نعتبرها لسان الدعوة الإسلامية في الهند، و يقوم عليها أخوان كريمان من تلاميذ الشيخ، و من رجال الدعوة، و هما: الأستاذ محمد الحسن – رحمه الله و تقبله في الصالحين

عدد ممتاز

— وهو ابن أخ الشيخ، و الاستاذ سعيد الاعظمي — بارك الله في عمره و نفع به
—، و لا يكاد يخلو عدد من المجلة من كلمة للشيخ أو بحث، أو من تلخيص
لمحاضرة، أو نحوه مما ينفع الناس، و يمكث في الأرض.

و من أهم الكتب التي ظهرت للشيخ في تلك الفترة:

رجال الفكر و الدعوة في الإسلام ... الجزء الاول منه، و هو كتاب يعتبر
نسيج وحده.

و هو — في الأصل — محاضرات عن كل شخصية من الشخصيات
المجددة التي اختارها الشيخ، و ألقاها على طلاب كلية الشريعة في دمشق
بدعوة من عميدها الداعية الفقيه الدكتور مصطفى السباعي — رحمه الله —.

و قد أعدها الشيخ الندوي إعداداً جيداً، و بينت مدى عناية الشيخ بالتاريخ
الإسلامي، و مراحل المخلتفة، و عمق معرفته بخصائص الرجال المجددين
للين، و المؤثرين في الامة، و أن كلا منهم جاء في أوانه، و سد ثغرة في جانب
من الجوانب لم يكن ليسدها غيره.

و قد أتبع الجزء الاول بأجزاء بعد ذلك تحدثت عن عدد من الاعلام، مثل
الحافظ ابن تيمية، و شيخ الإسلام ولي الله الدهلوي، و الإمام أحمد بن عرفان
الشهيد، و أمير المؤمنين علي رضي الله عنه (المرتضى).

و من الكتب التي ظهرت في تلك المرحلة: الصراع بين الفكرة الإسلامية
و الفكرة الغربية، و هو يبين كيف دخلت الفكرة الغربية ديار المسلمين،
و صارعت الفكرة الإسلامية، التي هي الأصل و صاحبة الدار، و كيف كانت تنفرد
بالتأثير و التوجيه فترة من الزمن، ثم قيض الله للفكرة الإسلامية من يجددها
و يدعو إليها و ينود عنها، لنبؤا مكانتها.

ومنها: الاركان الاربعة، و هو كتاب يتحدث عن العبادات الاربع الكبرى: الصلاة و الزكاة و الصيام و الحج، بلسان الداعية المعاصر الذي يخاطب العقل و القلب معاً.

ومنها: ربانية لا رهبانية: و هو كتاب يتحدث عن الجانب الروحي أو السلوكي في الإسلام، لا حديث الصوفي المتأثر بفلسفة الحلول أو الاتحاد، و لا بالطريقة المرتزقة، بل حديث المسلم الملتزم بالكتاب و السنة، العارف الذائق الذي خاض التجربة الروحية، فلم يغرق في بحار القوم، بل خرج بالأسرار و جواهر انتفع بها، و لم يحجبه عنها المصطلحات التي قد تنفر و لا تبشر، فالعبرة بالمسميات لا بالاسماء، و بالمضامين لا بالعناوين.

ثم كان للشيخ بعد ذلك كتب و رسائل سارت بذكرها الركبان، و تلقاها المسلمون بالقبول في كل مكان.

و مما أذكره و لا أنساه:

زيارتنا للشيخ في مدينة (لكناء) بالهند، مقر ندوة العلماء و دار العلوم، و ذلك حين دعانا الشيخ حفظه الله، للاحتفال بمرور خمسة و ثمانين عاماً على تأسيس ندوة العلماء، و قد استجاب لدعوة الشيخ جمهرة من كبار علماء الأمة، من أقطار شتى على رأسهم فضيلة الإمام الأكبر الراحل الرجل الصالح الشيخ عبد الحليم محمود، شيخ الجامع الأزهر، و الذي أبى الشيخ الندوي إلا أن يجعله رئيس الاحتفال، تكريماً و تقديراً للأزهر في شيخه، و حضر معه فضيلة الشيخ الدكتور محمد حسين الذهبي وزير الأوقاف في مصر في ذلك الوقت، و حضر الشيخ أحمد عبد العزيز المبارك، رئيس قضاء الإمارات، و الشيخ عبد الله الانصاري، مدير الشؤون الدينية في وزارة التربية بدولة قطر، و الشيخ عبد الله

عبد ممتاز

العلي محمود، رئيس الشئون الدينية بإمارة الشارقة، و الشيخ عبد المعز عبد الستار، مدير توجيه العلوم الشرعية، و عدد من علماء السعودية و بلاد الخليج.

في رحاب الندوة:

و كانت اياماً حافلة تلك التي قضيناها في رحب الندوة، و كان مهرجانا رائعا و باهرا، اجتمع فيه المسلمون – و الهندوس!! – بعشرات الالوف، و عاش الضيوف في فيض من كرم الشيخ الندوي و إخوانه، حتى قال أخونا الشيخ محمد المهدي البدري: لم يبق إلا شيء واحد يقدمه لنا الشيخ، و هو أن يزوج كلاً منا فتاة هندية مسلمة!

حضر المصورون ليصوروا ذلك المهرجان، و قال الشيخ: إن مذهبنا هو منع التصوير، و لكننا نسمح به اليوم، إكراماً لإخواننا العرب الذي لا يرون بالتصوير بأساً.

القيت كلمات كثيرة في المهرجان، حرص الشيخ أن يقدم بعض المتحدثين بنفسه، كما فعل معي، و كما فعل مع العلامة الشيخ عبد الفتاح أبي غدة – رحمه الله – و لقد قال لي بعدها: قد يصل إلى المستمع مباشرة، و إن عجز المترجم عن توصيله.

و لا انسى قوله الشيخ لي مرة: إن في كلامك روحاً و حرارة خاصة، و هذه قلما تترجم، لأن المترجم يترجم المعاني و الافكار، و لا يترجم الحرارة و الروح، إلا مترجماً يملك ما تملك.

و قد وجد هذا المترجم يوماً، ممثلاً في الاخ الشاب النابغة: سلمان الندوي من أسرة الشيخ، الذي ترجم كلمتي في: "مؤتمر المستشرقين"، فقال الشيخ:

الحمد لله، لقد نقل سلمان المعنى و الروح معاً.

لقد رأينا "ندوة العلماء" و جامعتها المتميزة "دار العلوم" في عقر دارها،
تلك الندوة، أو تلك الدار التي طالما سمعنا بها، فعشقناها قبل أن نراها –
و الآن تعشق قبل العين أحياناً – فلما رأيناها و عايشناها صدق الخُبْرُ الخَبْرَ،
و أنشدنا مع الشاعر القديم:

كانت محادثة الركبان تخبرنا

عن جعفر بن رباح أطيّب الخبر

حتى التقينا، فلا و الله ما سمعت

أنني بأحسن مما قد رأى بصري!

إنها الدار التي تغنى بها الشعراء و الأدباء، و أشاد بها الدعاة و العلماء،
و قال يحييها العلامة الشيخ علي الطنطاوي: كم أتمنى لو رُحبت إلى عهد الصبا،
فاعود لاتعلم في هذه الدار، و انتلمذ على شيوخها، و أرافق طلابها، و أتنفس في
رحابها، و أقتبس منها العلم و الإيمان، أو كما قال.

إنها "الندوة" التي اتخذت شعارها: الاستفادة من كل قديم نافع،
و الترحيب بكل جديد صالح، و الجمع بين الإيمان الراسخ، و العلم الواسع،
و الثبات على الأهداف و الغايات، و التطور في الفروع و الآلات، و الأخذ مما صفا
من التراث، و ترك ما كدر منه.

لقد كانت مشكلة التعليم الأساسية في العالم الإسلامي: أنه يقوم على
نوعين متناقضين من المؤسسات، إحداهما تمثل القديم الموروث و لا تعرف
العصر، و لا تحسن التعامل معه، و الأخرى تمثل العصر بتياراته و معارفه

وتوجهاته المادية و العلمانية، و لا تعرف التراث و قيمه و عقائده و مُثله، كان هناك "التراثيون" الماضويون الذين يقولون: ما ترك الاول للآخر شيئاً، و ليس في الإمكان أبدع مما كان! فلا اجتهد في الفقه، و لا إبداع في الادب، و لا ابتكار في العلم، و لا اختراع في الصناعة، و لا تجديد في الدين و لا في الحياة.

و يقابلهم "العصريون" الذين يريدون أن يجدوا كل شيء، و هم الذين قال لهم إقبال: إن الكعبة لا تجدد، و قال عنهم الرافعي: إنهم يريدون أن يجدوا الدين و اللغة و الشمس و القمر!

و هنا كان الدور المبارك لندوة العلماء، لتقوم بدور التوفيق بين الجانبين، و تطعيم كل واحد منهما بعناصر من الآخر، فقامت الندوة فحلت عقدة الصراع بين القديم الصراع بين القديم و الجديد، بين الموروث و الوافد، بين الماضي و الحاضر، كما يقال اليوم – و رفعت شعارات الجمع و التوفيق و الوسطية التي أشرنا إليها.

أسس متينة:

و من حسن حظ الندوة أن الله تعالى هيا لها – منذ تاسيسها – رجالاً كباراً، أقاموها على قواعد مكيئة، و أسس متينة، لا تنهار بسهولة، و قد كانوا كباراً في العلم، كباراً في الفكر، كباراً في الدين، كباراً في الخلق، كباراً في العزيمة و الطموح، ابتداء من العلامة شبلي النعماني، و العلامة سليمان الندوي، و العلامة عبد الحي حسني والد الشيخ، إلى العلامة أبي الحسن الندوي، و كلهم قمم شامخة.

هؤلاء الكبار كونوا تلاميذ لهم أشربوا روحهم، و اقتبسوا من ضوئهم، و تخلقوا بأخلاقهم، فساروا على نهجهم، فأنشأ الله تعالى بهم مناخاً علمياً

إيماناً متفرداً في الندوة، لا تجده في أي مدرسة أو جامعة أخرى، كما أوجبت المعلم المؤمن برسالته، المحب لمهنته، المتجاوب مع طلبته.

في المدارس و الجامعات الأخرى قد تجد المنهج الجيد، و الكتاب الجيد، و لكنك لا تجد المعلم الجيد، و إذا وجدته جيداً في الجانب العلمي تجده ميت القلب، جامد الروح في الناحية الإيمانية و التوجيهية.

و هذا ما لاحظناه عندنا في قطر، فقد ألفنا في العلوم الشرعية كتباً جيدة في مادتها و محتواها، و لكنها لم تجد المعلم الذي يتفاعل معها و ينقلها حية إلى الطلاب، بل وجدنا ذلك الذي يميت المادة الحية، و يلقي على حرارتها من تلجيته ما يطفئ جنوتها و يجعلها رماداً.

و لقد قدر لي أن أسعد بزيارة الندوة ثلاث مرات بعد ذلك، مرة عند ما دعاني الشيخ لمؤتمر "المستشرقون و الإسلام" في مدينة "اعظم كره" التي تضم دار المصنفين، و كان معي الاخوان الكريمان: الدكتور عبد العظيم الديب، و الدكتور علي المحمدي، و قد أبى الشيخ و إخوانه ألا أن يشرفوني برئاسة هذا المؤتمر، الذي استمر ثلاثة أيام، فقد كانت فرصة لزيارة محدث الهند العلامة الشيخ حبيب الرحمن الاعظمي الذي زرناه في قريته التابعة لاعظم كره، و لهذا نسب إليها الشيخ، و قيل الاعظمي و في العودة مررنا بلكناؤ وجدنا فيها الذكريات.

و المرة الثانية عند ما ذهبت بدعوة من الشيخ لزيارة الندوة لمدة أسبوعين، لإلقاء محاضرات على طلاب دار العلوم، و المعهد العالي للفكر الإسلامي، و كانت فرصة ذهبية للعيش في هذا الجو العلمي الإيماني المحبب، الذي يعيش المرء فيه باللّه و لله و مع اللّه، و بتنفس علماً و إيماناً و دعوة.

عبد ممتاز

و من سوء حظي ان الشيخ ابا الحسن كان غائبا عن لشنا، و عن الهند في تلك الفترة في إحدى رحلاته المباركة، و لم نلتق به إلا في آخر الزيارة في طريقي إلى "ديوبند"، لحضور احتفالها المنوي المشهود، و قال لي الشيخ: أخبرني الإخوان أنك سحرت العقول، و أسرت النفوس، قلت له: إنما أستمد من الله أولاً ثم منكم.

الأرواح و القلوب:

و المرة الثالثة: منذ نحو ثلاث سنوات حين دعاني الشيخ لزيارة الندوة و دار علومها، و ألقاء محاضرات على أساتذتها و طلبتها، و قد قضيت في رحاب الندوة أياماً اعتبرها من أفضل أيام عمري، و أقيت فيها عدداً من المحاضرات في أصول العلوم الشرعية، أحمد الله - عز و جل - أن وفقني فيها، و كان مما أسعدني و شد من عزمي: وجود شيخنا أبي الحسن و حضوره كل هذه المحاضرات.

و قد تواصلت لقاءاتي للشيخ - رحمه الله - في مناسبات شتى، أقطار شتى: التقينا به في قطر في أواسط السبعينيات، أول ما أنشئت جامعة قطر، و ألقى محاضرة عن "دور الجامعة في تكوين الأجيال".

ثم سعدنا به مرة أخرى في المؤتمر العالمي للسيرة و السنة الذي عقد في قطر، في بداية سنة ١٤٠١هـ، و كان مقدمة لاحتفال الأمة الإسلامية بالقرن الخامس عشر الهجري، فقد أجمع المؤتمر على اختيار الشيخ النووي نائباً لرئيس المؤتمر، و التقينا به في "ملتقى الفكر الإسلامي" بالجزائر.

و كنا نلتقي عادة في "مجلس المجمع الفقهي" برابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، حيث نشترك معاً في عضويته.

و نلتقي كذلك في مجلس امناء مركز "أوكسفورد" للدراسات الإسلامية
حيث نسعد برئاسة الشيخ لهذا المجلس، و غير ذلك كان من المناسبات.

أما قلوبنا و أرواحنا فكانت نلتقي دائماً و أبداً مع الشيخ الجليل، في ظل
الحب في الله، و في رحاب الإسلام العظيم، الذي أكرمنا الله به، و شرفنا بحمل
رسالته، و اعباء دعوته، و هموم أمته.



لمحات و وقفات

مع سيرة سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسيني الندوي

بقلم: الدكتور عدنان علي رضا النحوي

١ - معرفتي بسماحته و لقاءاتي و صداها:

عرفت سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسيني الندوي سماعاً قبل أن أراه، و ذلك من خلال زيارته للمشرق العربي في أوائل الخمسينات و كانت المعرفة من الذكر الطيب الذي خلفته تلك الزيارات في أوساط مختلفة من المجتمع، الذكر الطيب النابع من الإيمان و العلم و البيان.

إلا أن لقائي الأول مع سماحته كان في مدينة لكهنؤ في الهند من خلال الندوة العالمية للأدب الإسلامي التي عقدت في لكهنؤ، مركز ندوة العلماء في الهند، و مركز نشاطها بعامة و نشاط الشيخ أبي الحسن الندوي بخاصة و قد عقدت هذه الندوة خلال الفترة (٦/١٢ - ٦/١٤) لعام ١٤٠١هـ الموافقة للفترة: (٤/١٧ - ٤/١٩) لعام ١٩٨١م، و قد حضر هذا المؤتمر عدد كبير من علماء الهند و رجالاتها و أدبائها و عدد كبير من العالم الإسلامي، و كان عدد الأبحاث في المؤتمر يزيد عن خمسة و أربعين بحثاً.

و كان المؤتمر برئاسة سماحته يعينه إخوانه في الندوة، و يعينه الدكتور عبد الرحمن رافت الباشا و الأستاذ عبد العزيز الرفاعي رحمه الله، و كان هنالك

ندوة شعرية شارك فيها الشعراء الذين حضروا بقصائد جميلة و أدب إسلامي كريم، و ختمت الندوة بصدور القرارات و التوصيات، و كان من أهمها إنشاء أمانة دائمة لهذه الندوة، و إنشاء مكتب لها في الحي الجامعي لدار العلوم ندوة العلماء، يكون الشيخ محمد الرابع الحسني النوي مسئولاً عنه، و يكون أميناً عاماً لهذه الندوة. و يكون معالي الشيخ عبد العزيز الرفاعي و سعادة الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا و سماحة الشيخ عبد الله بن إبراهيم الانصاري نائبين رئيس ندوة الأدب الإسلامي العالمية و كونت لجنة عاملة كذلك.

و لقد ساهمت في هذا المؤتمر ببحث عن الخصائص الإيمانية للأدب الإسلامي و بقصيدة "عرانس و جواهر – هدية الشعر"، أحي فيها لکهنؤ و ندوة العلماء و رئيسها و ندوة الأدب الإسلامي و رجالها و كان مطلعها:

"عرانس الشعر صوفي من جواهره

و رجّعي اللحن من أحلى مزاميره

و فوّحي بالشذا في زهو موكبه

مضمخاً بندي من مجاميره

و فتقى الورد أشكالا منمّقة

بالروض حنّت إلى دنيا أزايره"

و أهمية هذه الندوة في نظري تنبع من عدة أمور: أولاً: إنها الملتقى الأدبي العلمي الأول و الخطوة التطبيقية الأولى للأدب الإسلامي و فتح ميادينه و إطلاق مسيرته. ثانياً: إنها جمعت حشداً كبيراً من رجال الأدب و الفكر من مختلف أنحاء العالم الإسلامي. ثالثاً: كانت الأساس الذي قامت عليه رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

و ظل سماحته و إخوانه يتابعون قضية الأدب الإسلامي حتى كان اللقاء التأسيسي لرابطة الأدب الإسلامي سنة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م برئاسة سماحته يعينه الشيخ محمد الرابع الندوي و إخوانه، و كان الأعضاء المؤسسون من خارج الهند: الدكتور عبد القدوس أبو صالح، الدكتور عدنان علي رضا النحوي، الدكتور محمد علي الهاشمي، الدكتور عبد الباسط بدر، الأستاذ محمد حسن بريغش، الدكتور حسن الإمراني، الأستاذ أحمد براء الأميري، الأستاذ حيدر غدير و آخرون و حضر حفل الافتتاح جمع غفير من الهند و جامعاتها، و القى الشيخ أبو الحسن الندوي كلمته النيرة، و كذلك الأستاذ عمر بهاء الأميري و ألقى قصيدة مهرجان القصيد ثم تفرغنا بعد حفل الافتتاح لوضع النظام الداخلي للرابطة الذي أصبح فيه سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي رئيساً للرابطة، و فضيلة الشيخ محمد الرابع الندوي نائباً للرئيس، و تكون مجلس الأمناء و في لقاء آخر تكون مكتب البلاد العربية برئاسة الدكتور عبد القدوس أبو صالح، و الدكتور عدنان علي رضا النحوي نائباً للرئيس و انطلقت الرابطة تشق طريقها.

و توالى اللقاءات مع سماحته في مؤتمرات و ندوات متعددة تعقد برئاسته في مختلف مدن الهند، و في استانبول، و في المغرب، و التقيته أثناء زيارته لعمان و كذلك للرياض.

هذه جولة سريعة عن مجالات معرفتي بهذا العالم الرباني، المجاهد الصابر، أحببت أن أعرضها قبل تحذي عنه، حتى يكون الحديث منطلقاً من أسس اللقاء و التعارف الذي امتد قرابة عشرين عاماً، كان فيها لقاءات جانبية، أو حفل خاص على اثر الندوة لفتيان الندوة العالمية و أزهارها، أو جلسة عامة، أو دعوات في بيوت متعددة، لوجوه المدن التي تقام فيها الندوات و كنت أكتب لسماحته و أتلقى رده، و أتلقى منه بعض كتبه إهداء كريماً منه.

كانت اللقاءات كلها تتسم بروح التقوى و الزهد و العمل الدائب و البذل، يطلق فيها سماحته من روحانيته و خلقه و علمه ما يبعث النشاط في الجميع و يضم القلوب إلى القلوب.

كانت تكشف لنا هذه اللقاءات الاثر العظيم الذي يتركه في الهند و المدرسة الكريمة التي يبنيتها، و الشباب الأغنياء بالعلم و التقوى، و الفتيان الناشئين على الكتاب و السنة و اللغة العربية التي يتكلمونها بطلاقة خيراً من كثير من أبناء العرب و عرفنا من خلالها الشيء الكثير مما كنا نجهله عن الهند المسلمة و علمائها و جهادها في سبيل الله، و التراث الفكري و الادبي الضخم الذي يحمله هذا التاريخ العظيم، مما فجر في نفسي كلمات و قصائد أعبر عن ذلك كله، و كان من أهمها "ملحة الإسلام في الهند".

٢ - مولده و نشأته:

ولد أبو الحسن الندوي في اليوم السادس من محرم سنة ١٣٢٢هـ الموافق سنة ١٩١٤م. و نشأ في بيت عُرف بالإيمان و التقوى، و العلم و العمل، و في أسرة كريمة تنتمي في نسبها إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولد في مدينة راي بريلي و نشأ فيها و تلقى بواكير زاده فيها. و كان والده السيد عبد الحي طبيباً له عيادته في لكهنؤ حيث انتقل شيخنا إليها، و كان يعمل والده أيضاً في ندوة العلماء، و كان أخوه الأكبر الدكتور عبد العلي الحسني أميناً عاماً لندوة العلماء سابقاً و كانت أمه السيدة خير النساء ابنة الشيخ السيد ضياء النبي.

كان أبوه عالماً عاملاً باذلاً وقتاً كبيراً و جهداً في التأليف و الكتابة و هو صاحب الكتاب المشهور "نزهة الخواطر و بهجة المسامع و النواظر"، وضع فيه تراجم علماء الهند و أعيانها في ثمانية أجزاء. و كان خاله الحافظ السيد عبيد الله، و كان له أثر في تربيته و نشأته، كما كان لأخيه الأكبر فضل كذلك.

نشأ أبو الحسن الندوي بين العلماء و العاملين و الدعاة الباكليين و كانت و كانت أسرته على صلة كبيرة بالعلماء و الأمراء، ممن يؤلفون قائمة طويلة يصعب حصرها هنا. و لكننا نشير إلى نماذج و أمثال: الأمير السيد نور الحسن البوفالي الإبن الأكبر للعلامة السيد صديق حسن خان القنوجي والي بوفال، و العالم الرباني السيد عبد السلام الواسطي، و الأمير الشيخ حبيب الرحمن خان الشيرواني، الشيخ غلام محمد الشملوي، الأستاذ عبد الماجد الريبادي، العلامة السيد سليمان الندوي، الشيخ حيدر حسن خان شيخ الحديث و عميد دار العلوم، الدكتور محمد إقبال الذي زاره أبو الحسن الندوي في شبابه و أحبه و أحب شعره، و كان موضوع كثير من أحاديثه.

و نشأ في هذا الجو محاطاً بالرعاية و الحنان محباً للعلم و القراءة، مقبلاً عليه أخذاً منه أقصى ما يستطيع. و كانت نشأته مع كتاب الله، مع القرآن الكريم: حتى إذا ختمه كان هناك حفل و تكريم. و كانت هذه عادة ممتدة في العالم الإسلامي، تحتفل العائلة بإبنها الذي يختم القرآن الكريم تلاوة أو يحفظه.

و لقد شاهدت طفولته أحداثاً كثيرة أهمها الانتقال إلى لكهنؤ، و دراسته النظامية، و قيام حركة الخلافة، الحركة القوية، الحركة التي عمت الهند و نهض بها مسلمو الهند، و ظهرت شخصيات بارزة بين المسلمين مثل محمد علي و شوكت علي، و برز كذلك غاندي و قد ألغيت الخلافة في ٣٠ آذار سنة ١٩٢٤م، الموافقة ١٣٤١هـ. و كانت وفاة والده سنة ١٣٤١هـ الموافقة ١٩٢٣م. و قد أثرت وفاة والده في نفسه و حياته، و كان لم يجاوز التاسعة من عمره و مرت الأسرة كلها بظروف خاصة في تلك المرحلة.

درس اللغة العربية و اللغة الفارسية في طفولته، و ظلت تلاوة القرآن الكريم ملازمة له، تحت إشراف والته التي كانت تحفظه بعض السور الكبيرة

من القرآن الكريم. وكان يشرف على تدريسه اللغة العربية الشيخ خليل بن محمد كما بدأ بدراسة اللغة الإنجليزية. وبدأ يطالع بعض كتب الألفية و آدابها. وكان من أساتذته الأستاذ خواجه عبد الحي الفاروقي أستاذ التفسير و الشيخ محمد طلحة الحسني الذي كان إماماً باللغة العربية ثم التحق بجامعة لكهنؤ سنة ١٩٢٧م.

و كانت رحلاته الأولى بين "رائ بريلى و لكهنؤ" ثم امتنت إلى لاهور برعاية أحد أقربائه الكبار الأستاذ السيد إبراهيم الندوي ليزورا زوج عمته السيد طلحة فقد جمعه الشيخ الفاضل السيد طلحة مع جميع أهل الفضل و النبوغ في لاهور، حيث كانت لاهور أكبر مركز ثقافي و أدبي و صحافي في شبه القارة الهندية و اجتمع بالدكتور محمد إقبال، و التقى بالشخصيات المرموقة هناك و تعرف على الشاعر حفيظ جالندهري، و على الشيخ الجليل مولان أحمد علي اللاهوري و على عميد الكلية الشرقية بلاهور الأستاذ الشيخ محمد شفيع.

و عندما عاد إلى لكهنؤ انخرط في دراسة الحديث الشريف في ندوة العلماء على يد العلامة الشيخ حيدر حسن خان الطونكي.

و جاء إلى ندوة العلماء العلامة المحقق في اللغة العربية و آدابها الأستاذ الشيخ تقي الدين الهلالي المراكشي الذي بدأ يعمل في دار العلوم ندوة العلماء و من خلال هذه الأجواء و بإشراف أخيه، بدأ الشيخ أبو الحسن الندوي يكتب بعض المقالات، و ترجم بعض ما يكتب بالأوردية إلى العربية، فترجم مقالة لأمير جماعة أهل الحديث الشيخ داؤد الغزنوي، ثم عرضها على الأستاذ الهلالي الذي بعثها إلى العلامة السيد رشيد رضا فقام هذا بنشرها في "المنار" معجباً بها مقدراً لها.

و أصبح شغوفاً بمطالعة الصحف و المجلات التي كانت ترد إلى ندوة العلماء أو إلى بعض أفراد أسرته، مثل: "أم القرى" الصادرة من مكة المكرمة، "فتى العرب" الصادرة من دمشق، "الجامعة الإسلامية" الصادرة من فلسطين، و التي تمثل لسان حال سماحة الحاج محمد أمين الحسيني مفتي فلسطين، "المنار"، "الهلال"، المتقطف، "مجلة الزهراء"، المجمع العلمي، العرفان، "التفح" مجلة الأستاذ محب الدين الخطيب. و كانت ترد الصحف و المجلات و كذلك الكتب من مصر و سوريا و لبنان و العراق وغيرها. و بدأ يتسع مجال المطالعة في ميادين مختلفة أمام الشاب النشيط أبي الحسن النحوي هذا بالإضافة إلى الصحف و المجلات و الكتب و المؤلفات من الهند نفسها، و من رجال ندوة العلماء.

و عاد إلى لاهور و اتصل بالشيخ الجليل أحمد علي اللاهوري، ثم توجه إلى ديوبند ليكون في رعاية الشيخ حسين أحمد المدني الذي كان يدرس الحديث و يدرس صحيح البخاري و سنن الترمذي و تعرف هناك على الشيخ أبي المحاسن محمد سجاد البهاري، و هو من كبار قادة المسلمين الدينيين و السياسيين، و من الزاهدين المخلصين، و الفقهاء الراسخين توفى سنة ١٣٥٩م.

٢ - مع ندوة العلماء و نشاطه و انطلاقته:

و عمل مدرساً في ندوة العلماء اعتباراً من سنة ١٩٣٤م، مدرساً لمادتي الأدب و التفسير، و كان قد بلغ العشرين من عمره.

تأسست ندوة العلماء في الهند في لکهنؤ سنة ١٣١٢هـ الموافقة سنة ١٨٩٥م. أسسها العالم الرباني الشيخ محمد علي المونکيري مع إخوانه و تأسس معها دار العلوم التابعة لها. و كانت و مازالت تؤدي دوراً هاماً في حياة المسلمين في

الهند، وتأخذ الموقف العادل الإيماني من العلوم العصرية دون التورط في أن تكون تابعة لها أو مجافية ولقد تأسست في الهند مراكز علمية و معاهد تعليمية كثيرة تهدف إلى المحافظة على رسالة الإسلام و ارتباط المسلمين بها، و أما أبناء ندوة العلماء فقد أصبحوا مرتبطين فيما فينهم برباط هذه الندوة الإيمانية، و كأنها نسب لهم و رحم، و أصبح يعرف كل منهم بهذا اللقب "الندوي" و امتد أبنائها في شبه القارة الهندية و أندونيسيا و غيرها، يحملون كلهم رسالة الإسلام لقد أصبحت ندوة العلماء مدرسة فكرية تقوم على الكتاب و السنة و التصور المتوازن للعلوم و الثقافة و الآداب.

و بدأ أبو الحسن الندوي نشاطه التعليمي في ندوة العلماء، و أخذ ينمو علمه بذلك ينمو نشاطه و صلاته، و أخذت حياته تستقر على نهج واضح لديه، و زاد من استقراره زواجه سنة ١٩٣٤م بإبنة خاله السيد أحمد سعيد، و هي حفيدة الشيخ السيد ضياء النبي.

و أخذت تنمو ندوة العلماء، و تنمو مناهجها، و ينمو نشاطها. و طلب الشيخ خليل و كذلك أخوه الأكبر منه أن يتوجه إلى بومبائي و يدعو الدكتور أمبيدكر، الذي كان يبحث عن الدين الصحيح، إلى الإسلام و قام بهذه المهمة و خاض هذه التجربة، إلا أن ذلك الدكتور لم يشأ الله له الهداية فلم يسلم و أعلن اختياره البونية له و لجماعته "المنبوين".

و كان من أهم الشخصيات التي قرأ عنها أبو الحسن الندوي في شبابه و تأثر بها السيد أحمد ابن عرفان الشهيد، الذي سبق أن ترجم مقالة عنه نشرها السيد رشيد رضا. فسافر إلى "طونك" كي يجمع أكبر معلومات عن السيد أحمد الشهيد بغية أن يضع كتاباً عنه فكان الكتاب "سيرة الإمام أحمد الشهيد" و كان يرتبط بالإمام أحمد بن عرفان الشهيد برباط النسب، إلا أنه اهتم بإبراز جهاده

عدد ممتاز

لقناعته بضرورة تقديم النماذج الرائعة من المجاهدين لأبناء الإسلام في الهند، وللإمام أحمد ابن عرفان تاريخ حافل بالجهاد في سبيل الله.

و انطلقت قدرته و موهبته في الكتابة و التأليف بزايد نام و تجربة غنية مبكرة و كذلك اتسعت كتابته للمقالات و المحاضرات في الندوة. و اتسع أفق قراءاته و مطالعته. فقرأ كتب الأستاذ أحمد أمين، و ما كان يكتبه شكيب أرسلان و عبد الرحمن الكواكبي. و أخذ يقرأ كتباً في السياسة و التاريخ: "انحطاط و سقوط روما"، "الصراع بين العلم و الدين"، "تاريخ الاخلاق الأوروبية"، و "تاريخ الفلسفة الجديدة" و كتب أخرى كثيرة كما قرأ للأستاذ طفيل أحمد و للأستاذ المودودي.

٤ - انطلاقته في شبابه في الهند بواكير نشاطه خارجها:

انطلق الشاب الداعية أبو الحسن الندوي يزور المراكز الدينية في الهند و يتعرف على قياداتها، و يبحث عن تصور لقيادة دينية جديدة، فانتسب إلى الجماعة الإسلامية بقيادة الأستاذ أبي الأعلى المودودي، و بدأ نشاطه معها، ثم انفصل عنها بعد حين دون أن يفقد إعجابه بمقالات الأستاذ المودودي و كتاباته و احترامه له. و التقى معظم الدعاة، و التقى دعاة حركة التبليغ، و زار عدداً من الزوايا، و ألقى بعض المحاضرات هنا و هناك، حول الدين و الدعوة الإسلامية، و اتصل بالحركات السياسية الهندية و بعض قائدها، و فتحت أمامه ميادين جديدة للدعوة الإسلامية و العمل.

و بدأ بكتابة مقالات دعوية باللغة العربية، و بدأ ينظر إلى واقع المسلمين في الهند و خارج الهند، و واقع المسلمين في العالم العربي. فكان كتابه الهام "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" و بدأت زيارته إلى خارج الهند فسافر

إلى الحجاز و التقى إمام الحرم المكي، و سافر إلى مصر و التقى الاستاذ سيد قطب و حضر المؤتمر الآسيوي الذي دعا إليه جواهر لال نهرو.

و أسس مركزاً "للتعليمات الإسلامية" يعطي فيه دروساً في القرآن و السنة متبعاً أسلوب شيخه الشيخ أحمد علي اللاهوري و أقبل الناس على هذه الدروس و صدرت صحيفة "تعمير" سنة ١٩٤٨م.

و كان من بين أهم الزيارات التي قام بها زيارته للشيخ الداعية محمد إلياس الكاندهلوي و اتصاله بحركته الدعوية "التبليغ" و بعد هذه الزيارة انطلق الشيخ إلى نشاطه الدعوي في نواحي لكهنؤ و العناية بالتربية عن طريق الجولات الدعوية، و اخذ يلح بضرورة التكلم باللغة العربية و من بين هذه الجولات كانت زيارته إلى بيشاور و إلقاء محاضرة بمناسبة الاحتفال بالسيره النبوية، و التقى هناك الشيخ السيد عبد الراشد أرشد سكرتير مجلس السيرة الداعية الذي امتد نشاطه من بيشاور إلى كلكتة إلى اليابان إلى أمريكا، و مع تقدير الشيخ أبي الحسن الندوي للشيخ محمد إلياس الكاندهلوي و احترامه لنشاط جماعة التبليغ إلا أنه لم يستطع النوبان، ولكنه أعان و أزار.

و سافر للحج سفرته الأولى سنة ١٩٤٧م مع الشيخ محمد يوسف بن الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي، و هناك بدأ نشاطاً دعوياً واسعاً. و التقى بالشيخ عمر ابن الحسن آل الشيخ الذي هو من أعقاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

و أثناء هذه الزيارة بلغهم نبأ تقسيم الهند إلى دولتين: الهند و باكستان. و عاد الشيخ أبو الحسن و الشيخ محمد يوسف إلى الهند في ٢٠ يناير ١٩٤٨م، و صاف هذا اليوم يوم اغتيال الزعيم غاندي. و قد أثر هذا الحادث في نفوس

اهل الهند مسلمين و غير مسلمين و تعددت اتجاهات المسلمين، فمنهم من اخذ يدعوا إلى السير مع التيار القومي، و منهم من علّق آماله بالقوى الغربية و مال إلى اتباعها، و منهم من التزم الإسلام على حسب فهمه و تصوره و دارت بين فئات من الناس اعتراضات على بعض التصورات الإسلامية فتصدى لها ابو الحسن الندوي بالرد في مجلة "تعمير" و مجلة "الفرقان" و كان لموقف الشيخ حفظ الرحمن السيوهاروي، المدير العام لجمعية العلماء و أمينها العام و ربوده الجزئية كذلك أثر هام.

و دعا الشيخ أبو الحسن الندوي المثقفين المسلمين من مختلف المدارس الفكرية و المؤسسات إلى اجتماع عام في لكهنؤ لدراسة أوضاع المسلمين، و ذلك في ٢٠ / شوال ١٣٦٧هـ الموافق ٢٦ / أغسطس عام ١٩٤٨م و وجدت الدعوة القبول و تمت الندوة، و قرأ مقاله الذي أعده مقدمة للندوة.

و توالى الندوات في لكهنؤ و المحاضرات الدعوية، و استمرت المراسلات مع أصدقائه في أرض الحجاز، و ازدادت رغبته في الدعوة بين العرب و سافر للحج ثانية سنة ١٣٦٠هـ في مرافقة الشيخ عبد القادر الراشي بوري و مع بعض تلامذته الاعزاء: الشيخ عبد الله عباس الندوي، و الشيخ سيد رضوان الندوي، و الشيخ محمد طاهر المظاهري، و ابن اخته الشيخ محمد الرابع الندوي، و التقوا بأدباء الحجاز و وجوهه و قدم الشيخ أبو الحسن الندوي بعض الأحاديث في إذاعة المملكة العربية السعودية.

و لقد لمس في هذه الزيارة مدى تأثر شباب الحجاز و أدبائها بأدباء مصر و كتابها فتوجّه إلى مصر سنة ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م، يرافقه بعض أبناء ندوة العلماء. فألقى محاضرة في جمعية الشبان المسلمين بعنوان: "العالم على مفترق الطرق" و تعرف من خلال اللقاءات برجال الأزهر و الدعوة و رجال العلم و الأدب

على نطاق واسع. و قدم محاضرة أخرى في دار العلوم بعنوان: "إقبال و شعره و رسالته"، و محاضرة أخرى في جامعة فؤاد الأول (القاهرة حالياً) بعنوان: "الإنسان الكامل عند إقبال" و توالى المحاضرات و اللقاءات في مختلف المراكز الإسلامية في مصر، و التقى الطلاب و الشباب في لقاءات دعوية، و انتقل إلى القرى و الأرياف. و تابع رحلته إلى السودان، و فالتقى برجالها و دعائها. و كان لكتابه "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" مدخل هام للتعرف على الكثيرين لانتشار الكتاب بين الشباب المسلمين و الدعاة في مصر و السودان و بلاد الشام وغيرها.

و تابع رحلته إلى دمشق و مدن سوريا، و التقى كذلك وجوها و علمائها و أدبائها، و زار مراكزها العلمية و مؤسساتها الفكرية و تحدث عن قضية فلسطين في محاضرة بجامعة دمشق و زار بيت المقدس و الخليل و عمان.

و عاد إلى الحجاز و أدى فريضة الحج للمرة الثالثة، و أقام في مكة المكرمة هو و إخوانه خمسة أشهر و قدم أحاديث في إذاعة المملكة العربية السعودية، و زار الطائف، و كان في هذه الفترة في ضيافة الشيخ محمد سرور الصبان يرافقه الشيخ محمد الرابع الندوي و الشيخ معين الندوي.

و عاد إلى الهند هو و إخوانه في تشرين الأول ١٩٥٧م ليبدأ نشاطاً دعوياً جديداً في الهند و لقد استغرقت هذه الرحلة بحدود ستة أشهر في عمل متواصل دائب و في سفر متواصل يكاد يعجز عنه الكثيرون.

٥ - استئناف نشاطه في داخل الهند بعد عودته:

لقد رأى الشيخ أبو الحسن الندوي و إخوانه ضرورة تبليغ الدعوة الإسلامية لغير المسلمين في الهند عن طريق محاضرات عامة يحضرها المسلمون و غير المسلمين. فدعت جماعة التبليغ إلى احتفال عام على هذا الأساس يعقد في

عدد ممتاز

منتزعه أمين الدولة في لكهنؤ. وكانت كلمة سماحته بعنوان: "عبادة الله أم عبادة النفس" و أقيم حفل آخر في "سيوان" خطب فيه سماحته و تأثر الناس كثيراً، حتى قام رجل هندوكي و أمسك بالمكبر و قال: "لقد سمعت في حياتي خطابين تأثرت بهما: خطاب C.R.ROSS و خطاب مولانا اليوم، و أقول بكل صراحة إن محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الحق..." و تحولت هذه الاحتفالات المتكررة إلى ما سماه الشيخ الندوي "حركة رسالة الإنسانية".

و بدأ الشيخ الندوي بسلسلة من المحاضرات تلقى أمام جماعة التبليغ بعنوان: تاريخ الإصلاح و التجديد و شخصياته الجليلة ثم أخرج هذه السلسلة في خمس مجلدات كل مجلدة عن مصلح مجدد: الأول و الثاني و الثالث عن شيخ الإسلام ابن تيمية، و الرابع عن الإمام أحمد بن عبد الواحد السرهندي، و الخامس عن الإمام ولي الله الدهلوي و تلامنته و أعقابه.

و امتد نشاطه في داخل الهند على نطاق واسع بنفس العزيمة و الهمة التي رايناها في نشاطه الخارجي.

٦ - استئناف النشاط خارج الهند و اتساع مداها:

تلقى الشيخ أبو الحسن الندوي دعوة إلى دمشق من جامعته من الدكتور مصطفى السباعي، فاستجاب لها سنة ١٩٥٦م. و توالى المحاضرات في الجامعة و في إذاعة دمشق. و كان من أهمها: التجديد و المجددون في تاريخ الفكر الإسلامي، "محمد إقبال في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم" اسمعي يا سورية".

ثم انتقل إلى بيروت و طرابلس، ثم توجه إلى تركيا، ثم عاد إلى دمشق ليحضر المؤتمر الإسلامي الذي دعا إليه الدكتور سعيد رمضان، و الذي رأسه

الدكتور محمد ناصر رئيس وزارة اندونيسيا، و نائبه الاستاذ الشيخ المودودي
و الاستاذ الشيخ الندوي.

و توجه الشيخ أبو الحسن سنة ١٩٦٠م إلى "رانغون" بدعوة من المقرئ
عبد الرحمن القاسمي، حيث مكث أكثر من شهر في محاضرات متصلة للتعريف
بالإسلام و دعى إلى الكويت و ألقى محاضرات في المساجد و الإذاعة ثم دعى إلى
السعودية ليكون عضواً في هيئة التدريس في الجامعة الإسلامية في المدينة
المنورة، فاعتذر عن ذلك و رضي أن يكون عضواً في المجلس الاستشاري
للجامعة، و ألقى في المدينة عدة محاضرات و دعى إلى المؤتمر الإسلامي الذي
كان سيعقد في ١٤/ ذي الحجة ١٣٨٢هـ في القصر الملكي و الذي يحضره الملك
سعود فلجى الدعوة و تأسست في هذا المؤتمر رابطة العالم الإسلامي و اختير
أعضاؤها و رئيسها الدائم سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ و ألقى
الشيخ الندوي في هذه الزيارة عدة محاضرات في الجامعة الإسلامية و زار ولي
العهد سمو الأمير فيصل بين عبد العزيز، و قدم لسموه وجهة نظر حول منطقة
الحجاز و أهميتها.

و أرسل فيما بعد برسالة تلقى ردها سنة ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م؛ و توجه إلى
أوروبا، إلى جنيف بدعوة من الدكتور سعيد رمضان للمشاركة في الجلسة
الاستشارية للمركز الإسلامي بجنيف ثم زار لوزان و برن و باريس و لندن و كمبردج
و أكسفورد و جلاسكو و التقى بأساتذة الجامعات و بعض المستشرقين و استفاد
من مكتبة المتحف البريطاني و ألقى عدة محاضرات، و ذلك سنة
١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.

و توجه إلى الاندلس فزار: مدريد و طليطلة و اشبيلية و قرطبة و غرناطة،
و في سنة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م قام برحلات أخرى إلى أوروبا زار خلالها بعض مدن

عبد ممتاز

المانيا، و تلا ذلك رحلة إلى أمريكا. و تأسس مركز إسلامي في جامعة أكسفورد و أقيمت حفلة عامة في ٢٢ / تموز ١٩٨٣م.

و في نفس السنة زار الكويت و الإمارات. و تم تحويل مكتبة الشيخ عبد الله العلي المحمود إلى مكتبة عامة بعد وفاته رحمه الله، و أقام ابنه الدكتور سالم حفلة افتتاح في ١٢ / صفر ١٤٠٤هـ - ١٦ / تشرين الثاني ١٩٨٣م، حضرها حاكم الشارقة و حاكم عجمان و حضرها الدكتور عبد الله نصيف و الشيخ الندوي. ثم تابع محاضراته في العين و الشارقة و أبي ظبي ثم انتقل إلى سيرلنكا ثم انتقل إلى الجزائر ليدعو إلى الله و رسوله صلى الله عليه و سلم.

و حضر مؤتمر السيرة في قطر قبل ذلك في (٥ - ٩ محرم / ١٤٠٠هـ) (٢٦ - ٣٠) تشرين الثاني ١٩٧٩م و في السعودية نال جائزة الملك فيصل العالمية في ١٢ شبات ١٩٨٠م، و وزع قيمتها على ثلاثة مراكز إسلامية، و قرأ كلمته في حفل الافتتاح فضيلة الشيخ الدكتور عبد الله عباس الندوي.

و امتدت رحلاته و محاضراته بصورة شبه متواصلة، و كأنه يجوب الأرض كلها يدعو بدعوة الإسلام دون كلل أو ملل أو يأس و يعمل مع معظم المؤسسات و المراكز الإسلامية في العالم.

نهدف من هذا العرض الموجز ان نوضح العزيمة القوية التي كان يملكها، و الإصرار على البذل لله و دينه، و الصبر الطويل على مشقات السفر المتوالي في جميع حالاته من الصحة و المرض في جهد متواصل لا يكاد ينقطع و لا يبحث عن الراحة و الاسترخاء.

٧ - عودة إلى النشاط في الهند مع الاحداث الداخلية و اضطراباتهما:

حدثت اضطرابات داخلية في كلكتا سنة ١٩٦٣م / ١٩٦٤م، و في حدود

المنطقة الشمالية سنة ١٩٦٤م، ذهب ضحيتها آلاف المسلمين بصورة وحشية مروعة.

ورأى المسلمون محاولة الاستعانة ببعض القادة غير المسلمين الذين قد يحملون نظرة أناة لكن عند التجربة ضاع الأمل. و رأوا أنه لا يوجد إلا طريق واحد هو نفخ روح المقاومة و ملء فراغ القيادة الموحدة عند المسلمين و الاعتماد على الله تعالى. و تقرر عمل مجلس استشاري إسلامي، و حدد مواعده (٨ - ٩) أغسطس ١٩٤٦م. و قرر المجلس إرسال وفد لزيارة المناطق المفجوعة. و تحرك الوفد و الشيخ أبو الحسن الندوي إلى جمشيد بور حيث رأوا الفاجعة و الوحشية و الرؤوس الملقاة و الأشلاء المتناثرة.

و تابع الشيخ أبو الحسن الندوي نشاطه في الهند بين المسلمين و غير المسلمين، و أثر في كثير من غير المسلمين، و هدأ قدر المستطاع من بعض النفوس الحاقدة.

و تابع التأليف و كتابة المقالات و إلقاء المحاضرات، فأخرج كتاب "جنة المشرق و مطلع النور المشرق" الذي ألفه والده و وضع كتابه: "الصراع بين الفكرة الإسلامية و الفكرة الغربية"، "و الطريق إلى المدينة"، و "نحو التربية الإسلامية الحرة" و هناك كتب كثيرة في مختلف الموضوعات الفكرية و الأدبية و التربوية و غيرها.

و عاصر الشيخ الندوي أحداثاً جساماً في حياته: مثل تقسيم الهند، و الحرب بين الهند و باكستان سنة ١٩٧١م و أحداث فلسطين كلها و هزته مأساة سنة ١٩٦٧م و احتلال اليهود للقدس: ٢٩ / صفر ١٣٨٧هـ ٥ / حزيران ١٩٦٧م و لقد نقد سياسة عبد الناصر، و انتقد التقديس الذي أبرزته بعض الصحف.

٨ - ترابط نشاطه بين الهند و خارجها بعزيمة و قوة:

و لقد أرسلت رابطة العالم الإسلامي وفوداً إلى مناطق مختلفة، فاختار الشيخ أبو الحسن زيارة أفغانستان، و إيران، و لبنان، و شرق الأردن و العراق، و كان رئيس الوفد في هذه الزيارات.

و أقامت دار العلوم مهرجانها التعليمي بمناسبة مرور (٨٥) عاماً على نشوئها فجمعت لكهنؤ يومها حشوداً و وفوداً كثيرة و ذلك في (٢٥ - ٢٨) شوال ١٣٩٥هـ الموافق ٣١ تشرين الأول ٣ تشرين الثاني ١٩٧٥م.

و جابه أحداث الهند المختلفة بوعي و روية: انديرا غاندي و كتابته لها حول عدة قضايا. و جابه قرار حالة الطوارئ الذي أصدره ابنها سنجي غاندي، و قراره بتنظيف المدن، و استغلاله القرار للغر بالمسلمين و إزالة أكثر من ألف بيت و قتل مئات الأشخاص و اعتقال المئات. و حدثت اضطرابات مروعة أخرى في "حيدر آباد" سنة ١٤٠٠هـ، و مأساة "جمشيد پور" التي ذهب ضحيتها ستة آلاف قتيل، و اضطرابات عليكرة، و إله آباد، و مدن أخرى ممتدة في الهند.

و توالى رحلاته خارج الهند و داخلها، و محاضراته: في أمريكا و المغرب الأقصى و مؤتمر رابطة العالم الإسلامي في كراتشي في ٦/تموز ١٩٨٧م الذي افتتحه ضياء الحق و منح شهادة الدكتوراة الفخرية من جامعة كشمير، و قدم فيها بعض محاضراته.

و كان يرافقه في رحلاته هذه كلها عدد من أبناء ندوة العلماء و من إخوانه مثل الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي و الشيخ معين الندوي و الدكتور عبد الله عباس و آخرون.

و من الأحداث الخاصة في حياته، الأحداث التي أثرت في نفسه وفاة بعض الاعزاء عليه: والده و والته و أخوه الأكبر الذي كان يتولى رعايته و شقيقته و ابن أخيه العزيز عليه محمد الحسني، و إسحاق جليس الندوي، و ابن أخته السيد محمد الثاني، و لقد أحزنته هذه الأحداث، كما أحزنته أحداث الامة، فكان يحمل احزاناً تدفعه إلى مزيد من البذل و العطاء و الصبر.

نهذف من هذا العرض الموجز لسيرة حياته أن نبين الاتصال في السفر و الترحال و الاتصال مع كثير من المسؤولين و الدعاة، و الشباب و الفتيان، و المحاضرات و الاحاديث في المراكز الإسلامية و الجامعات و الندوات و المؤتمرات، مما يؤلف حجماً ضخماً من الفكر و الادب و العطاء يفرغ من روحه الوثابة و روحانيته الصافية على إخوانه في جولاته و نشاطه و على أبنائه و تلامذته، يمضي صابراً محتسباً ذلك عند الله.

و كان الزهد و الانصراف عن الدنيا و زخارفها صورة جليلة مؤثرة في النفس، مكرسا فكره و قلبه و عاطفته و عطاءه و وقته، للإسلام و قضاياها، في صورة ممتدة متواصلة غنية ندية.

لقد أثر هذا كله في نمو مدرسة ندوة العلماء و نهجها و نشاطها حتى امتد أبناؤها في مناطق عديدة من الأرض، رجالاً مؤمنين و دعاة جادين، و فتياناً كأنهم الزهر المتفتح شذاً و عطراً، ثمرة غنية لجهود سماحته المباركة و لقد غرس سماحته اللغة العربية في أبناء هذه المدرسة المباركة، حتى أصبحوا يتكلمونها خيراً من كثير من أبنائها، و كذلك إصدار المجلات الإسلامية القيمة، باللغة العربية مثل "البعث الإسلامي" التي يرأس تحريرها الأخوان الشيخان: سعيد الأعظمي و واضح رشيد الندوي، و كانت الدعوة إلى اللغة العربية من أبرز أنشطته حيثما توجه، و كذلك مجلة الرائد الأدبية.

عبد ممتاز

وتميز عطاؤه كذلك بهذا الحشد الكبير من المؤلفات المتميزة في مختلف الموضوعات الفكرية و الأدبية، المؤلفات التي احتلت مكانتها اللائقة في قلوب قرائها من الشباب و المفكرين و الأدباء.

و لقد كان لسماحته فضل كبير في تعريف الهند المسلمة الحبيثة إلى العالم الإسلامي الممزق حتى جهل الكثيرون عظمة الإسلام في الهند و عظمة الهند بالإسلام، و التراث الخالد الذي قدمه علماؤها و الجهاد المتواصل الذي قاموا به. و كذلك كان له فضل في تعريف العالم العربي إلى الهند المسلمة لتتصل أمة الإسلام قلوباً و فكراً و عاطفةً، و داراً و إخواناً، و ساحات بذل و جهاد. لا تكاد توفي هذه الكلمة الموجزة بجوامع خلاله و سماته و خلقه و فكره. و لكنها محاولة نرجو الله سبحانه أن يتقبلها منا لرجل له علينا حق كبير.

و اختتم كلمتي هذه بأن أشير إلى التأثير العظيم الذي خلفته زيارتي إلى الهند و لقاءاتي مع سماحته، حتى أحببت الهند المسلمة و مسلميها، و فجرت في قصائد في نكرها و في سماحته، و تحيات إلى مدنها لكهنؤ و حيدرآباد و غيرهما و مقالات متعددة فيما أثارت تلك الندوات من موضوعات، و من بين ما قلته: قصيدة عرائس و جواهر أحيى فيها سماحته و الندوة، قصيدة مهرجان القصيد في حفل مؤتمر رابطة الادب الإسلامي العالمية، تحية لسماحته بعد إحدى الندوات بعنوان تحية لأبي الحسن الندوي و ندوة العلماء، قصيدتان تحية إلى حيدر آباد، قصيدة "زخرف و حيقيقة" عن بعض أوضاع المسلمين في الهند، قصيدة "المسجد البابري بين حلو نكرياته و مر عتابه"، و أكبر عمل قدمته هو "ملحمة الإسلام في الهند" و أخيراً كانت القصيدة في رثائه، ادعو

اللّٰه أن يتقبل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، جهداً متواضعاً في التعريف
بتلك الجهود الكريمة، وتقدير بلد إسلامي عظيم كاد المسلمون ينسونه.

رحم اللّٰه أبا الحسن الندوي رحمة واسعة، وجعل قبره روضة من رياض
الجنة، و أنزله المنزلة العالية عنده مع الصديقين و الشهداء، و غفر له و أجزل
له الأجر و الثواب.



فضيلة الشيخ السيد أبو الحسن علي الندوي وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

بقلم: الاستاذ عبد الرحمن مومن تعريب: أبو مسعود أظهر الندوي

خلال حوالي عشر سنوات أخيرة انتقل من بيننا إلى رحمة الله عدد من العلماء و المشائخ الأجلة اضمحلت بذلك مجالس العلم و الفضل. فقد غادرنا واحد تلو الآخر كل من أصحاب الفضيلة الشيخ حبيب الرحمن الاعظمي والشيخ زيد أبو الحسن الفاروقي و المقرئ الشيخ صديق أحمد الباندوي و الشيخ عبد الرشيد النعماني رحمهم الله رحمة واسعة و كان قد بقي بقية السلف الدكتور محمد حميد الله، متعناً الله بطول حياته، و فضيلة الشيخ سيد أبو الحسن علي الندوي و عدد قليل من العلماء الراسخين و من الأسف ان الشيخ الندوي قد انتقل أيضاً إلى رحمة الله في ٢١ ديسمبر عام ٢٠٠٠م تاركاً خلفه مات ألف من المسلمين في بالغ الحزن و الأسى. رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

كان المرحوم الشيخ الندوي عضواً ممتازاً لأسرة علمية ممتازة في الهند و كان من أسلافه أول من قد جاء إلى الهند الشيخ سيد قطب الدين محمد المديني (المتوفى ٦٧٧هـ) و قبره في بلدة كره مانك بور و يسمى اعضاء هذه الأسرة السادات القطبية. و قد برز من اولاد الشيخ المديني عدد من العلماء و المشائخ المعروفين على رأسهم الشيخ شاه علم الله و الشهيد الكبير

سيد احمد الرانى بريلوي، كان الشاه علم الله خليفة للشيخ خواجه اكرم البنوري الذي كان الخليفة الاعظم للشيخ مجدد الالف الثاني رحمهم الله. و كان جد الشيخ الندوي الشيخ الطبيب سيد فخر الدين ممتازا في العلوم الظاهرية و الباطنية و قد صنف ٢٤ كتاباً و من حيث النسب كان حسنيا من والده و حسينيا من والته. و كان والد الشيخ الندوي الشيخ الطبيب سيد عبد الحي (الميلاد ١٢٨٦هـ) عالما ممتازا في عهده و صاحب مؤلفات كثيرة و كان قد قرأ على الشيخ محمد حسين اله آبادي خليفة الشيخ الشهير الحاج امداد الله المهاجر المكي و علماء بارزين آخرين. ثم استمع الحديث من شيخ زمانه الشاه فضل رحمن الفنج مراد آبادي و بايعه. ثم درس في دار العلوم التابعة لندوة العلماء و تولى وكالته لفترة طويلة. و كان الشيخ سيد سليمان الندوي من ارشد تلامذته و توفي في ١٩٢٣م عندما كان عمر الشيخ الندوي حوالي تسع عشر سنوات.

إن الشيخ الطبيب سيد عبد الحي قد صنف عددا من الكتب على رأسها "نزهة الخواطر و بهجة المسامح و النواظر" باللغة العربية طبعتها دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد في ثمانى مجلدات فيها تراجم خمسة آلاف من العلماء و المشائخ خلال ألف سنة للعهد الإسلامى في الهند. و قد استغرق اعداد هذا الكتاب عشرين سنة استفاد فيها المصنف من ثلاث مآت كتاب مطبوع و مخطوط بالقلم. و كتابه الثانى "جنة المشرق" يشمل المعلومات التاريخية و الجغرافية و الحضارية للهند و قد طبع هذا الكتاب باللغة العربية في عام ١٩٧٢م باسم "الهند في العهد الإسلامى" كما طبعت ترجمتها باللغة الاربدة باسم "هندستان اسلامى عهد مين" و كتاب آخر له يسمى بـ "معارف العوارف في انواع العلوم و المعارف" ذكر فيه تاريخ التطورات في المنهج التعليمى و العلوم

و الفنون في الهند خلال العهد الاسلامي. و كتابه باللغة الاردية "جول رعنا" يشمل تراجم الشعراء البارعين للغة الاردية و منتخب اشعارهم كما ان كتابا اخر له باللغة الاردية "ياد ايام" يشمل تراجم علماء و مشائخ منطقة عجات و مهارا اشترا.

و كان الشيخ عبد الحي شاعرا ايضا و سجل الشيخ الندوي نماذج شعره باللغات الاردية و الفارسية و العربية في سيرته "حيات عبد الحي" و كانت لزوجته والدة الشيخ الندوي السيدة خير النساء بهتر نوقاً علمياً و شعرياً، و قد كتب الشيخ الندوي سيرتها باسم "ذكر خير" و كان للشيخ الطبيب عبد الحي ابنان و ابنتان اكبرهم الدكتور عبد العلي الذي كان قد تولى فيما بعد وكالة دار العلوم لفترة طويلة و كان الشيخ الندوي اصغرهم و كان اختاهما امة العزيز و امة الله تسنيم اكبر منه و كان لامة الله تسنيم نوقاً علمياً و قد نقلت الكتاب المعروف للامام الندوي "رياض الصالحين" إلى اللغة الاردية كما كتبت ايضا "قصص الانبياء. و "هماري حضور" (سيرة النبي) للأطفال.

و كان ميلاد الشيخ الندوي خلال عام ١٩١٤م في راي بريلي و حيث ان بيئة الاسرة كانت دينية قد ظهر جوهره بسرعة مدهشة ففي عمر حوالي ١٤ سنة قد نقل بعض قصائد العلامة محمد إقبال إلى اللغة العربية و قتمها له. كما انه كتب رسالة عن الشهيد سيد احمد رائي بريلوي باللغة العربية و عمره حينذاك حوالي ١٦ سنة و قد طبعت بمصر. و كان الشيخ الندوي قد اكتسب العلم من اجلة علماء عصره و حصل على شهادة الفضية و كان في تنمية كفاءته في الادب العربي دورا رئيسياً لاستاذة الجليل الشيخ خليل بن محمد بن حسين اليماني.

ولا يمكن احاطة خدمات الشيخ الندوي المتعددة الجهات و أعماله المتنوعة في هذه المقالة و نكتفى هنا بالقاء الضوء على أهم أوجه سيرته و شخصيته و خدماته الدينية و الملية فقط. كان الشيخ الندوي كثير المؤلفات و تشمل كتبه مواد العقائد و العبادات و السيرة و التاريخ و السوانح و تسجيلات ما شاهد في اسفاره و طول حياته و غير ذلك. و يغلب لون الاصلاح و الدعوة في كتبه و أعماله. و قد نالت كتبه شهرة و قبولا حسنا في شبه الجزيرة الهندية وغيرها و كان يكتب باللغتين العربية و الأردية كلتيهما و قد تم نقل معظم كتبه إلى اللغات الفارسية و الانجليزية و التركية و لكتبه "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" و "السيرة النبوية" و "الطريق إلى المدينة" و "تاريخ الدعوة و العزيمة" (في خمس مجلدات) أهمية خاصة فقد طبع كتابه "ماذا خسر العالم" خمس عشرة مرة باللغة العربية من مصر و سوريا، و كانت طبعته الأخيرة من الكويت خلال ١٩٨٢م بمائة ألف نسخة كما أن هذا الكتاب قد طبع تسع مرات باللغة الأردية و ست مرات باللغة الانجليزية و عدد من كتبه داخلية في مناهج الجامعات العربية و غير العربية و قد سجل تجارب حياته و ما شاهد في عصره باسم "كاروان زنجي" في ثلاث مجلدات.

كانت حياة الشيخ الندوي وشخصيته و سيرته مرآة لعلماء السلف فكان بعيدا جدا من طلب الدنيا و طمع الجاه و الشهرة و الرياء و النفاق و قد تخطى بخطوة أسلافه في التباعد عن أصحاب السلطة و الحكام و لم يتورط قط في وادي السياسة كما لم يبيع قط مبادئه لنيل العزة و الشهرة. قد منحت له جائزة الملك فيصل و لكنه اهدى مبلغ الجائزة كله إلى المؤسسات الدينية و قد قدمت مؤسسة كويتية مبلغاً ضخماً له اعترافا بخدماته و لكنه منح المبلغ كله للمؤسسات الإسلامية خارج البلد و داخله.

وقد نكر الصوفية آفات العلم فإن العلم يحدث أحيانا الكبر و النخوة و الاعجاب بالنفس و من أجل دفع هذه المفاصد لابد من التركيز على اصلاح الباطن و تزكية النفس أيضاً مع اكتساب العلم و كان الشيخ الندوي من أهل العلم الذين أعطاهم الله "القلب" أيضاً مع "الذهن" فلم تكن عنجهية في طبيعته و كان حُسن الخلق و السذاجة و الانكسار و التوسع و التسامح و الشفقة على الصغار من مميزات شخصيته البارزة و "النسبة الباطنية" كما يسميها الصوفية كانت في تقاليد أسرته فكان والده الشيخ سيد عبد الحي و جده الشيخ سيد فخر الدين جامعين للشريعة و الطريقة و كان الشيخ عبد القادر راني بوري قد أرشد الشيخ الندوي في عبور الأودية الحجرية الصعبة لتزكية النفس و اصلاح الباطن.

لقد مرّ المسلمون الهنود من أوضاع صعبة جداً على إثر استقلال البلد و لكنهم لم يبيعوا هويتهم المليّة و أقدارهم الدينية على رغم ظروف الابتلاء و الامتحان الشديد و هذا الواقع بنفسه جدير بأن يكتب في تاريخ الاقوام و الملل بحروف ذهبية و قابلة لأن نفتخر و نباهى بها و كان الشيخ الندوي في طليعة جماعة القادة العلماء المخلصين الذين قد تقدموا إلى الإمام من أجل الدفاع عن الهوية الدينية و المليّة للمسلمين و الحفاظ بها و قد شجعت جراتهم الإيمانية و قولهم الحق و عزيمتهم و استقامتهم المسلمين و خلال حالة الطوارئ عندما واجه المسلمون مشاكل جمة قد قابل الشيخ الندوي رئيسة الوزراء، انديرا غاندي و أخبرها بخطورة الوضع. و كذلك عندما تم تأسيس المجلس الاستشاري الاسلامي لعموم الهند من أجل تنمية الوحدة بين المسلمين و قيادتهم السياسية قد لعب الشيخ الندوي دوراً هاماً كما أنه قاد هيئة القانون

العائلي الإسلامي لعموم الهند بعد وفاة الشيخ المقرئ محمد طيب قيادة مؤثرة وحاول محاولة جادة من أجل الحفاظ بالشرعية الإسلامية وقد اختار الشيخ الندوي موقفا جريئا من أجل استعادة المسجد البابري وتحدي حكومة ولاية اترابرايش بجرأة إيمانية مثالية عندما اقامت نزاعا باسم عبادة معبودة التعليم الهندوسية سرسوتي، ولم يزل نشيطا إلى آخر أنفاسه من أجل الحفاظ بالمدارس الإسلامية وبقائه.

لم يكن الشيخ الندوي كاتباً أو عالماً محبوا في زاوية بعيدا من مشاكل الدنيا فكانت الدعوة و الأعمال الاصلاحية غالبية على طبيعته و كانت له رغبة عميقة في المشاكل الوطنية و الملية و كان يقدّم دائما خدماته لحلها. كان يحب الحضارة المشتركة الهندية و كان يسعى دائما لتنمية الاخوة و التفاهم بين الهناك و المسلمين و من أجل ذلك قد أسس "حركة رسالة الإنسانية" و قام بزيارات كثيرة بمختلف أنحاء الهند لإيصال رسالة السلام و المودة. و كان لخدماته المتنوعة وجهها لامعا صلاته القريبة بالمؤسسات الإسلامية والعلمية في الهند و خارجها و قد نالت ندوة العلماء مقاما دوليا رفيعا تحت قيادته و اشرافه و عندما تمت اقامة المركز الإسلامي بجامعة اكسفورد قد انتخب الشيخ الندوي بالاجماع رئيسا للمجلس الاستشاري للمركز. و كانت له نشاطات في مجال الوحدة الإسلامية العالمية كعضو هام لرابطة العالم الإسلامي كما كان رئيسا لرابطة الأدب الإسلامي و قد منحت له عدد من الجوائز اعترافا بعلمه و فضله و مؤلفاته و خدماته الدينية و العلمية و كان يحترمه أصحاب مكاتب فكر مختلفة و يعترفون باخلاصه و اصابة رائه و ما اقل من نال قبولا شاملا لفترة طويلة مثلها- ليس ذلك إلا موهبة إلهية.

لم يزل علماء السلف يتجنبون العزة و الشهرة الدنيوية ولكنها قد قامت بتقبيل اقدمهم و كان الشيخ الندوي على نفس الطريق الذهبي و تدل لمحاته الاخيرة على قبوله عند الله فإنه كان مشغولا بتلاوة القرآن الكريم فيها. يقول الجريز كنت موجودا عند سيد الطائفة جنيد البغدادي حين وفاته. كان يتلو القرآن الكريم فقال له أحد هذا وقت الضعف ليس وقت التلاوة فقال جنيد أي وقت يكون أحسن من هذا للتلاوة فان صحيفة اعماله تغلق - ليس يناسب ان احضر إلى الله تعالى و في يدي رسالة الحبيب.

كانت مقابلي الأولى مع الشيخ الندوي قبل حوالي ثماني عشرة سنة في عام ١٩٨٢م بمنزل الشيخ محمد البتني في ممباي الوسطى كنت قد ذهبت إليه برفقة الدكتور ضياء الدين الديباني المدير السابق لمؤسسة مسح الآثار القديمة الهندية و بعد تعريفي للشيخ الندوي قال الدكتور ديباني أن لي رغبة خاصة في الآثار الإسلامية. فقلت إنني أريد اعداد كتاب عن الآثار و النواذر الإسلامية. و سال الشيخ الندوي هل قرأت كتاب أرض القرآن للشيخ سيد سليمان الندوي و التفسير الماجدي للشيخ عبد الماجد الدراي آبادي فقلت نعم. ثم عرضت عليه بعض الصور عن خرائب قوم ثمود و سد مأرب و الجثة المحنطة لفرعون و استفسرت هل رأى الشيخ جثة فرعون في متحف القاهرة. فاجاب الشيخ بأنه كان قد زار مصر قبل فترة طويلة. و في اليوم الذي كان في القاهرة كان المتحف مغلقا فلم يستطع النظر إليها ثم سألت هل مرّ عليه كتاب حول موضوع الآثار الإسلامية فاجاب بأنه ليس هناك كتابا مستقلا حول الموضوع غير أن اثنين أو ثلاثة كتب قد طبعت باللغة العربية أحدها عن أصحاب الكهف للسيد رفيق وفا الدجاني. وقال هذا المكان على قرب من عمان و قد شاهد برفقة مؤلف ذلك الكتاب، ذلك

الغار. فيها سبعة قبور و خارجه قبر صغير يقال له قبر كلب اصحاب الكهف. ثم شرفني الشيخ بقوله ان اسافر إلى لکناؤ و استفيد بدار کتبه. و نصحني بأن لا استعجل في طبع الكتاب و ان اتأكد من مندرجات الكتاب حتى إذا تم انشراح القلب بذلك أتوجه إلى الطبع و في هذا الصدد نصحني بالاتصال بسفراء دول الخليج و عن طريقهم النظر إلى خرائب الاقوام الماضية و كانت الطبعة المضافة للتفسير الماجدي قد طبعت في ذلك الوقت مع تقديم الشيخ الندوي. قلت للشيخ أن عبيدا من المباحث في التفسير الماجدي قد أصبحت الآن غير مفيدة و الحاجة الآن النقاء الضوء عليها من جديد في ضوء البحوث الجديدة فاتفق الشيخ الندوي بذلك و قال ان الشيخ عبد الماجد قد قام بأعمال مفيدة إلى حد البحوث التي كانت قد تحققت إلى عهده و الحاجة الآن هي التقدم بها إلى الإمام. و كنت قد نقلت إلى اللغة الانجليزية خلال تلك الفترة مقالاً للدكتور محمد حميد اللّٰه عن فرعون فقمت نسخة منه للشيخ الندوي فتلطف الشيخ بقوله أنه سوف يقرأ ذلك المقال. قلت له هل يمكن في ان أتصل به كتابيا و أراسله و أتوقع الرد قال ذلك سوف يسره و بعد تلك المقابلة قد جرت المراسلة عدة مرات.



الشيخ أبو الحسن علي الحسيني الندوي

عالم رباني جليل

بقلم: الشيخ ضياء الدين الإصلاحى

تعريب: الأستاذ السيد محمود الحسن الندوي

ينتهي نسب الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسيني الندوي، من أبيه إلى الإمام الحسن، ومن أمه إلى الإمام الحسين ابنى علي رضي الله عنهم حيث تزوج حسن المثنى ابن الإمام الحسن رضي الله عنهما من السيدة فاطمة الصغرى بنت الإمام الحسين رضي الله عنهما، ولذا فإن هذه الأسرة الكريمة حسنية وحسينية معاً. و أول أجداده الذين وصلوا إلى الهند مهاجرين من المدينة المنورة، هو الأمير قطب الدين محمد المني ابن أخت الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله الذي كان هو الآخر من كبار الأولياء و الاتقياء في عصره فنزل على منطقة "كرا مانيك فور" و أضاء تلك المنطقة و ما حولها بنور الإسلام و غرس بين أهاليها حب الإيمان و الاخلاص لدين الله تعالى. و عاش اولاده و أحفاده في منطقة "كرا مانيك فور" حياة عز و وقار و شرف و كرامة طوال قرن كامل، و عندما عُين أحد أنجال هذه الأسرة المباركة و هو مير السيد قطب الدين محمد الثاني قاضياً لمنطقة "جايس" تحول إليها مع عائلته. ثم عُين أحد أبناءه السيد علاء الدين قاضياً على منطقة "نصير آباد" فاستوطن هذه المنطقة أي "نصير آباد" مع عائلته. و كان أحد أحفاده القاضي السيد احمد. رزق ابنه السيد محمد معظم ولدان باران و هما السيد

محمد فضيل و السيد محمد اسحاق. اولهما كان من اجل خلفاء السيد آدم البنوري رحمه الله و والد العارف بالله و من كبار اولياء الله شاه علم الله الذي كان من سلالة الطاهرة المجاهد الكبير و البطل السيد احمد بن عرفان الشهيد رحمه الله. و كان الشيخ السيد ابو الحسن علي الحسيني الندوي من اولاد مؤخر الذكر السيد محمد اسحاق رحمه الله، و الذي دوى العالم بين العرب و العجم بنداؤه الحق و اخلاصه للدين و جهاده لنشر رسالة الإسلام.

انجب الفرعان من الاسرة القطبية عددا كبيرا من اعلام العلماء و رجال الدين و اولياء الله ما لم تنجبهم اية أسرة أخرى في هذه البلاد حيث كان جد الشيخ أبي الحسن علي الحسيني الندوي، المولوي السيد فخر الدين المعروف بـ "خيالى" من كبار اطباء عصره و يتمتع بنصيب وافر من الكمالات الروحية و العلمية إلى جانب كونه شاعراً فذاً و صاحب ديوان شعر بالفارسية و العربية و الهندوكية و لكن معظم مؤلفاته قد ضاعت إلا أن التي وصلت إلينا لا تقل عدداً. و كتابه "مهر جهان تاب" يعتبر مرجعاً و مركزاً اهتمام كبير للباحثين و نقاد الادب الأردني و يتضمن الفصل الثالث من مجلده الاول ذكر شعراء العربية الفارسية و الأروية و لغة بهاشا الهندوسية. و ألف ابنه الطبيب الحكيم السيد عبد الحي الحسيني والد الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسيني الندوي أمين عام ندوة العلماء الأسبق كتاب "نزهة الخواطر" و "الثقافة الإسلامية في الهند" باللغة العربية و كتاب "غل رعنا" باللغة الأروية و لا يزال هذان الكتابان مركز اهتمام و مصدر الهام بالنسبة لطلاب الادب الأردني و الباحثين و الشعراء. كما كان أجداد الشيخ أبي الحسن علي الحسيني الندوي من أمه من كبار العلماء و اولياء الله و الاتقياء في عصرهم.

(فهذه السلسلة الذهبية كلها تضم في أحضانها شمس العلم و العمل)

شد الرحال شاه علم الله بن السيد محمد فضيل، للسفر إلى الحرمين الشريفين ليجعلهما مسكناً دائماً له مهاجراً من "نصيرآباد" ولما وصل إلى "جهان آباد" من مقاطعة "راي بريلى" غير ارادته نزولاً على رغبة أحد المجانيب الأولياء و اتخذ سواحل نهر سائ مسكناً له في الغابة و بنى له داراً من الحشيش و الأعشاب و بنى مسجداً من التين. فأهدى له أمير قرية "لوهانى فور" المسمى دولت خان بضعة هيكتارات من الأرض و التي عرفت فيما بعد بدائرة الشاه علم الله أو "تكية كلان" بمقاطعة "راي بريلى" غير أن أبناء أعمام الشاه علم الله اتخذوا منطقة "نصيرآباد" مسكنهم الدائم تحولوا بعد ذلك إلى دائرة الشاه علم الله مهاجرين من قرية نصيرآباد بعد أن تزوج الشيخ السيد عبد العلي النصير أبدي من بنتين للشيخ السيد محمد ظاهر واحدة بعد أخرى علماً بأن الشيخ محمد ظاهر من أحفاد الشاه علم الله. ولد الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسيني الندوي في هذه الأسرة نفسها في أوائل العقد الثاني من القرن العشرين و هكذا أصبحت دائرة الشاه علم الله مولده و منشأ طفولته.

بلاد بها تمت على تمانمي و أول أرض مسّ جلدي ترابها

بدأ الشيخ أبو الحسن علي الحسيني الندوي دراسته المبئية في حارة تدعى "تكية كلان" في مدينة "راي بريلى" ثم انتقل إلى مدينة "لكنّاؤ" عاصمة ولاية "اتراپرايش" ليتلقى دراسته المكتبية في حارة "امين آباد" في مسجد نوازي في حي "بازار جهاؤ لال" و سمى هذا الحي فيما بعد "محمد علي لين" حيث كان يقيم به والده الحكيم السيد عبد الحي الحسيني رحمه الله و أنشأ فيه عيادته الخاصة. و لكن الشيخ أبو الحسن الحسيني الندوي فوجئ بوفاة والده و هو ابن تسع أو عشر سنين فقط فاضطر إلى العودة إلى قريته "التكية" و بعد

قليل انشا اخوه الكبير الدكتور الطبيب السيد عبد العلي الحسني امين عام ندوة العلماء سابقاً عيادته في نفس المكان بل كناؤ فدعا شقيقه الاصغر ابا الحسن عليا إلى لکناؤ و تولى تدريسه و تربيته و اعتنى به عناية حب و اخلاص و شفقة اخوية. و هنا ترعرع و نشأ في احضان الشعر و الادب و تحققت له ملكة أدبية اعانته على فهم الشعر و جمال اللغة و الادب الادري. تخرج في جامعة لکناؤ العصرية و اجتاز امتحان "الفاضل" في الادب العربي و الحديث النبوي الشريف، و درس الصرف و النحو على زوج شقيقة أبيه السيد محمد طلحة أستاذ الكلية الشرقية بمدينة لاهور و استفاد من رحاب دار العلوم التابعة لندوة العلماء بلکناؤ و بدأ يستنشق في اجوائها العلمية الادبية روح العلم و الادب و درس الفقه على الشيخ شبلي الجيراج فوري، و درس الحديث الشريف على الشيخ المحدث حيدر حسن خان. سافر إلى لاهور سنة ١٩٢٩م و تشرف بزيارة الشاعر حكيم الشرق الدكتور محمد اقبال و كبار علماء العصر هناك برفقة الشيخ السيد محمد طلحة ثم تلمذ بعد سنين على الشيخ أحمد علي اللاهوري رحمه الله بأسلوب الشيخ عبید الله السندي في التفسير و التفكير في القرآن الكريم و كتاب حجة الله لصاحبه الشيخ ولي الله الدهلوي كما درس بعض السور القرآنية في نفس الاسلوب على الشيخ الخواجه عبد الحي الفاروقي أستاذ التفسير و علوم القرآن بالجامعة الملوية الإسلامية و أحد كبار علماء التفسير في تلك الاسلوب و اشترك في حلقة الشيخ حسين أحمد المدني الدراسية للحديث النبوي الشريف سنة ١٩٣٢م بدار العلوم ديوبند و استطاع حل بعض المشكلات القرآنية تحت إشرافه و رعايته.

يعتبر الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي أكبر كاتب و مؤلف موهوب باللغة العربية في الهند و الباكستان، بدأ دراسة اللغة العربية سنة ١٩٢٤م في دار الشيخ خليل محمد العرب أستاذ جامعة لکناؤ و تمرن على الكلام و الخطاب

بهذه اللغة الكريمة حيث كانت تفرض غرامة على الطلاب الذين يتكلمون بالأردية أو أية لغة محلية و عنى بقراءة الجرائد و المجلات و الصحف العربية التي كانت ترد إلى مربيه و شقيقه الأكبر الطبيب الدكتور السيد عبد العلي الحسني ثم استفاد من الجرائد و المجلات التي ترد بانتظام إلى دار العلوم لندوة العلماء و اتسع أفقه العلمي و الأدبي العربي برفقة الشيخ مسعود عالم الندوي رحمه الله و زمالته. بدأت مقالاته تنشر في المجلات و الجرائد المصرية. و في ١٩٣٠م عندما زار العلامة تقي الدين الهلالي المراكشي دار العلوم لندوة العلماء و أقام بها مدة من الزمن استاذاً و معلماً للغة و الأدب العربي بدأ عهد جديد من دراسة و ترويج اللغة العربية و آدابها و انتفع منه صاحبنا الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي مع لفيف من زملائه الآخرين. و في مايس ١٩٣٢م ظهرت مجلة "الضياء" الشهرية باللغة العربية تحت إشراف و رعاية العلامة السيد سليمان الندوي و الشيخ تقي الدين الهلالي و ادارة الشيخ مسعود عالم الندوي فكان الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي من كتابها الدائمين إلا أنها امتنعت عن الصدور بعد ثلاث سنوات، و بعد عدة سنوات صدرت مجلة "البعث الإسلامي" الشهرية و صحيفة "الرائد" نصف الشهرية تحت رعاية و إشراف الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي نفسه.

كان الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي يفضل الكتابة و الخطاب باللغة العربية مع اعطاء نصيب أوفر للغة الأصلية لغته الأم و هي اللغة الأردية. ترجمت معظم مؤلفاته الأردية إلى العربية. عين في ١٩٥٦م، استاذاً زائراً بجامعة دمشق و اختير عضو المجمع العلمي العربي بدمشق.

تفوق مؤلفاته العربية الحصر لكثرتها و اتساع رقعتها و بناء على تفوقه بالعربية كان دائم الظعن و الارتحال إلى البلاد العربية تلبية لدعوات من علمائها و كتابها و أدبائها كما يتمتع بعضوية معظم الهيئات و الجمعيات العلمية

الإسلامية العربية مما يصح أن يقال إنه كان كثير السفر و تواتر الزيارات إلى الدول العربية و لا يضاويه في ذلك أي شخصية أخرى في الهند و باكستان؛ لم تكن كتاباته و مؤلفاته العربية أقل درجة و فضلا من مؤلفات الكتاب العرب و العلماء الناطقين بالضاد من أية ناحية. و بناء على صيته الذائع و عظمته و شعبيته و ورعه و تقواه سُلم إليه مفتاح الكعبة المشرفة و كفى به فخراً.

قضى الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسيني الندوي عشرين سنة من حياته في الدراسة و تحصيل العلوم و عين أستاذا للتفسير و الأدب العربي عام ١٩٣٤م في دار العلوم لندوة العلماء. و كان من عاقته أنه لم يكن يلقي دروسه إلا بعد دراسة عميقة و جد و اجتهاد فيقوم باعداد محاضراته لتلامذته بدقة و اتقان. سافر في ربوع الهند أحيانا لجمع الأموال و التبرعات لندوة العلماء و التعريف بها و شرح أغراضها و أهدافها و مطامحها. و في عام ١٩٤٠م أصبر من جديد مجلة "الندوة" الشهرية العلمية هو و الشيخ عبد السلام القدواي الندوي ولكنها انقطعت عن الصدور بعد سنتين فقط في فبراير ١٩٤٢م. إلا أن اهتمامه بالصحافة لم يتوقف ارضاء لمزاجه الدعوى و عملاً بطبيعته التوجيهية الاصلاحية فأصدر جريدة "تعمير" نصف الشهرية عام ١٩٤٨م بالاشتراك مع صديقه الكبير الشيخ عبد السلام القدواي الندوي و كتب لها مقالات عديدة تنبع عن مزاجه الديني العلمي و تفكيره الدعوى التوجيهي، كما تمتعت جريدة "نداء ملت" الأسبوعية بتوجيهاته الرشيدة و رعايته الغالية ثم صدرت جريدة "تعمير حيات" نصف الشهرية تحت إشرافه و توجيهاته و لا تزال هذه الجريدة صادرة تحت ادارة تلاميذه النجباء حتى يومنا هذا. ثم انصرف إلى اعداد منهاج جديد للتدريس و اصلاح الاساليب و المناهج المعمول بها في المدارس العربية الإسلامية لدراسة الأدب و اللغة العربية فالف كتاب "مختارات من أدب العرب"

و "القراءة الراشدة" و "قصص النبيين" و ما إلى ذلك كما طلب من تلاميذه و أقاربه اعداد مختلف الكتب المنهجية على منواله، كانت له ملكة خاصة لاعداد و ترتيب الكتب الدراسية المنهجية. ألف كتابا دراسيا لزمه بكالوريوس طلبية لرغبة قسم الشؤون الدينية التابع لجامعة علي كره الإسلامية في ١٩٣٨م فقدمت له الجامعة خمس مائة روبية و بارك له العلامة السيد سليمان الندوي و هناه تهنية مباركة و دعا له بالخير و التوفيق.

بث الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي الروح الدينية بين طلاب دار العلوم لندوة العلماء و غرس فيهم حب الاهتمام بأهداف ندوة العلماء و أغراضها النبيلة السامية. و انشأ و دعم الرابطة بينها و بين المدارس العربية الدينية الأخرى.

كان الفقيد رحمه الله شديد الاهتمام بنشر تعاليم الدين و الدعوة إليه. فصرف جُلَّ عنايته و أوقاته إلى مهمة تبليغ الدين و نشر رسالة الإسلام و الإرشاد و التوجيه. و امتنع عن مواظبة مهمته التدريس الرسمية إلا أن علاقته بندوة العلماء كانت علاقة عائلية و رابطة متوارثة منذ الأجيال و سرى حبها مسرى الروح و الدم في جسده حتى أصبح فيما بعد جل همه و مقصد حياته. اختير عضو المجلس الإداري لندوة العلماء في منتصف ١٩٤٨م ثم عُين المشرف التعليمي العام بالنيابة في يناير ١٩٤٩م. و عُين المشرف العام لندوة العلماء إثر وفاة العلامة السيد سليمان الندوي عام ١٩٥٤م. ثم عُين الأمين العام لها إثر وفاة شقيقه الأكبر الطبيب الدكتور السيد عبد العلي الحسني الندوي.

ذاع صيت ندوة العلماء و تخطت شعبيتها الأفاق حيث حققت تقدما منقطع النظير في مجال العلم و الدين و الأدب و ازدادت بناياتها عدداً و اتساعاً

و انشئت فيها مختلف الأقسام و الأجنحة و استقرر وضعها المالي و انتشرت فروعها التربوية و التدريبية في مختلف المدن و المقاطعات احتفلت ندوة العلماء بمرور ٨٥ سنة على تأسيسها فأقيمت ندوات دولية كبيرة حتى أصبحت المهرجانات العلمية و الاجتماعات الدينية من سماتها المميزة و خصائصها اليومية البارزة. و الحق أنه ترك آثاره السرمدية الدائمة على كل شبر من أرض ندوة العلماء و رحابها الطاهرة.

لعمرك ما وارى التراب فعاله و لكنما وارى ثيابا و اعظما

تربطه رابطة حب و اخلاص و توجيه و ارشاد لكثير من الهيئات و المجالس و الجمعيات في الهند و العالم الإسلامي فكل جمعية أو هيئة تعتر بانتمائها إلى تلك الشخصية الفذة. أما علاقته "بدار المصنفين" فكانت عميقة الجذور فكان يولى اهتماما كبيرا بتلك الدار منذ نعومة أظفاره و يشارك جميع نشاطاتها و اهتماماتها حيث كان وثيق الصلة برئيسها المؤسس العلامة السيد سليمان الندوي و زميله الشيخ مسعود علي الندوي مدير شئونها الإدارية و يسره نجاحها و تقدمها. كما كان أخوه الأكبر الدكتور السيد عبد العلي الحسني عضوا في مختلف أقسامها و أختير رئيسا لها بعد وفاة الشيخ المفسر الأييب عبد الماجد الحريا بادي كان الشيخ الندوي رحمه الله بمثابة الروح و الدم في جسد دار المصنفين بعد وفاة الدكتور محمود أحد كبار زعماء حزب المؤتمر الوطني الهندي و الشيخ شاه معين الدين أحمد الندوي رحمهما الله، يحضر جلساتها و ندواتها بانتظام و يبذل جهوده و مساعيه لانجاح احتفالات اليوبيل الذهبي و الندوة الدولية فيها تحت عنوان: "الإسلام و المستشرقين". كما قامت "دار المصنفين" بنشر و توزيع مؤلفات والده "كل رعنا" و "الثقافة الإسلامية في الهند" و ترجم هذا الكتاب إلى اللغة الأربية. و نشرت الطبعة الأولى من الجزئين

الاولين من تاليف الشيخ أبو الحسن الندوي الشهير "تاريخ الدعوة و العزيمة" كان دائم الانتظار لوصول مجلة "معارف" الشهرية الصادرة من دار المصنفين و يشكو أي تاخير في وصولها إليه كل شهر، يقرأها و يحبذ محتوياتها. سأل بعض الناس أخيراً أي مجلة تفضلها بين المجلات فقال أفضل مجلة "معارف" و أقرأها بانتظام. كما يسعى لمساعدة دار المصنفين من الناحية المالية و المادية بأسلوبه الخاص. قدم له السيد باهوجنا رئيس وزراء ولاية اترابرايش سابقاً مبلغاً قدره مائة ألف روبية أثناء رئاسته للحكومة الاقليمية لانفاقه في شئون نخوة العلماء فحوله إلى "دار المصنفين".

كتب مقالاً قيماً جداً تقديمياً للجزء السابع لكتاب "السيرة النبوية" لمؤلفه العلامة السيد سليمان الندوي رحمه الله فأعجب هذا المقال جنرال ضياء الحق الشهيد اعجاباً كثيراً فأراد ان يهدي مائة ألف روبية للشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي فرفض الهدية بلطف و امتنان قائلاً: "إن الذي يستحق هذه الهدية القيمة هو دار المصنفين و أرملة العلامة السيد سليمان الندوي فقدم نصف المبلغ إلى دار المصنفين و النصف الآخر إلى السيدة أرملة العلامة السيد سليمان الندوي.

اعطت له في آخر أيام حياته حكومتا أبوظبي و بروناي مبلغاً كبيراً جداً فوزعه على المدارس الحينية و دار المصنفين. كانت هذه الدار تتلقى مبلغاً كبيراً سنوياً من رابطة العالم الإسلامي بتوصية من الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي إلا أنه انقطع منذ مدة و لأسباب مجهولة.

وهب الله له ملكة خاصة للكتابة و الخطاب فكان خطيباً مصقعا ممتازا و كاتباً قديراً موهوباً باللغتين الأردية و العربية. لم يوفق أي شخص من

معاصريه بكثرة القاء الخطب و التأليف إلا ما شاء الله. و كان من اختصاصه إنه استغل قدرته هذه في وجوه صحيحة. يستهدف من كل كلمة كتبها أو القاها اعلاء كلمة الله و رفع راية الإسلام كانت خطبه و كتبه ذات تاثير عميق لدى القراء و المستمعين بل و ينقل حرارة إيمانه و حلاوة عقيدته إلى قلوب سامعيه و أذان قرائه فتفيض عيونهم أحيانا مما يجدون فيها من حلاوة الإيمان و تاثير العقيدة. و عندما انشا الشيخ عبد السلام القدواي الندوي إدارة تعاليم الإسلام في ١٩٤٣م في مدينة لكاناؤ و حمله مسئولية القاء الدروس حول القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف في تلك الإدارة كل اسبوع فزحف إلى تلك الحلقات الدراسية جموع غفيرة من المثقفين و أصحاب المناصب العالية و أفراد الطبقة العليا من المجتمع الإسلامي و رجال الدين و العلم لما أوتي من اعجاز البيان و فصل الخطاب و وجهت إليه دعوات لالقاء الخطب و تقييم المقالات في الاجتماعات الكبيرة و هو لا يزال حديث السن. و يلقي محاضرات في الاجتماعات و الندوات العلمية الهامة نيابة عن ندوة العلماء و حضر اليوبيل الفضي للمؤتمر التعليمي الإسلامي عام ١٩٣٦م في علي كره و اشترك في ١٩٣٨م اجتماعه الذي عقد في مدينة "بتنا" عاصمة ولاية بيهار. و في ١٩٤٢م، ألقى محاضرة قيمة تحت عنوان "مذهب و تمدن" (الدين و المدنية) تلبية لدعوة وجهها إليه قسم الشئون الدينية بالجامعة المليية الإسلامية و التي نشرت هذه المحاضرة فيما بعد في شكل كتاب قابلته للاوساط العلمية بالترحاب و القبول.

كان رحمه الله مولعاً بالأدب و الشعر و الانشاء منذ صغره و يتجلى ذلك في جمال أسلوبه و حسن تعبيره و صفاء تفكيره و شفافية محجته و لم تفقد كتاباته و خطاباته روعتها و عمق تأثيرها و اعجاز بيانها حتى عند كبر سنه و اضمحلال صحته. تدل مؤلفاته: "سيرة السيد أحمد بن عرفان الشهيد"

و "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" و "الأركان الأربعة" و "نبي الرحمة" و "المرتضى" و "تاريخ الدعوة و العزيمة" وغيرها، على جهوده و مساعيه الطيبة و سبر غور الموضوع و البحث فيه و التحقيق و دقة النظر و نفاذ البصيرة من ناحية و يتجلى من ناحية أخرى علو الفكر و جمال الأسلوب و قوة الملاحظة و نضارة معانيه و صفاء أدائه و نقاء ذهنه و تبلور أفكاره. نالت جميع مؤلفاته شعبية واسعة و حسن القبول في الأوساط العلمية و الأدبية و الفنية و الدينية. و ترجمت كتاباته الأربية إلى العربية و ترجم ما كتبه بالعربية إلى الأربية و معظمها ترجمت إلى الانجليزية و لغات عالمية أخرى. قدمت له جائزة الملك فيصل الشهيد عام ١٩٨٠م نظرا إلى خدماته الجللى في حقل الدعوة و الإرشاد فوزع جميع مبالغها و جميع أموالها التي قدمت له كجوائز دولية لخدمة الدين و نشر رسالة الإسلام و تعاليمه و لم يترك لنفسه أو لذويه فلسا واحدا.

كان من مؤيدى حركة التحرير و محبا للوطن منذ نعومة أظفاره و توارث من أجداده الكراهية و النفور من الإنجليز حيث شاهد و هو ابن ثماني سنوات فقط تصاعد حركة الخلافة و قوتها و ثورتها كما تأثرت تأثرته في الثلاثين من شهر مارس سنة ١٩٢٤م عندما ألغى كمال اتاترك إدارة "الخلافة" بواسطة حكمه المستبد بمساعدة من الإنجليز و زادت حبه للوطن و كراهيته للإنجليز تلك الأيام التي قضا في حضرة الشيخ حسين أحمد المدني في جامعة ديوبند.. يرى أن الإنجليز و الأفكار المادية الهدامة المتفشية في أوربا كلها مؤامرة ضد الإسلام و المسلمين و يراها أشد و أخطر من السم القاتل، و توصل إلى هذه النتيجة من وراء دراسته و تجاربه الواسعة و على الرغم من كونه بعيدا عن ممارسة السياسة العملية يميل هو و أعضاء أسرته إلى جمعية علماء الهند و مجلس

الاحرار آنذاك. و عندما اتخذ حزب المؤتمر الوطني قراره الحازم "اتركوا الهند" ضد الانجليز عام ١٩٤٢م، استحسنة و أعجب به و حبذ موقف العلماء الذين انضموا إلى حركة تحرير الوطن و استقلاله من الحكم الإنجليزي الاستعماري ولكنهم لم يستسلموا للاستبداد و الظلم عندما تغير موقف الحكام و المسئولين الهنود بعد الاستقلال و أصبح المسلمون ضحية مركب النقص و فريسة الياس و القنوط. عُقد اجتماع كبير للمسلمين في دار العلوم لندوة العلماء على دعوة من الشيخ السيد ابو الحسن الحسني الندوي عام ١٩٤٨م و قرروا فيه خطة عمل للمستقبل و انشأ مجلس التحقيقات و النشر الإسلامي لمقاومة الارتداد الفكري و العقائدي و فساد الاخلاق و الغزو السياسي و الحضاري من أوربا كما أنشأ مجلس التعليم و التربية الديني تحت قيادته و توجيهاته للصمود أمام المعتقدات الوثنية المشركة و الافكار الهندوكية الأسطورية الخرافية و الابطال المتفشية في الحياة الاجتماعية الهندية. أصدر جريدة "نداي ملت" لملا فراغ القيادة الجديدة للمسلمين الفكرية الجريئة و تنشيط و انعاش القيم الخلفية الروحية الإسلامية فيهم.

و عندما وقعت مشاجرات طائفية مروعة في مدن كلكتا و جمشيد بور و راور كيلا في ولاية البنغال الغربية بالهند الشرقية عام ١٩٦٤م صحت عزيمته على الاهتمام بذلك الوضع الطائفي المحمر في ربوع الهند نهض و شمر عن ساق الجد. رأى أن الوضع السائد آنذاك يحتاج إلى معالجته فوراً بعد ايقاف جميع النشاطات التعليمية و التربوية الأخرى بصورة مؤقتة. و رأى أنه لا بد من تحقيق التعاون الفعال و المشاركة من زعماء الاغلبية الهندوكية من نوى العقول السليمة و أصحاب الجراءة و البسالة الفائقة لتعزيز و دعم الحركة الاصلاحية. فاجتمع برفقة الشيخ محمد منظور النعماني رحمه الله مع ابرز زعمائهم من

أمثال ونوبابهاوى و السيد جيا براكاش نارايان. تأسست على إثره هيئة باسم "مسلم مجلس مشاورت" أو مجلس الشعوري الإسلامي في ندوة العلماء تحت قيادة أحد كبار زعماء المسلمين من حزب المؤتمر الوطني الحاكم آنذاك الدكتور السيد محمود. و انضم إليه الشيخ أبو الحسن بكل ما أوتي من عزم و جزم. ثم انشأ حركة "بيام انسانيت" (رسالة الإنسانية) لإخراج البلاد من هوة الهلاك و الانحطاط الأخلاقي و سد الفجوة بين الهناك و المسلمين. ترأس مجلس الأحوال الشخصية للمسلمين للحفاظ على القوانين العائلية الخاصة للمسلمين، زرفت عيناه الحموع عندما استشهد المسجد البابري بمدينة "ايودھيا" بولاية اترابرايش بأيد آثمة من المتطرفين الهندوس.

و خلاصة القول أن قلبه النابض المتألم لقن دروس الحق و الصداقة و الحلم و الأناة لأبناء وطنه كما لقن المسلمين دروس العدل و الجراءة و البسالة الفائقة في كل مرحلة صعبة خطيرة. و أوصاهم بعدم الخضوع للظلم و الاستبداد و أمرهم بتوحيد صفوفهم و الصمود و أمام الفساد و الطغيان.



شخصية القرن العشرين

بقلم: الشيخ وحيد الدين خان تعريب : السيدة رضيه سلطانه واحدي

انتقل إلى رحمة الله علم من اعلام العالم الإسلامي المعروف بالسيّد أبي الحسن علي الندوي، نور الله مرقدّه في اليوم الأخير من الشهر الأخير للسنة الأخيرة من القرن العشرين، ٢١ / ديسمبر في سنة ١٩٩٩م يوم الجمعة. ولد الأستاذ أبو الحسن في سنة ١٩١٣م. كان شخصيته البارزة قد احاطت بالعهد الممتد على مئة عام تقريباً. ليعتبر ميزة بارزة لهذه الفترة من الزمن فلا بد أن يعرفه التاريخ كشخصية القرن.

كان الأستاذ أبو الحسن تتجلى في شخصيته مزايا متنوعة متعددة في وقت واحد. فكان عالماً بارزاً، سجلت دار العلوم ندوة العلماء بلكناؤ تقديماً غير عادي تحت إشرافه كما أشرف على هيئة الاحوال الشخصية لعموم الهند للمسلمين كرئيسها و على كثير من المعاهد الإسلامية و كان له صلات قوية مباشرة أو غير مباشرة مع كافة الحركات الإسلامية الهامة الكبيرة الناشئة في القرن العشرين و كان يحترمه كل من رآه مهما كان ينتمي إلى أفكار أو أحزاب شتى، فإنه يستحق بأن يُعرف كشخصية دولية.

قد يشهد الزمان أن شخصاً خاصاً يحتل مكانة ممثل لأمته - كما وفق الله شيخنا الأستاذ أبا الحسن على الحسنی الندوي ليفوز بهذه المكانة المرموقة - فاصبحت شخصيته، ثروة قيمة و رمزاً نادراً لوحدة الأمة الهندية، و رابطاً قويا

فيما بين البلدان وسكانها، كمرجع ديني علمي و ثقافي لمواطني الدول المختلفة يفزح إليه الناس في مشاكلهم المادية و الروحية و يثق برأيه السلطات الحكومية و الأحزاب السياسية كلما حصل نزاع أو إرتباك في مسائل أو خلاف بين طبقات الأمة.

لقد جمع الاستاذ أبو الحسن النوي في شخصيته كافة هذه الميزات المتنوعة بتمامها و كمالها، فقد وصفه الشيخ محمد منظور النعماني رحمه الله مرة بلقب "رجل موهوب" و ذلك ما يصح و يصدق بأجمع مفاهيمه على شخصيته الفذة امتنت صنائعه البيضاء على كامل القرن تقريباً كأنه تحول إلى قرن حي متحرك في ذاته، هدأت هذه الشخصية المتحركة المضطربة في آخر سويعات القرن العشرين و استأثرت لقاء ربه فانتقلت إلى الرفيق الأعلى.

كان الاستاذ أبو الحسن علي النوي يمتاز بشخصية جامعة تتجلى فيه سمات مختلفة متنوعة في وقت واحد. بلغنا قول عالم كبير الشيخ مناظر أحسن الكيلاني إن ما تحققه أكاديمية في أوربا يقوم بتحقيقه أسمى واحد عندنا في الشرق أي ما يقوم به مجمع علمي كبير من المجامع الكبيرة في أوربا يفوز بمثله من الأعمال الجبارة رجل واحد في الشرق. كان الاستاذ أبو الحسن نموذجاً صادقاً لهذا المقال. فإنه كان فرداً واحداً ولكنه تم على يديه من الأعمال الضخمة التي تماثل حصيلة معاهد كثيرة.

كان الاستاذ أبو الحسن حاول بنجاح تربية المسلمين في العلوم الدينية بمعهد مثالي كدار العلوم التابعة لندوة العلماء على جانب، و نظم توفير المعارف العصرية بمؤسسة الدراسات و البحوث الإسلامية في "لكزمبرغ" على آخر. كما أثار حمية دينية عملية بخطاباته المصقعة في قلوب المسلمين حيناً و أوجد شعوراً علمياً عميقاً و يقظة ثقافية إسلامية بكتاباته المقنعة المؤثرة في عقولهم أحياناً.

إنه قام على جنب بحماية المسلمين الهنود المليية و الدينية بهيئة الاحوال الشخصية الهندية للمسلمين و اجتهد لإعطاءهم منصب الدعاة إلى الله بحركته المعروفة "ببام انسانيت" أي رسالة الإنسانية، على جنب آخر كما أثار عواطف الدفاع عن الإسلام في قلوب أتباعه بكتاباتة مثل "ردّة و لا أبابكر لها" مرة فقد استلقت اهتمام المسلمين مرة أخرى نحو الأعمال الإيجابية البناءة بكتابه القيم المعروف "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" إنه بذل مجهوداته الطيبة في سبيل إيجاد وحدة الكلمة بين مسلمي العالم كعضو فعال لرابطة العالم الإسلامي و أثار حُب اكتساب العلم و المعرفة و الادب كرئيس رابطة الادب الإسلامي العالمي مدى الحياة. إنه قام بإحياء العلوم القديمة بحركة إقامة المدارس و المجالس الدينية و مع ذلك ركّز مساعيه المشكورة على إيجاد خبرة و براعة عصرية في مجال العلوم الجديدة بين المسلمين كرئيس المركز الإسلامي التابع لجامعة اكسفورد.

كانت شخصية الاستاذ أبي الحسن مجموعة مثالية لكثير من القيم النبيلة العليا، منها ما برزت كعادة الإستغناء عن الدنيا كما يقال "استغن عن الدنيا فتسرع الدنيا إليك"، أصبح الاستاذ المرحوم مستغنياً عن الدنيا و ما إليها فجاءت إليه الدنيا مهرولة و ألقت بما فيها و تخلت في قدميه.

مرة قام أمير من الأمراء العرب بزيارة ندوة العلماء لكتناؤ فاقيمت له حفلة ترحيبية خطب فيها الاستاذ أبو الحسن و ذكر اثناء خطابه قول أحد الشيوخ العرب: "نعم الأمير على باب الفقير و بثس الفقير على باب الأمير" و هذا ما يدل على جراته لأفضل الجهاد "كلمة الحق عند سلطان جائر". لقد بقي شيخنا العلامة الندوي طيلة حياته معرضاً عن الدنيا و علائقها و لكن الدنيا و ما إليها سلمت إليه كلما تملكه من الموارد و المصادر.

عدد ممتاز

قدّم إلى الأستاذ المغفور له مناصب و جوائز عالية أمثال جائزة الملك فيصل و جائزة الامتياز من سلطان بروناي و جائزة فخرية من الإمارات العربية المتحدة و نحوها.

كانت شخصية الأستاذ أبي الحسن علي الحسني الندوي مثلاً واقعياً رائعاً للحقيقة المعترف بها عالمياً أن المال و المتاع و المنصب و العزة و الكرامة كلها تابعة للإنسان و ليس الإنسان تابعاً لأي منها. و إذا علا الإنسان بإنسانيته حصل له كل شيء منها تلقائياً بدون أن يبذل في سبيله أدنى كد أو جهد.

قال أحد من الشعراء عن شخص يعرفه بأوصافه الجميلة معناه إنه مجلس أو جماعة في ذاته و يصدق هذا القول بشيء من التعديل على شيخنا أبي الحسن أنه كان عالماً في شخصه من الفرق إلى القدم و قد صدق القائل موت العالم موت العالم. كأننا فقدنا في وفاته مجلساً علمياً كاملاً و عهداً ثقافياً بأسره. و لكننا يبعث على الصبر و التسلية أن الأستاذ المرحوم خلف جيلاً كاملاً من تلاميذه البررة و عدداً كبيراً ممن ينتسبون إليه من الدارسين و المتعلمين الصغار. و يستمدون من نكرته العطرة قوة الحياة و روح المقاومة السلمية ضد كل ما يضر بروح الإنسانية و يوذى عباد الله الصالحين.

أرجو الله سبحانه و أدعوه أن يوفق المستفيذين من تربية الأستاذ المرحوم ليكونوا نماذج مثالية و مصداقاً واقعياً لما قاله أحد فحول الشعراء العرب:

إذا مات منا سيدٌ قام سيدٌ

قؤول لما قال الكرام فعول



الشخصيات و الكتب التي أسهمت في بناء شخصية سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الندوي

بقلم: الأستاذ أبو سحبان تعريب: اس. ايه. صديقي

يقول العلامة السيد سليمان الندوي عن العائلة الشهيرة التي ينتسب إليها
العلامة أبو الحسن علي الندوي:

"هي العائلة البارزة التي قد بدأت عملية نشر السنة و قمع دابر البدعة
و الخرافات قبل قرن و التي تنير أنوار بركتها كافة أنحاء البلاد." (١)

ويمكن لنا أن نفهم بالتفصيل خلفية عائلته العلمية و الدينية
و الإسلامية في الصفحات الخمس و الستين الأولى من كتابه
الشهير "حياة عبد الحى" و المجلد الأول من سيرته الذاتية "كاروان
زندكى" (مسيرة الحياة).

و الميزة الأساسية الهامة لعائلته الشهيرة هي تدوين التاريخ و كتابة
التراجم و الاهتمام بالأدب و الحديث و يدل على هذا السلسلة الذهبية
من المؤلفات "مقام الإسلامى" و "صمصام الإسلام" و "أعلام الهدى"
و "مهرجان تاب" و "سيرة السادات" و "سيرة علمية" و "نزهة الخواطر"
و "الثقافة الإسلامية في الهند" و "الهند في العهد الإسلامى" و "كل رعنا"
و "تهذيب الاخلاق" و "رجال الفكر و الدعوة".

يقول العلامة في التعريف بعائلته العامة:

"إن عائلتي عائلة دينية أصابها الخريف، سلفنا قد بلغوا رسالة الدين السامية في الربيع فلما توقف هبوب الريح الدينية في الهند أصابها الانحطاط و عندما ترعرت و بلغت أشدى وجدت الشيب أكثر التزاماً بالدين من الشباب و النسوة أوفى ديناً من الرجال.(٢)

و يقول عن راسته الابتدائية:

"ارتحل أبي الحكيم السيد عبد الحى في بداية ١٢٢٣هـ و كنت ابن عشر سنوات و كان أخى الأكبر السيد عبد العلي يتعلم في كلية الطب بلكناؤ و كنت أنا مقيماً مع أمي في بلدة رائ بريلى و كنت أتعلم كتب الفارسية على بعض العلماء الكبار و أتردد على أخى في لكناؤ." (٣)

و في أيام طفولته كان يتلى في بيته كتاب "صمصام الإسلام" للسيد عبد الرزاق كلامى (١٢٣٤هـ/١٩١٦م) و هو في الحقيقة ترجمة شعرية باللغة الأربية للكتاب الشهير "فتوح الشام" لأبي عبد الله محمد بن عمر الواقدي و تشتمل على خمسة و عشرين ألف بيت، فلنستمع إلى ما ترك من تأثير على شخصية الشيخ الندوي فهو يصوره:

"و لما كانت خالتي المرحومة تنشد هذه الأبيات البديعة بأسلوب بسيط و بدون أي صنعة و لكن بصورة مؤثرة ساد على الحضور جو من الجهاد و كلمات ذكر شجاعة خالد بن وليد رضي الله عنه و بسالته و ضرار بن الأزور رضي الله عنه و أخته خولة و غيرهم من الصحابة و مجاهدي الشام أثر ذلك في المستمعين تأثيراً بليغاً و كلما ذكرت الملحمة عودة المسلمين إلى بيوتهم من معركة شديدة أو شهادة أي شجاع من المسلمين بكت العيون مدراراً و كان ذلك

يترك تأثيراً بليغاً في قلوبنا الصغار.(٤)

و يقول عن تأثير هذه المجالس في قلبه:

"وقد تركت هذه المجالس الحية لكتاب فتوح الشام على القلوب أثراً بالغاً لم يقلل أي دراسة جديدة أو محاولة علمية لإثبات الجهاد دفاعاً من محبة وعظمة هؤلاء المجاهدين وقيمة الشهادة في سبيل الله جل ومجده، فلم تمح آثار الحبر آثار الدم التي تثبت بكل اطمئنان وسكون على صفحات التاريخ المزور وخاصة إذا كانت هذه الآثار ترسخت في سن البراءة و الطفولة"(٥)

وكما أن هذه المجالس تركت أثراً آخر على أفكار و آراء الشيخ أبي الحسن الندوي فهو يقول بنفسه:

"والتأثير الآخر هو أن هذه المجالس أحدثت في نفسي مشاعر مناوية ومنافسة ضد هذه الديانة (المسيحية) واتباعها. التي كتبت لها أن تكون خصماً ومنافساً للإسلام إلى يوم القيامة على الصعيد العالمي. و التي ورثت أوروبا الراهنة وتمثلها. و لم تتغلب عليها قط القضايا و الظروف المحلية لبلد ما".(٦)

وقد كان لديوان الشاعر الطاف حسين الحالي المسمى "بالمسدس" التي كانت رائجة و شائعة في بيوت الشرفاء بذلك الوقت و كانت جارية على لسان كل شخص فقد قرأ الشيخ علي الندوي أيضاً هذه الأشعار مراراً و تكررراً بكل رغبة و شوق و قد حفظ معظمها عن ظهر قلب و كانت لها تأثير بالغ في شخصيته. و يقول عنه بنفسه:

"بعد مضي حقبة من الزمن على تاريخ الإسلام حاول الكتاب و المؤرخون

الغرب أن يمحوا العرب الجاهليين إلى درجة أنه لو كان يوجد فيهم مثقال ذرة من خليقة، يرونها بواسطة المنظار و يعرضونها كالجبال لإثبات أن العرب كانوا على استعداد تام للثورة الأخلاقية و كان البركان على وشك الانفجار. إذ تم اغتنام هذه الفرصة بإشعال النار فيه. في الحقيقة هذه المؤامرة العلمية لم تكن إلا تقليل أهمية الثورة النبوية و قداستها و الاستعانة بمعجزة رسول الله صلى الله عليه و سلم. إلا أنها لم تتغلب على ما ترك بعض الأبيات البسيطة الجذابة لللطاف حسين الحالي من تأثير في قلبي و التي صور فيها العصر الجاهلي و الانحطاط الخلقي الذي وقع فيه العرب كما أنه لم تستطع كتابات بعض العرب القوميين الذين يحاولون أحيانا الدفاع عن العرب الجاهليين تحت تحمس وطني و يبالغون في ذكر بعض الأوجه الوضاعة للحياة الجاهلية." (٧)

و الكتاب الذي أثر في الشيخ النحوي كثيرا في هذا العصر الابتدائي لدراسة اللغة الأربية هو ما قام بتأليفه القاضي محمد سليمان المنصور بوري (م ١٩٣٠م) * و هو الذي يسمى "رحمة للعالمين".

يقول الشيخ النحوي بعد ذكر خلفية الحصول على هذا الكتاب البارع القيم:

"فظفرت بالكتاب و قرأته مرارا و تكرارا و في مكان غير واحد لم أتمالك و جاش قلبي و زفرت عيناى و بعض الوقائع الإسلامية أثرت فيّ خاصة أحاديث دعاة العصر البدائي و مواجهة الحياة المكية و المدنية المنورة لـ "مصعب بن عمير رضي الله عنه و وصول النبي صلى الله عليه و سلم إلى المدينة و فرح الأنصار الكرام به و ترحيبهم به ترحيبا حارا و تقديم أنفسهم له و تضحية الأنصار و محبتهم الدينية الخاصة للمهاجرين و وقائع رحلة النبي صلى الله

عليه و سلم إلى جوار رحمة ربه و ما إلى ذلك كنت أتلوه قائما و قاعداً و ماشيا و جالسا على غيري من السامعين و أتمنى لو كانت لي مثل تلك.... فأول ما عرفت عن طريقه هو محبة النبي صلى الله عليه و سلم التي بدونها لا قيمة للحياة و لا وزن للعالم" (٨).

ثم قرأ "الفاروق" للكاتب الشهير الأديب المرموق الناقد العلامة شبلي النعماني و قرأه مرارا و تكرارا و يقول عنه:

"الجمل القصيرة و الفقر البليغة التي صور بها العلامة شبلي النعماني حروب العراق الدامية و البويب و القاسية و غيرها هي خلقت أثرا بالغاً عجزت عنه "شاهنامة الفردوسي" (ملحمة ملوك الفرس) بأشعارها الجميلة و كلماتها الرائعة البليغة أن جمل "الفاروق" الحية و الفاظها الحلوة تعمل عمل السيوف الصارمة و الرماح فالمحاولة التي قام بها العلامة شبلي النعماني عن تقديم صورة نظام الخلافة كنت عاجزا عن فهمها في ذلك الوقت و الآن ليست لي رغبة فيها و لا تأثير علمي لها و لكن أثر الوقائع كان و لا يزال حتى الآن...." (٩)

و خلال إقامته ببلدة "رائي بريلى" درس العلامة الندوي اللغة العربية و النحو و الصرف على يدي السيد طلحة الحسني (الماجستير) أستاذ الكلية الشرقية بلاهور (Oriental College Lahore) و اعترف به العلامة الندوي في غير موضع من تاليفاته القيمة. و يقول عنه:

"إن له فضل كبير في تعليمي اللغة العربية حيث أنني تعلمت منه قراءة العبارة صحيحة و القضايا النحوية الأخرى للعربية التي سرت و رسخت في تفكيري بالإضافة إلى تعلم قواعد العربية النحوية و الصرفية فقد تلقيت منه

عدد ممتاز

كثيرا من الفوائد الأخرى و التربية الذهنية و الفكرية و الشعور بالتاريخ و أخذت
حظا من الثقافة المتنوعة التي امتاز بها عن غيره من معاصريه البارزين". (١٠)

يقول في موضوع آخر:

"تعرفت في معايشة العم المكرم المحترم السيد طلحة الحسني على
كتاب "آب حيات" سمعته و قرأته غير مرة حتى حفظت بعض مواضيعه
و ارتسم على ذهني كلام الشعراء و الشخصيات البارزة كالنقش في الحجر حيث
يرصد الذهن في الطفولة كل ما يسمع أو يرى الطفل بدون أي تعب" (١١).

و استفاد من مجالسته كثيرا و رسخت في قلبه عظمة السلف، و يقول
بنفسه:

"إن مجالسته كانت تخلق في الأذهان الشعور بعظمة السلف و الوقوف
على درجات المتقدمين من آبائنا و الاحساس بمحبة العلماء من أهل السنة
و المحبثين فانه كان له فضل كبير في هذا الصدد و غرس فيّ بذور المحبة
و الاحترام و التقدير للسلف الصالحين و حملة السنة النبوية الغراء و لا يزال هذا
التقدير قائماً حتى الآن و لم يؤثر على ذلك أية بحوث أو دراسات أو مصاحبة
الناس" (١٢).

يقول عن كتاب والده "كل رعنا":

"إن "كل رعنا" كان من الكتب التي ألفت في بيتي، أنا قرأته غير مرة
و الذي زودني بالمعلومات عن تاريخ الشعر و الشعراء إلى درجة أنني أصبحت
قائرا على المشاركة في المحافل التي يدور فيها الحديث عنهم". (١٢)

خلقت مصاحبة لإبن خاله السيد أبي الخير البرق الحسني الذوق اللغوي
وقدرة التمييز بين الخير و الشر و النافع و الضار.(١٤)

فيقول:

"و كان أخوه الصغير الحافظ السيد حبيب الرحمن له اهتمام بالشعر
الأردني و الشعراء، و كان من عادته أنه كان يسأل الأطفال عن معاني الشعر
و يعقد المسابقات الخطابية و الكتابية في اللغة الأربية. و كانت له رغبة
خاصة في شعراء اللغة الأربية البارزين أمثال الحكيم مؤمن خان مومن
و أسد الله خان غالب الدهلوي و ذوق و الخواجه حيدر علي آتش اللكنأوي
و أمير ميناوي. فأتعبت نفسي في فهم كلامهم و التعود على النظر فيهم...(١٥).

و قد تأثرت في هذا العصر البدائي من عمري و في الذوق البدائي للغة
الأربية بنثر "آزاد" الذي هو نموذج رائع حي للآدب الأردني المنثور كما كتبت
صفحات عديدة بأسلوب "نيرنك خيال" و "آب حيات" و لكن بدون جدوى إلا أنها
لم تكن خالية من منفعة رغم قلة معرفتي في هذا المجال".(١٦).

و في مجال كتابة المقالة تأثرت أولاً بأسلوب "ياد أيام" الذي قام بتأليفه
والدي المرحوم و الذي هو نموذج سلس للغة السانجة الحية و الذي يجمع بين
متانة التاريخ و بلاغة اللغة فالمقالة الأولى التي كتبتها على هذا الأسلوب حسب
ما أذكر هي عن "الانجلس".(١٧)

"عقب البدء بدراسة اللغة العربية علمني أستاذي الشفيق الشيخ خليل بن
محمد بن الشيخ حسين اليمنى سورة "الزمر" و رجاء أن يرسم على قلبي عقيدة
التوحيد بكل اهتمام و عناية فالتوحيد كان موضوعاً محبباً لديه فقد علمني
برحابة صدره حتى شرح الله صدي لذاته فأرى منذ ذاك اليوم إلى الآن إذ أنكر

ذاك اليوم يمتلئ قلبي بالشكر و العرفان لله عز و جل و لا يزال تأثير شرح الآية الكريمة : "الا لله الدين الخالص" باق و كذلك أجد فحوى الآية: "ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى" نظرية و أهمية لم تزل جزءا أساسيا لفلسفة الشرك و هي أوهم من بيت العنكبوت". (١٨)

فلننظر قصة تعلم اللغة العربية و الاستفادة من المنهج الدراسي الذي اختاره الشيخ خليل من خلال ما كتبه الشيخ الندوي بقلمه:

"فقد كان للشيخ خليل منهج دراسي خاص بتعليم الأدب العربي و كان جيدا بالنسبة للهند و بل بديعا و كان له اليد الطولى في نقل نوقه إلى تلامذته. إنه علمنا بكل عناية مبادئ و قواعد اللغة العربية و ذلك بسلسلة "المطالعة العربية" التي صدرت في مصر و "الطريقة المبكرة" المشتملة على ٥ أجزاء و "مدارج القراءة" جزء واحد و "كلىة و منة" لابن المقفع و "مجموعة من النظم و النثر" و "نهج البلاغة" و "ديوان الحماسة" و "سقط الزند" لأبي الأعلى المعرى و "دلائل الإعجاز" للجرجاني و "مختصر تاريخ آداب اللغة العربية" و "رسالة الضريري" لأبي الحسن على الضرير و في هذا الصدد اعتنى كثيرا بالتمرينات و الممارسات خاصة و التي لا تزال تنفعنى من ناحية أخرى". (١٩).

و أما خصائص درسه فهي كما يقول الشيخ الندوي:

"و من خصائص درسه أنه لم يكن تعليمًا لمختلف العلوم و المعارف و اللغات في آن واحد بل كان التركيز على تعليم اللغة العربية و آدابها فحسب و كانت واسطة وحيدة للتحديث و الكتابة و أصبحت هدف و غاية حياتنا و مماتنا".

و كان من خصائص الشيخ أنه كان يشير علينا ممن يحبه من الكتاب

البارزين وكتبهم القيمة بحيث أنها نموذج وحيد للأسلوب و طرق الاداء و أساليبهم الأدب و الذوق و فقد كانت ترتسم على أذهان الطلاب و تسيطر على عقولهم و كان الطلاب يقلدونها، و يحنون حنوها فإبن المقفع و الجاحظ في النثر و الجرجاني في الذوق الأدبي و النقد و فهم الكلام و المتنبي و البحتري في الشعر فالطلاب كانوا يعتبرون سعادة لهم أن يحنوا حنوه في الكتابة و كاتب هذه السطور قد حاول أن يكتب على طراز إبن المقفع و صاحب نهج البلاغة و الجرجاني فأفادني هؤلاء كثيراً". (٢٠)

و هناك نكتة تعليمية للشيخ خليل يذكرها الشيخ الندوي:

"و كان من خصائص دروس العلامة خليل أنه يلقي الطلاب أن ميراث الأدب و الذوق تراث للطلاب الذين لهم ذوق خاص فلا يخافون في الاستفادة منه و الاستخدام له و بفضل هذا التشجيع استخدمنا الجمل و التعابير المختارة من أولئك الرجال في كتاباتنا و حصلنا على جوائز". (٢١)

و يقول:

لدى البدء بهذا المنهج الدراسي أعطانا أستاذي الشفيق الشيخ خليل "النظرات" للسيد مصطفى لطفى المنفلوطي و سيطر هذا الأديب الفنان على عقولنا فكتبنا المقالات على مواضيعه و اتبعنا أثره لمدة طويلة". (٢٢)

و سأذكر قصة تلمذه في حلقة تدريس الحديث التي أقامها الشيخ حيدر حسن خان التونكي في الفصل الثاني لرسالتي و لذلك فإني أصرف النظر عنها و أتقدم إلى حلقة تدريس الدكتور تقي الدين الهالبي المراكشي و يجدر بالذكر قبل ذلك اشتياقه إلى دراسة "أحياء العلوم" للإمام الغزالي يقول:

"و في هذه المرحلة رغبت في قراءة كتاب "احياء العلوم" للإمام الغزالي والذي اثر فيّ تأثير البرق إلا أنه لم تدم هذه الدراسة الروحانية وقد حال دون قراءته فكرة حكيمة لأخي الكبير الذي كان يرتأى أنه قد تخلق في نفسي بعض الميول و النزعات غير المعتدلة". (٢٣)

و للشيخ خليل و الشيخ الدكتور تقي الدين الهلالي المراكشي فضل كبير في تعليم الشيخ الندوي اللغة العربية و آدابها حيث أنه استفاد منهما كثيرا و يقول عنهما:

"و في ١٩٣٠م حضر ندوة العلماء أديب بارع ذو أسلوب متميز باقتراح الشيخ خليل و بدعوة أخي الكبير و هو العلامة تقي الدين الهلالي و الذي لو لم أره لاحتجب عني عبيد من حقائق اللغة العربية و قواعدها و أصولها و لم أخلص من عجمية الهنود و لا عتبرت اللغة العربية لغة القرن الثاني و الثالث الميئة و المكتوبة على صفحات التاريخ فإنه كان يجمع بين أسلوب السلف و تورعهم العلمي حيث يقول صاحب العلم عند عدم معرفة (لا "لا أدري عندما لم يقم بالتحقيق العلمي" و حفظ أهل الشنقيط و اتقان أهل اللغة و كمال النحويين و حلاوة أصحاب اللغة في الكلام فإني لم أسمع غيره يتكلم بلغة صاحبي الاغاني و البيان و التبيين. فإنه كان يتكلم بما كان يكتب و لم يكن يتحدث اللغة العربية اليومية". (٢٤)

و من حسن حظه أنه قرأ الكتب الأدبية عليه و لكن مصاحبة الشيخ الهلالي في الأسفار و الزيارات قد نفعه أكثر و كشفت عليه النقاع عن حقيقتين يقول عنهما الشيخ الندوي:

"أحدهما أن هناك فرقا بين اللغة و الأدب فاللغة لبنة للأدب و الأدب قصر

اللغة و الادب وسيلة فنية متقدمة للتعبير عن المشاعر و الافكار الذي يتولد حيث تتطور الثقافة و الحضارة فتعليم اللغة يأتي أولاً قبل تعليم الادب فمن لا يعلم اللغة لا يستطيع ان يعرف الادب و تعليمها قبل الاوان تضيق للوقت و تتم دراسة الادب العالمي في الهند بإسم اللغة التي لا تؤتي ثمارها المرجوة و لا تنفع بشيء في معظم الاحيان. كان يقول العلامة الهالي أن كتب الحريري و المتنبي و الحماسة كتب أدبية غالية تتم دراستها بعد تعليم و مزوالة اللغة العربية لمدة طويلة و التي يدرسها الطلبة في الصفوف المنتهية و لكنها كل بضاعة الادب في الهند فنحتاج إلى أن نتعلمها كلغة حية قبل ذلك و كان يرى أنه يجب أن نتعلم اللغة كسكائن حي بدون أية مساعدة من الترجمة و الشروح و كان يصر على رايه هذا و يبرهن في محاضرات متواصلة بالأدلة و البراهين الدامغة".

و الحقيقة الأخرى أن قواعد اللغة العربية، تأتي بعد تعليم اللغة العربية فنخيرة اللغة ضرورية لهذا و المفردات آجار للمبنى و تعلم النحو و الصرف أسس الدراسة فإن فقت الآجار لن يبني أي مبنى و أية هندسة قد لا تغني عن شيء". (٢٥)

و كذلك تعلم الشيخ الندوي على يديه الحقيقة:

"إن النموذج الحسن الرائع الحي هو كتب التاريخ الموثوق بها و منها تاليفات العصر العباسي الأصلية و لذلك فإنه أوصى بقراءة كتب "الامامة و السياسة" لابن قتيبة و "كليلة و دمنة" لابن المقفع و "الآغانى" لآبي الفرج الأصفهاني و رسائل الجاحظ". (٢٦)

يقول:

"كانت هذه الحقبة من تاريخ دار العلوم فصل ربيع للغة العربية في

رحابها حيث كانت تفيض بركات الشيخ الهالي من جانب و من جانب آخر يصدر زميلي السيد مسعود عالم الندوي مجلة "الضياء" و في هذا الوقت أصبحت الكتابة و القراءة و المنافسة و النقد باللغة العربية شغل الشاغل و من حسن الحظ كانت تأتينا جرائد مصرية و شامية و مغربية فنقرأها و نتبادل الآراء عنها فهذه أولى دراسة للجرائد و مصاحبة الأساتذة العرب. فقد بدأت قراءة الصحف بمساعدة أخي الكبير و نفعتني ذلك في التعبير و البيان أكثر مما نفعتني الكتب الأدبية التي قمت بقراءتها و دراستها". (٢٧)

و لا شك في أن قراءة مقالات هؤلاء الكتاب المصريين و الشاميين قد ساهمت في معرفة الشيخ الندوي باللغة العربية و الأدب و تطورها إلا أنها لم تؤثر على تفكيره كثيرا.

فقد انتقد الشيخ الندوي مرارا و تكرارا الأفكار العربية الوطنية و الإنهزامية من الغرب و حضارتها و سطحية آرائهم إلا أن الشيخ الندوي يرى أن هناك بعض العمق في كتابات شكيب ارسلان و إن فيها طابعا من الإسلامية و لكن الشخص الذي يرى في كتاباته رأيا سديدا و دقة نظر قد تداوى أمراض الأمة الإسلامية و تأتي لها بشفاء و الذي ترك أثرا كبيرا على الشيخ الندوي هو كتاب "أم القرى" للكاتب - عبد الرحمن الكواكبي -". (٢٨)

كتب محي الدين القصوري مقالا باسم "تيرهوين صدى كا مجدد اعظم" (المجدد الأكبر من القرن الثالث عشر) و الذي طبع في مجلة "توحيد" بامرترسر في حلقات مختلفة متواصلة في ٢٧ - ١٩٢٨م. و ترجمه الشيخ الندوي بأمر من أخيه في ٢٢ - ١٩٣٠م إلى اللغة العربية ترجمة حرة و الذي قام بإصلاحها الشيخ الهالي و نشر في مجلة "المنار" الشهيرة ثم اعيدت طباعته باسم "ترجمة

السيد الإمام أحمد بن عرفان " بصورة رسالة منفصلة، و كان أول خطوة له في مجال الترجمة و الكتابة". (٢٩)

وقد اعانت رسالة ابن قيم "تفسير سورة النور" في زمن المصيبة و البلاء هذه و يرى أن هذا و كتاب "الجواب الكافي لمن سال عن الدواء الشافي" لابن القيم مراقبان جيدان و معلمان صالحان للشباب و أما الكتاب الذي اثرت كثيرا في الشيخ الندوي في مرحلته التعليمية المبكرة و الذي علمه احترام المدرسين و الاساتذة و السلوك مسلك الطالب الجاد هو كتاب صغير لتلميذ صاحب الهداية المسمى بـ "تعليم المتعلم". (٣٠)

و كذلك كان لكتاب "علماء سلف" للعلامة شيرواني دور فعال في علو الهمة و العزيمة في الحصول على العلم و خلق الرغبة فيه فيرى العلامة الندوي انه يجب على كل طالب ان يدرسه و يلزم مراجعته. (٣١)

وقد اثر كتاب "أرمغان أحباب" لوالده و الذي هو مذكرة لاسفاره العلمية في نفس العلامة الندوي كثيرا و خلق فيه الشعور بمحبة أولياء الله و النزعة الدينية هو الكتاب الذي كان سببا في علاقة الودية القلبية مع حركة السيد أحمد الشهيد.

و الرسالة الأخرى التي خلقت المحبة لأولياء الله في قلب الشيخ الندوي هي رسالة "ارشاد رحمانى" للشيخ محمد علي المونغييري. (٣٢)

و من مجموعات أقوال الأولياء و المشائخ التي اثرت في نفس الشيخ الندوي و ذهنه هي "فوائد الفوائد" للشيخ نظام الدين أولياء و "در المعارف" للشاه غلام علي إلا أن الشيخ الندوي بفضل دراسته للأحاديث النبوية و التربية الفكرية الخاصة و قراءته الكتب الإسلامية لم يقبل جميع افكار و آراء هؤلاء

عبد ممتاز

المشائخ ولكن تأثر بأقوالهم المرتجلة و اخلاصهم و تضحياتهم في سبيل الدين". (٣٣)

و كذلك المباحث الفلسفية و التصوف و فلسفة الاخلاق التي توجد بصورة مفردة في كتب الصوفية المتأخرين لم تترك أية آثار على نفسه إلا أن أحاديث الود و المحبة لم تذهب سدى فقد كانت الأشعار المملوءة بالمحبة و الود كانت ترسخ في ذهنه و تحفظ في ذاكرته. (٣٤)

و قد انبعثت لديه فكرة اصلاح المنهج الدراسي و النظام التعليمي بفضل مصاحبة الشيخ خليل اليماني و الشيخ تقي الدين الهلالي المراكشي و مجالستهما.

و قد تطورت هذه الفكرة بمنشورات دار العلوم و بيئتها و اتضح بخطبة الشيخ حبيب الرحمن الشيرواني التي ألقاها في ١٩٢٤م في جلسة ندوة العلماء بل كناؤ مذهب ندوة العلماء و المزج بين الدين و الدنيا و الشعور بأهمية قيادة العلماء و الحاجة إليها ثم زاد اطمئنانا و إيقانا دراسته الأخرى الواسعة حتى صارتا جزءين من عقائده القوية. (٣٥)

و أما النفور عن الحضارة الغربية و أنظمتها فقد نشأ ذلك في مجالس و مصاحبة أخيه الأكبر الدكتور السيد عبد العلي و قد نمت هذه النزعة و رسخت في ذهنه الجريئان "سج" و "صدق" الأريئتين اللتين كان يصدرهما الاستاذ عبد الماجد الدرايبادي.

و قد ساعده كثيرا في فهم تاريخ الغرب و مراحلها من اللابينية و المادية التي توصل إليه الغرب كتاب "المعركة بين الدين و العلم" لريبر و كتاب "تاريخ

اخلاق أوربا" لليكس و حصل عنهما على مواد كثيرة استخدمها في مقالاته و رسائله و كتبه القيمة.

و قد زادت مقالات الشيخ المودودي في "ترجمان القرآن" و كتابه "تنقيحات" وضوحا في تفكيره و قوت نظره و أثرت في أسلوب فكره و استدلاله و كتابته و كما أثرت على نوقه و فكره تأثيرا بالغا. (٣٦)

و انكشفت عليه عيوب الحضارة الغربية و طبيعتها الخاصة و تناقضها المبدئي و الاساسي مع الحضارة الإسلامية و عدم إمكانية اتفاقهما عندما طالع كتاب الأستاذ محمد أسد "Islam at the cross roads" (الإسلام على مفترق الطرق) و اعتبره في هذا الصدد اوضح كتاب و أكثره مغزى. (٣٧)

يرى الشيخ الندوي أن دراسة "فجر الإسلام" و "ضحى الإسلام" للدكتور أحمد أمين تزلزل إلى حدما عقيدة المؤمن في الحديث الشريف و لا تقوم تلك العظمة و الاعتقاد بشخصياته المبدئية التي يطلبها الإنسان منه و قد عثر الشيخ الندوي على هذا النقص في كتاب الدكتور أحمد أمين من خلال كتاب "السنة و مكانتها في التشريع الإسلامي" للدكتور مصطفى السباعي.

و أهم شيء استفاده الشيخ الندوي من كتب الدكتور أحمد أمين هي نعتة الحلوة و السلسلة، الأمر الذي يمتاز به عن معاصريه من الكتاب و الصحفيين. (٣٨)

و قد أحدث كتاب "تذكرة مولانا آزاد" في نفسه حبا و احتراما للإمام أحمد بن حنبل و غيره من المحدثين. و قد أعجب كثيرا بأسلوب كتاباته الأدبية في مجلة "الهلال" و غيرها و كذلك اتضحت لديه بتفسير "ترجمان القرآن"

لأبي الكلام آزاد بعض الجوانب الجديدة من فهم القرآن و النظر فيه و وسع نطاق فكره. (٣٩)

و الكتاب الذي أثر فيه كثيرا من بين كتب الشيخ العلامة السيد سليمان الندوي هو كتابه "خطبات مدراس" - الرسالة المحمدية - حيث فتح أمامه جوانب جديدة للسيرة و الحديث و أبان له مناهج لعرض الحديث و السيرة و على أصحاب العلم و المثقفين من غير المسلمين في هذا العصر الثوري". (٤٠)

و قد رغب الشيخ الندوي دائما في كتب الشيخ الكيلاني خاصة كتابه "النبي الخاتم" و كتابه "همارا قديم نظام تعليم و تربيت" حافل بالمعلومات و كتاب "تدوين حديث" الذي كان يعتبره كتابا حافلا بالمعلومات و النقاط و مقالته "مجدد الف ثاني كا تجديدي كارنامه" زود الشيخ الندوي بالمعلومات الهامة. كما تعرف من خلال قراءة مقالاته على جوانب جديدة من تاريخ الهند. (٤١)

و ساعد الشيخ الندوي كتاب "حيات جاويد" و "وقار حيات"، و أعداد مجلة "تهذيب الاخلاق" في فهم النفسية الحالية لمسلمي الهند و نزعاتهم السياسية و التعليمية الحالية و قد سد ما نقص في هذا الصدد كتاب "حياة شبلي". (٤٢)

استفاد الشيخ الندوي في توجيه السياسة الانجليزية في الهند و انحطاط المسلمين السياسي و تغييرهم الذهني من كتابي السيد طفيل احمد "حكومت خود مختاري" و "مسلمانوں کا روشن مستقبل". (٤٣)

و رغم أن الشيخ الندوي لم يستطع الاستفادة الكاملة من والده لصغر سنه و إلا أنه استفاد من كتابه "نزهة الخواطر" في مختلف المجالات أكثر و أوفر مما استفاد من غيره من كتب السير و التاريخ". (٤٤)

وقء كان الشاعء العلامة إقبال قء سيطر على ذهن الشفء النءوئ فف معظم مراحل عمره و لكنه تنبه منذ البءاءة ان هءا القءر من الاهتمام بشخصفة ما قء لا فلفق به و لو انه فرف ان النغنى باشعاره لءءرفك المشاعر و العواطف و ففقاظ الناس أمر لا بأس به. (٤٥)

وقء ءعرف الشفء النءوئ من كءاب "مذهب اور عقلفاء" – الءفن و العلوم العقلفة – للبروففسور عبء البارف النءوئ على ءءوء العقل و النقل و نقص العلم الإنسانف و عجزه و ضعفه ازاء علم الأنفباء الءف فففء الفقفن و الءف ءصل من الكءاب الءف نفعه كءفرا فف ءراساءه المسءقبلفة و كذلك اسءمء من ءفسفر سورة الاخلاص و "كءاب النبوءاء" لابن ءفمفه فف هءا المجال و هءه الفكرة قوة برسائل مءءء الالففة الءائف الشفء أءمء السرهنفءف. (٤٦)

و اطلع العلامة النءوئ على علم الكلام الءءفء بءراسة رسائل مءءء الالفة الءائف و المءءوم البفهارف ففء شرحء صءره فف السنة و البءعة كلفاءه و ءقائفه ءءءفءففة كما أءارء ففه ءمفة ءفنفة و ءاصة ما فءءلق بعءء الملك المغولف أكبر و فبنه ءهانففر و قلما وءء الشفء النءوئ هءه ءرارة فف ءالففاء و كءب مؤلف آخر. (٤٧)

وقء اخءار الشفء النءوئ لءءء الفرقان الءاص بالشاه ولف الله ءهلولف عنوان مقاله "الشاه ولف الله كمؤلف" و ءرس كءابه "ازالة الءفاء" بكلف ءءفة و ءاثر بهذه الرسالة أكثر مما ءاثر به من ففرها من الرسائل.

ولما ءرس الشفء النءوئ "ءة الله البالغة" للإمام ءهلولف وءء فف عقله و ذهنه و قلبه أءرا بالغا للإمام ولف الله و اسءءلاله المءكم و نظره ءققف و فهمه الواسع للمباحء العلمفة و المبءئفة و الكءب الكلامفة و الفلسففة.

كما ان كءاب "الفوز الكبفر فف أصول ءفسفر" أفاءه باشاراءه العلمفة

عبد ممتاز

و نكته الموجزة في دراسة و فهم القرآن الكريم و حل المشاكل التي تعترض في سبيل دراسة القرآن الكريم.(٤٨)

أما حبه للشاه ولي الله الدهلوي فلنقرأ ما سجله قلمه الرائع:

"يمكن لي أن أقول إنني لم أتاثر بأحد (من القرون السالفة) أكثر مما تأثرت بهذه الشخصية و لم أجد شخصية اتفق معها هذا القدر فانه كان من الضروري أن نرتبط بمدرسة من المدارس الفكرية و المذهبية و افتخر بانتمائي إلى مدرسة الإمام ولي الله الفكرية"(٤٩).

يقول عن دراسة كتاب "صراط مستقيم" للسيد أحمد الشهيد:

"زالت عني العجمة و الغرابة بشأن العلوم النبوية و التي تتمخض عن العلوم و الكتب الوضعية الاصطناعية و حصلت على مقدره التمييز بين الخير و الشر و أنه يمكن التعبير عن الحقائق و العلوم بدون الاستناد إلى المصطلحات العلمية و لغة العصر. و هناك وسائل سوى الكتب للحصول على علوم و معارف لا يمكن تقييدها في ما بين صفحات الكتب و يمكن أن يوجد اللب بدون القشور و المعاني بدون الكلمات و المتون بدون الحواشي". (٥٠)

إن قراءة تاليف "سيرة سيد أحمد شهيد" و رسائل مجدد الألفية الثانية ساعدت الشيخ الندوي في فهم أقوال الشيخ محمد الياس الكاندهلوي (١٣٦٢هـ) و معارفه. (٥١)

إنه قرأ التفاسير الضخمة المتداولة و المعروفة و غير المعروفة إلا أنه استفاد من القرآن الكريم من متنه أكثر من التفاسير و الشروح و يذكر شنيين هامين لفهم القرآن الكريم:

١ - مصاحبة الأشخاص الذين يتحلون بالعلوم النبوية و الذين يمثلون بأعمالهم و طريقة حياتهم عن القرآن حيث يصدق عليهم: كان خلقه القرآن.

٢ - إتباع آثار الانبياء إذ يفتح الله به قلب المرء لفهم القرآن الكريم. (٥٢)

يقول الشيخ الندوي:

"وكل ما لا يمت بصلته بمصدر العلوم النبوية هو موضع شك و ارتياب و مجرد كلام التسلية و محبوك بالالفاظ الساحرة لأنه إنما تحصل طمانينة القلب بالعلوم التي تنفجر من العلوم النبوية و التي بلغها أيانا رسول الله صلى الله عليه و سلم و التي توجد الآن بصورة القرآن الكريم و الحديث النبوي". (٥٣)

هوامش:

* - كان قاضيا سابقا بمحكمة بتياله ولاية بنجاب و جامعا بين العلم و العمل مقتصدا في الفكرين القيم و الجديد عالما كبيرا للغة العربية و العلوم الدينية و صاحب نظر في التوراة و الانجيل تائقا للمناظرة و المناقشة مع غير المسلمين، كما كان معتدلا في أسلوبه العلمي و متبعا بمذهب أهل الحديث و محترما لغيره من الأئمة و المجتهدين من المسلمين مقبرا جهودهم و محاولاتهم الاجتماعية و عضوا قديما لندوة العلماء.

من مؤلفاته "رحمة للعالمين" و "الجمال و الكمال" (تفسير سورة يوسف) و "رحلة إلى الحجاز" و غيرها من الرسائل الكبيرة و الصغيرة إلا أن الكتاب الأول نال قبولا واسعا و ذاع صيته في المدارس الإسلامية و التي ضمنته في مقرراتها الدراسية و تهافت عليه الناس بكل رغبة و نشاط و شوق ("ياد رفتگان" ص ١٠٦) تمت ترجمة مجلداته الثلاثة إلى اللغة العربية بقلم الكاتب الشهير أييب اللغة العربية و رئيس تحرير مجلة "صوت الأمة" الدكتور مقتدى حسن الأزهرى، و طبع في حلة قشبية و جميلة من الدائرة السلفية بممبائي في عام ١٤١٠هـ.

١ - "مقدمة زاد سفر" ٥:١، لکناؤ، ١٩٨٣

- ۲ - "مشاہیر اہل علم کی محسن کتابین" لمحمد عمران الندوی، ص ۱۵۶
- ۳ - المصدر السابق، ص ۱۵۶
- ۴ - المصدر السابق، ص ۱۵۷
- ۵ - المصدر السابق، ص ۱۵۷ - ۱۵۸
- ۶ - المصدر السابق، ص ۱۵۸ - ۱۵۹
- ۷ - المصدر السابق، ص ۱۵۹ - ۱۶۰
- ۸ - المصدر السابق، ص ۱۶۰ - ۱۶۱
- ۹ - المصدر السابق، ص ۱۶۱
- ۱۰ - "برانی چراغ" للشيخ أبي الحسن علي الندوي، مكتبة الإسلام، لکناؤ، ۱۰۱/۱
- ۱۱ - "مشاہیر اہل علم کی محسن کتابین" لمحمد عمران خان الندوي، ص ۱۶۲
- ۱۲ - "برانی چراغ" للشيخ أبي الحسن علي الندوي، ص ۲۳۶/۱
- ۱۳ - "مشاہیر اہل علم کی محسن کتابین" لمحمد عمران خان الندوي، ص ۱۶۲
- ۱۴ - المصدر السابق، ص ۱۶۲
- ۱۵ - المصدر السابق، ص ۱۶۲
- ۱۶ - المصدر السابق، ص ۱۶۲
- ۱۷ - المصدر السابق، ص ۱۶۲
- ۱۸ - المصدر السابق، ص ۱۶۲ - ۱۶۴
- ۱۹ - المصدر السابق، ص ۱۶۴ - ۱۶۵
- ۲۰ - المصدر السابق، ص ۱۶۵
- ۲۱ - المصدر السابق، ص ۱۶۶
- ۲۲ - المصدر السابق، ص ۱۶۶

- ٢٣ - المصدر السابق، ص ١٦٨
- ٢٤ - المصدر السابق، ص ١٦٨ - ١٦٩
- ٢٥ - المصدر السابق، ص ١٦٩ - ١٧٠
- ٢٦ - المصدر السابق، ص ١٧٠
- ٢٧ - المصدر السابق، ص ١٧١
- ٢٨ - المصدر السابق، ص ١٧٢
- ٢٩ - المصدر السابق، ص ١٧٣
- ٣٠ - المصدر السابق، ص ١٧٣ - ١٧٤
- ٣١ - المصدر السابق، ص ١٧٤
- ٣٢ - المصدر السابق، ص ١٧٤
- ٣٣ - المصدر السابق، ص ١٧٥
- ٣٤ - المصدر السابق، ص ١٧٥
- ٣٥ - المصدر السابق، ص ١٧٦
- ٣٦ - المصدر السابق، ص ١٧٧
- ٣٧ - المصدر السابق، ص ١٧٨
- ٣٨ - المصدر السابق، ص ١٧٨
- ٣٩ - المصدر السابق، ص ١٧٨
- ٤٠ - المصدر السابق، ص ١٧٩
- ٤١ - المصدر السابق، ص ١٧٩
- ٤٢ - المصدر السابق، ص ١٧٩
- ٤٣ - المصدر السابق، ص ١٧٩

٤٤ - المصدر السابق، ص ١٨٠ - ١٨١

٤٥ - المصدر السابق، ص ١٨١ - ١٨٢

٤٦ - المصدر السابق، ص ١٨١

٤٧ - المصدر السابق، ص ١٨٢ - ١٨٣

٤٨ - المصدر السابق، ص ١٨٤ - ١٨٥

٤٩ - المصدر السابق، ص ١٨٤

٥٠ - المصدر السابق، ص ١٨٦

٥١ - المصدر السابق، ص ١٨٦

٥٢ - المصدر السابق، ص ١٨٧

٥٣ - المصدر السابق، ص ١٨٨



الشيخ أبو الحسن علي الحسيني الندوي

و حبه للإنسانية

بقلم: الأستاذ واضح رشيد الندوي

لم يكن الحب الغامرة الذي ارتبط بشخصية الشيخ أبي الحسن علي الحسيني الندوي (رحمه الله تعالى) و القبول العام الذي كان يحظى به في جميع الأوساط لمجرد أفكاره أو مؤلفاته العلمية، و بحوثه، بل لأنه كان مثالاً للخلق السامي الذي تغلبه العاطفة الإنسانية النبيلة، و حسن سلوكه مع الناس، و تعاطفه مع قضاياهم مهما كان جنسهم و عنصرهم و قوميتهم و معتقداتهم، و كان شعاره كما كان يدعو إليه في خطبه و كتاباته: [ادع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة، و جادلهم بالتي هي أحسن] (١)، و كان ذلك أسلوب كلامه مع عامة الناس و القادة و العلماء و الساسة، لا مرأى فيه و لا مجادلة، بل كان يتصف باحترام المخاطب و رعاية عواطفه و تصوراته، و حتى في أخرج الأوقات، و القضايا الشائكة التي تتغلب فيها حدة، و عنف، و كراهية لدى القادة و المفكرين، و لم يكن همّ المسلمين وحدهم يشغل فكره، بل كان يهمهم الإنسانية كلها، فكان يشعر بالألم و المرارة إذا أصيب أي فرد أو مجتمع بالظلم أو المعاناة مهما كان دينه أو وطنه، و كان في دعوته و تربيته و سلوكه مع الناس و حياته الخاصة يتمسك بالتواضع و الإيثار و العطف و الحب و لين الجانب، و ذلك كان موقفه من الغرب و الحضارة الغربية، فإنه لم يكن يقوم على

الكراهية الكاملة، ولا الرفض التام، بل كان منهجه منهجاً وسطاً، وهو الجمع بين القديم والجديد، كان دائم الفحص والاختبار والدراسة والتفكير، وقد أوضح مسلكه في كتابه "الصراع بين الفكرة الإسلامية الشرقية والفكرة الغربية". إنه كان يخاطب طلاب المدارس الدينية، ويطالبهم بتجديد المناهج، ويخاطب طلاب المدارس العصرية، ويطالبهم بالرجوع إلى منابع الإيمان واليقين، وتربية النفس، والخلق الحسن، فكان مجال عمله مجالاً واسعاً. إنه كان زعيماً يخوض معركة الحياة، ويحلّ المشاكل الاجتماعية في الهند، وكان مصلحاً ربانياً يعيش حياة الزهد والورع، يقول الحق ولا يخاف لومة لائم، وكان مصلحاً اجتماعياً ومربياً دينياً في وقت واحد، وصفه الدكتور يوسف القرضاوي الذي عرفه شخصياً ودرس فكره عملياً بـ "رباني الأمة والرجل القرآني والمحمدي، الذي جعل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أسوته في هديه وسلوكه وحياته كلها، واتخذ سيرته نبراساً له وعالمي العطاء"، فتحدث إلى العرب وإلى أمريكا وأوروبا. إنه انتقد القومية الهندية المتطرفة، وانتقد القومية البنغالية المتطرفة، وانتقد القومية العربية المتطرفة بنفس القوة.

إن هناك سؤالاً ينشأ في الأذهان عند دراسة شخصية الشيخ الندوي وهو أنه كيف التقت فيه هذه الصلاحيات والقدرات المتنوعة التي إذا وجدت صلاحية واحدة منها في زعيم كان من الفحول، وقد رد على السؤال الشيخ رحمه الله تعالى:

"لقد ولدت في بيت كان موضوعه الحبيب بل هوايته التأليف في سير الرجال وطبقاتهم، وتراجم العلماء وأهل الفضل، وخاصة الذين أنجبتهم أرض الهند، ونبغوا في شبه القارة الهندية منذ دخول الإسلام في هذه البلاد إلى هذا القرن، ونشأت في بيئة كان الحديث الدائر المتكرر في أوساطها

و مجالسها، و تكأة المتحدثين فيها الإشادة بالمثل و القيم الإنسانية و العلمية، و التنويه بسمات العلماء الكبار و مجالات اختصاصهم و تبريزهم، و الشعائر الغالبة عليهم، و التغني بنبوغ أصحاب النبوغ، و عبقرية أصحاب العبقريات في مختلف العصور و الامصار في إكبار و إعظام، بل في شيء من الهيام، فثارت في نفسي ملكة الإعجاب بمواضع العظمة و النبالة و مكارم الأخلاق و علو الهمة و سمو النفس من بين أفراد البشر في سن مبكرة لا تنبعث هذه الملكة فيها في غالب الأحيان، و الملكات البشرية المودعة في طبائع الأطفال قد يثيرها باعث خاص من بيئة و تربية و حواث مخصصة، فتتقدح و تتفتق قبل أوانها الطبيعي المعتاد.

قد نشأت بصفة خاصة على حب التفنن في الفضائل، و الجمع بين الاشتات بل الأضداد من الفضائل الإنسانية و أنواع العلوم و المعارف، و الآداب و الثقافات و علو الهمة، و القدرة الفائقة على التنسيق بينها، و تسخيرها للوصول إلى غاية مثلى و خدمة العلم و الدين، حتى لو أدى ذلك إلى المشاركة في علوم و آداب يتحاشى عنها كثير من علماء الدين، و يعدونها من حثالة العلوم و براية الآداب.

و نشأت كذلك على حب من يوفقه الله و يقويه على الجمع بين الرياستين العلمية و العملية، و الحسنيين الدنيا و الآخرة، و النقيضين (في عرف الناس) في إمارة و وزارة من جانب، و الاشتغال بالتأليف و التدريس، و التربية و الإرشاد، و الإصلاح و إزالة الفساد في جانب.(٢).

لقد أنشأ الشيخ الندوي حركة رسالة الإنسانية لحبه للإنسانية، و لتقويم سلوك الإنسان، و بث المثل الخلقية في المجتمع البشري التي تتفق عليها جميع

عدد ممتاز

الاديان؛ وقد اقتضت ظروف المعيشة التي غزتها المادية الرعناء وحب المال وحب الجاه و المصلحة مثل هذه الحركة، و هي حاجة العصر، لذلك نالت هذه الحركة القبول لدى متبعي سائر الاديان في الهند، و اشترك قادتهم في جلساتها، و قد ساعدت هذه الحركة على ملا الخليج بين المسلمين و غير المسلمين، و إزالة الكراهية المتنامية بينهم للدعاية السامة التي تقوم بها المنظمات المتطرفة، و إتاحة فرص اللقاء بين قادة المسلمين و بين قادة الاديان الأخرى، و عرض صور التسامح التي تشتمل عليها تعاليم الإسلام الذي علاه الغبار ببعض أحداث التاريخ، و سلوك بعض الحكام المستبدين، كما شوّه هذا الوجه المستشرقون و تلاميذهم بكتب موجهة تعتدي على الإسلام و المسلمين، و تزويرهم للتاريخ، و قد حققت هذه الحركة هذا الهدف أيضاً، فاعترف بعض القادة من غير المسلمين أنهم ما كانوا يعرفون أن المسلمين أيضاً في قلوبهم محبة للإنسانية و للوطن، و إنما كنا نعرف أنهم حملة السيوف، و أن المسلمين كانوا غزاة، و لم يكون بناة للوطن.

كان اشتغال الشيخ الندوي الأساسي بالتصنيف و التأليف، و التدريس و الدعوة، لكنه لما شاهد تدهور الأحوال الاجتماعية، و طغيان المادة، و فساد البيئة العامة تصدى لمواجهته، و الاهتمام بإصلاح البيئة العامة، و كان سماحته يشعر أن المجتمع الإنساني بمثابة سفينة إذا غرقت هذه السفينة غرق جميع أفراد هذا المجتمع، فكان يقوم بجولات و رحلات مضيئة رغم انحراف صحته في آخر أيام حياته، لحضور اجتماعات رسالة الإنسانية و لقاء القادة و السياسيين و المثقفين من غير المسلمين، و حثهم على العمل لتخفيف معاناة الإنسان، و مكافحة استغلال الإنسان بجميع أنواعه، و عندما تصاعد اتجاه المغالاة في نفقات الزواج، و المطالبة من أسرة العروسة بدفع أجور

مرتفعة، و إحراق الزوجات على عدم دفع أسرتهم ما تطالب به أسرة الزوج، زال النوم عن عيون الشيخ فجعل ذلك موضوع خطبه و كتاباته، و حذر بقوة عن مغبة هذه العادة السيئة، و قام بحملة ضد هذا الاستغلال، و قد وصف الشيخ الندوي الدواعي التي دفعته إلى تأسيس هذه الحركة:

"إن الحركات و الدعوات التي ذكرتها سابقاً، و التي أسهمت فيها لم أكن السابق إليها و لا مخطّطها، بل رأيت من الضرورة التعاون معها و المشاركة فيها، أما حركة رسالة الإنسانية فهي تختلف في هذا الأمر عن غيرها، فإن تفكيرها انبعث من داخل النفس، و استولى على القوة التفكيرية و الخطابية، و ملك الأعصاب، و حولتني داعية و شارحاً لها – مع طبيعتي و مزاجي الخاص الذي لا ينفك عنه أي شخص – ينبغي هنا أن أشير إلى الخلفية العقلية و الفكرية لهذه الحركة و جوها و دوافعها.

لقد كان من المشاهدات اليومية أن هذه البلاد تسير بخُطى حثيثة إلى الفوضى الخلقية، و الانتحار الجماعي، فتداس القيم الخلقية، و يصاب الناس بجنون النفعية و الانتهازية – باستثناء أولئك الذين أثر فيهم الدين تأثيره، أو الذين اعتزلوا معترك الحياة – و يفقد سريعاً احترام الأعراض و الأموال و الأنفس، فيضحى لأغراض تافهة حقيرة بمصالح قومية و اجتماعية، و تنتشر اللامسئولية، و إضاعة الوقت، و الرشى، و السوق السوداء، و الانحار و الاكتناز، و كل ما يخالف الدين و العرف و القانون، و قد أصبحت الحياة بذلك جحيماً لا يطاق، و لم تبق رغم استقلال البلاد و حرينها أي لذة في العيش أو متعة في الحرية.

و انتظرت أن يقوم أحد في وجه هذا الفساد، و لكن الحزبية و السياسة لم تدع للناس مجالاً للتفكير في مثل هذه القضايا، و أخيراً قرّرت رغم شعوري بقلّة

بضاعتي و وحدتي و ضعف تأثيري أن أنزل في الميدان، و أخاطب الناس من دون تمييز بين المسلمين و غيرهم، و أحترهم من عواقب هذه الحياة المادية المتطرفة، و معلوم أن الحريق إذا وقع فلا ينظر أحد إلى ضعفه و قلة حيلته، بل ينطق عند ذلك الأخرس و يسعى الأعرج". (٣)

و يقول في موضع آخر:

"لقد كنت مع نشاطاتي الدعوية، و اشغالي العلمية و الادبية، و رحلاتي الداخلية و الخارجية، لا تزال هذه الحقيقة ماثلة أمام عيني، أنه لا يجوز التغاضي في البلاد التي قورنا أن نعيش فيها و نسكنها، عن تقدير الوضع الصحيح و النزعات الهدامة و الميول المثيرة، و الاخطار المستقبلية، و لأجل ذلك كان يستولى على التفكير – دائماً – في نشر "رسالة الإنسانية"، و القيام بدعوتها على النطاق الواسع". (٤).

و قمت في صد هذه الحركة بجولات في ولايات بيهار و مدهيه براديش، و راجستهان و هريانه، و بنجاب و أترابرايش، و عقت في مختلف الأماكن احتفالات رائعة ناجحة، كان يحضرها عدد كبير من غير المسلمين من الطبقة المثقفة فيهم، و كانوا يستمعون الخطب و المحاضرات بإصغاء و اهتمام، و يبدوون تأثرهم و انطباعاتهم الطيبة، و قد قلت في إحدى هذه المناسبات:

"إن على المسلمين مسئولية ذات وجهين: إحداها: أن كتابهم الأخير الخالد القرآن، و رسولهم الخاتم محمداً عليه الصلاة و السلام، لا يرشدانهم إلى اجتناب هذا الفساد العام و الحريق المستطير، و وحل عبادة المادة و المال فحسب، بل يأمرانهم بالوقوف دونه و سدّ سبيله و حماية الناس منه.

و المسئولية الثانية: أنهم كانوا وردوا هذه البلاد برسالة احترام الإنسانية و العدل الاجتماعي و المساواة الإسلامية، و قد أسعفوا هذه البلاد في ساعات

حرجة دقيقة، ولا تزال هذه الرسالة محفوظة في صانفهم الدينية، فلو لم يبذلوا جهودهم المستطاعة في الأخذ بهذه السفينة الفارقة أو المتورطة لكانوا عند الله أصحاب ذنب و تقصير و جريمة، و سجلهم التاريخ غير قائمين بالواجب، كافرين بالنعمة، مجرمين بالغفلة." (٥)

و في احد هذه الاجتماعات، و الذي عقد في حيدرآباد صرح سماحته:

"إن لكل إنسان في هذه الحياة دارين: دار يسكنها هو و أعضاء أسرته، و يحرص كل إنسان أن تكون هذه الدار مأمونة، و أن يعيش فيها بسلام، و هناك دار أخرى و هي أكبر من هذه الدار الشخصية، و هي دار البلاد، و نحن ننسى في غالب الأحوال أن هاتين الدارين كلتيهما لنا، و إحداهما صغيرة، فيها أسرة واحدة، و الأخرى كبيرة فيها المواطنون، و هم أفراد الأسرة الوطنية الكبرى، و ترتبط مصلحة الدار الصغيرة بمصلحة الدار الكبرى، فإذا فسد نظام الدار الكبرى فسد نظام الدار الصغرى." و قال: "إن فساد المجتمع، و إهمال مبادئ الاخلاق و غلبة الشر، و حب المال يؤدي إلى فساد كل فرد من أفراد المجتمع".

و صوّح سماحته في كلمة ألقاها في احد الاجتماعات: "إن العالم الإنساني يحتاج فيما يحتاج إليه إلى أن توضع أمام الإنسان بالارتفاع عن المصالح الذاتية و العصبية القومية و المصالح السياسية، تلك الحقائق و القيم التي تلزم لنجاته و حياته بأمن و سلام، و هي حقائق إذا أغفلتها تعرضت حضارتنا و مجتمعنا لأخطار جسيمة، و واجهت الإنسانية صراعاً عنيفاً، قد بين هذه الحقائق الأنبياء في عصورهم و جاهدوا في سبيلها، و لا تزال هذه الحقائق تحمل هويتها و تأثيرها و نفعيتها للإنسان، و تقدر أن توصل الإنسان اليوم إلى النجاة، لكن الحركات و المنظمات المادية، و النزعات القومية أثارت الغبار الكثيف على الانظار، و لكن ضمير الإنسان لم يمت رغم هذه العواصف الهوجاء،

ولم يجمد ذهن الإنسان، ولم يتعطل عن العمل، فإذا عرضت الدعوة إلى هذه الحقائق بإخلاص وبأسلوب سهل يفهمه الإنسان اليوم، فإن ضمير الإنسان وذهنه سيتجاوبان لهذه الدعوة، ويعرف الإنسان أن هذه الدعوة بلسم لجروحه". (٦)

وقد حققت هذه الحركة هدف التقارب بين المسلمين وغيرهم، وجمعت على رصيف واحد أعداءهم الذين اعترفوا بعد سماع كلماته أن هذه الحركة حاجة العصر، وتغير تصورهم عن المسلمين، وبذلك أتت لهم فرصة دراسة الإسلام، وتغير موقفهم إزاء قضايا المسلمين، بل قدم عدد منهم خدماتهم لحل قضايا المسلمين، وأصبحوا مدافعين عنهم، وكانوا يقومون بزيارة الأماكن التي تحدث فيها الاضطرابات الطائفية، ويشتركون في أعمال الإسعاف، وقد ساعدت هذه الاجتماعات في بعض الأماكن على إجماد الفتن وتهدئة الأعصاب ضد المسلمين.

وقد عارض بعض العلماء المخلصين العاملين في مجال الدعوة الإسلامية هذه الحركة لعدم فهم أهدافها ونوايا القائمين بها، وناقش بعضهم سماحة الشيخ في هذه المسئلة، ولكن سماحته واصل جهوده في هذه الجهة إلى آخر أيام حياته، وكان يثبت هم العاملين في سبيله ويؤيدهم.

ومن جهة أخرى كان سماحته يؤكد خلال حديثه مع المسلمين على أن يشتركوا في أعمال بناء الوطن، ويزيلوا من مجتمعهم أسباب التخلف والصراع والجهل، وأن يكون وجودهم باعث الخير والبركة لهذه البلاد، وكان موضوع خطابه حتى في أيام مرضه [يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً] (٧) وكان يشرح الفرقان بأن تتميز حياة المسلمين عن غيرهم كلياً في

سائر مجالات الحياة، وتتصف بالصق والامانة والإخلاص والاجتهاد و المواساة و المساواة و الإيثار، فيكسبوا بهذه الخصال حب من يعايشهم و تقديرهم، و يعتبروا بركة، و لا يعتبروا وبالاً للبلاد. إنه كان يؤكد على توفير الماء لينفع من يحتاج إليه، و إزالة الأذى عن الطريق، و إسعاف المنكوب، و هداية الضال عن الطريق، و تخفيف آلام المرضى، فكان بجانب دعوته إلى إنشاء المدارس للتعليم يدعو إلى إنشاء المستشفيات، و الجمعيات الخيرية، و يشترك في مناسبات افتتاحها، و يشجع القائمين على أمورها، و يدعو إلى توسيع دائرتها.

كان سماحة الشيخ الندوي في أحاديثه مع المسلمين في الجلسات العامة و اللقاءات الشخصية يؤكد على التمسك بالقيم الخلقية، و خدمة الإنسانية بغض النظر عن الدين أو الطبقة، و كان يصرح أن الإسلام ليس بمجرد عقيدة و عبادة، و إنما هو دين شامل كامل يغطي الحياة كلها، و فيه تعاليم للرحمة و العطف حتى على الحيوانات، و كان يقول: يجب أن يكون المسلم مسلماً كاملاً في عقيدته و منهج عبادته و خلقه مع الناس، و أن يتميز عن غيره فيعرف بين الناس بأنه مسلم، فيقال إنه لا يكذب لأنه مسلم، إنه لا يسرق لأنه مسلم، إنه لا يقبل الرشوة لأنه مسلم، إنه لا يخدع لأنه مسلم.

كان موضوع خطابه في آخر أيام حياته [اخضوا في السلم كافة] (٨) أي كاملاً في جميع ميادين الحياة، و لذلك ألف كتاباً يعتبر دليلاً لكل مسلم "العقيدة و العبادة و السلوك"، و كان أيضاً يؤكد في آخر أيام حياته في خطابه العامة على [يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً] (٩)، و كان يشرح الفرقان بالسمة التي يعرف بها المسلم، و الشعار و الشارة بين الناس، و كان يفسر هذه الآية بقوله: "إن المسلم إذا عاش حياة متميزة عن غيره و اتبع

الإسلام اتباعاً كاملاً عرف بين الناس و شهر، و صار موضع الاحترام و التقدير و الإكرام بين الناس.

و قد كان سماحته عند زيارة المستر أتل بيهاري واجباتي رئيس وزراء الهند خلال مرضه الذي توفي فيه يجد الصعوبة في الكلام لكنه عبّر عما كان في ضميره بصوت مرتعش: "أنقذ الوطن"، فإن الوطن في خطر، و لم يكن يقصد سماحته العدو الخارجي، فإن الهند أعظم بلد في هذه المنطقة فلا يخشى أن يغزوها بلد آخر، و إنما كان يعني الفساد الخلقي و الفساد الإداري، و الصراع الطائفي، و الظلم، و الاستبداد، و كان يقول في خطبه: الحكومات لا تسقط بالغزو الخارجي، و إنما تسقط بالظلم و الاستبداد، و الإكراه.

كان سماحته يعتقد بأن المسلمين جزء من المجتمع الإنساني، فإذا فسد مجتمعهم كان له انعكاس على المجتمع العام، و إذا كان جزء من المجتمع في معاناة تأثر به المجتمع الذي يعيشون فيه، و لإصلاح المجتمع المسلم قاد سماحته حركة إصلاح المجتمع الإسلامي، و كافح ما دخل في حياة المسلمين من التواكل، و الجمود، و الجهل و الفقر، و الفساد، و الصراعات الطبقية و المذهبية، و عقد أول مؤتمر لعموم الهند لإصلاح المجتمع الإسلامي في ندوة العلماء برئاسة سماحة الشيخ الندوي، ثم فتحت فروع في المدن الأخرى، و تحولت هذه الحركة حملة مكثفة في عموم الهند، و كان من أهدافها مكافحة الاستغلال، و الإسراف في الزواج، و المطالب الغالية، و مكافحة التمييز على أساس العائلة أو الطبقة أو الوضع الاقتصادي، و ذلك في ضوء تصوره أن لكل إنسان دارين: دار صغيرة و دار كبيرة، و لا يتم الإصلاح إلى بإصلاح الدار الصغيرة، و الدار الكبرى.

هذه هي بعض الجوانب لحياة الشيخ الندوي التي انفرد فيها و تميز عن غيره من الدعاة و العلماء و المفكرين، و لم تكن هذه المواقف إلا عبارة عن فراسته الإيمانية و إدراكه لبواطن الأمور و الأسباب و العواقب للأعمال، و كانت ناتجة عن بصيرته العميقة، و لا تقل قيمة تأثير هذا الموقف عن أعماله العلمية و إسهاماته العملية الأخرى.

إنها نظرة سريعة موجزة على ما قام به سماحة الشيخ الندوي رحمه الله تعالى من حب للإنسانية التي عمت البلاد كلها، و قد جاءت بنتائج حلوة مشجعة، و استعدت عدة نفوس ممن يحملون الضمائر الحرة لإنقاذ المنكوبين، و أنشأوا جمعيات لمكافحة الطائفية، و العنصرية، و الاستغلال، و فيهم عدد كبير من غير المسلمين.

الهوامش:

(١) سورة النحل، الآية: ١٣٥

(٢) كلمة تقديم له لكتاب "الامير صديق حسن خان القنوجي، للدكتور محمد إجتباء الندوي.

(٣) في مسيرة الحياة ١/٢٣٧ - ٢٢٨

(٤) في مسيرة الحياة ٢/٧٩

(٥) في مسيرة الحياة ١/٢٣٩ - ٢٤٠

(٦) في مسيرة الحياة

(٧) سورة الأنفال، الآية: ٢٩

(٨) سورة البقرة، الآية: ٢٠٨

(٩) سورة الأنفال، الآية: ٢٩



العلامة السيد أبو الحسن علي الحسيني الندوي

9

حبه للوطن العزيز "الهند" و أبنائه

بقلم: أ. د. محمد راشد الندوي

ولد العلامة السيد أبو الحسن علي الحسيني الندوي رحمه الله في العقد الثاني من القرن العشرين في محافظة رائى بريلى في قرية اشتهرت باسم "تكيه كلان" في أسرة علمية دينية و ثقافية، ينتمي إلى هذه الأسرة العريقة المصلح الكبير و المجاهد العظيم السيد أحمد الشهيد الذي قضى جُل حياته في خدمة أبناء الهند و سعى لتحريرها من كل ظالم كما سعى لتحريرها من كل عدو غاصب. و قد نشأ العلامة أبو الحسن في هذه البيئة العلمية و ترعرع و شب على حب العلم و الأدب و الثقافة و السياسة، فقد درس التاريخ الإسلامي بجد و عناية كما درس تاريخ الهند السياسي بشوق و شغف. و قد كانت هذه الموضوعات العلمية و الثقافية موضوع بحثه و دراسته كما كانت موضوع تصنيفه و تأليفه. و إنما كانت الهند موضوع بحثه و دراسته لأنها انبثت شخصياته عظيمة كانت غرة في جبينها، و قد كان العلامة مولعاً بدراسة هذه الشخصيات و كان معترفاً بها و فخوراً، و يقمها كأسوة و مثال للباحثين و الدارسين و المثقفين.

من حسن الحظ أن الشباب النابغ السيد أبو الحسن حينما كان مفرقاً في

تاريخ الهند القديم قد بدأت فيها نهضة علمية و سياسية، و كانت هذه النهضة تتمخض بظهور شخصيات تعزز الهند بكتبتها و شعرها كما كانت تموج بخطبها الرنانة و مقالاتها القوية التي كانت ترمي بشدر. و هذه الشخصيات هي مولانا الشيخ محمود الحسن الديوبندي و مولانا أبو الكلام آزاد و الشيخ حسين أحمد المدني و الطبيب الحانق الحكيم أجمل خان، و الشاعر الفذ محمد اقبال. و قد كان العلامة يقدر من صميم قلبه ما كان يقوم اخواننا الهندوك من الخدمات الجليلة و التضحيات العظيمة في سبيل تحرير الوطن العظيم أمثال الزعيم الكبير مهاتما غاندي و بننت جواهر لال نهرو و سوباس جنر بوس، ثم كان رحمه الله متأثراً بأبيه الشيخ عبد الحي الحسني الذي بذل كل حياته في التصنيف و التأليف، و كان أكثر اهتمامه بدراسة تاريخ الهند الثقافي و الأدبي و السياسي فكتابه الشهير "نزهة الخواطر" من أهم الكتب في هذا الموضوع، و يشتمل هذا الكتاب القيم على عدد عظيم من العلماء و المفكرين و المصلحين و المدبرين و الماهرين لشئون الحكم و الحكومة و النظم الاجتماعية من الملوك و الأمراء فالذي يدرس هذا الكتاب يهتز طرباً بما قنمت الهند للعالم مثل هؤلاء العباقرة النين كانوا كالنجوم الالامعة في أفق الهند، لم يكن هؤلاء العظام مفخرة للهند فحسب بل كانوا مفخرة للعالم الحديث و القديم. هذه النفوس الطاهرة و العقول المشرقة و القلوب العامرة بالحب و العرفان اثرت في حياته فشب على حب العلم و المعرفة كما شب على حب الوطن و البلاد، و يتحدث الأستاذ أبو الحسن الندوي في هذا الصدد فيقول: "و لقد اراد الله أن تنشأ في بيئة كانت هوايتها التاريخ و كتابة التراجم و السير، و أن أولد في أسرة كان فيها مؤرخون و مؤلفون، و كان أكثر اشتغالهم بالتأليف في تراجم الرجال، و طبقات الشعراء و الأدباء، و سير العظماء من المصلحين و العلماء و الملوك و الأمراء. فكان جدّي العلامة

السيد فخر الدين الحسني (م ١٣٢٦هـ) من السابقين إلى فكرة وضع موسوعة باللغة الفارسية حين لم يخطر هذا ببال كثير من العلماء و المؤلفين في شبه القارة الهندية، و ذلك قبل ثمانين سنة أو أكثر حين لم تعرف الموسوعات و دوائر المعارف في الهند و لا حتى في اللغات الأجنبية، فوضع كتابه: "مهرجان تاب" في مجلدين ضخمين يحتوي المجلد الأول بخط مولفه على ثلاث مائة و ألف (١٣٠٠) صفحة بالقطع الكبير، و أكثرها تراجم لطبقات الصوفية و العلماء و الشعراء، و وفق والدي العلامة السيد عبد الحي الحسني (م ١٣٤١هـ) لوضع أكبر كتاب يعرف في شبه القارة الهندية في تراجم الرجال الذين نبغوا في الهند من القرن الإسلامي الأول إلى سنة وفاة المؤلف ١٣٤١ هـ (١٩٢٣م) يغطي المساحة الزمنية من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر الهجري، و المساحة المكانية من ممرّ خيبر في الشمال الغربي من الهند إلى خليج بنغال في الشرق، و من قلل كشمير إلى مالابار و كالي كوت في الجنوب. و الأعيان من كل طبقة على اختلاف مذاهبهم الفقهية و اتجاهاتهم العلمية و اختصاصاتهم الفنية، فجاء في ثمانية مجلدات كبار تحتوي على أكثر من أربعة آلاف و خمس مائة (٤٥٠٠) من التراجم، و هو أشبه في أسلوبه و منهجه و تعبيراته بآبن خلكان، و في الدقة و الأمانة، و تحوي الصدق و القياسات اللائقة و الدقيقة، و في تخير الأوصاف و النعوت، هذا إلى كتاب آخر إسمه "كل رعنا" في طبقات شعراء الهند بلغة الأردو، اعتبر من المراجع الرئيسية في تاريخ الشعراء و نقد الشعر، و قرّر تدريبه في عدة جامعات في القارة الهندية، يضاف إليهما كتابه الثالث: "ياد ايام" في تاريخ ولاية كجرات و علمائها و عظمائها و حكوماتها، و هو النموذج العالي لتاريخ بلاد و ولايات، يجب أن يُحتذى و يقلد، و قد قرأت هذه الكتب في سن مبكرة، لأنها كتب كانت بمتناول اليد، و كانت الدوافع إلى قراءتها قوية و طبيعية، فحفظت

منها الكثير، وقلدت أسلوب المؤلف حين بدأت أشدو في اللغة و الأدب و امسكت القلم للكتابة و الإنشاء.

و لذلك كله كان أدب التراجم و السير من أحب الآداب و أخفها و أسهلها إليّ، و كان هوايتي و شغلي الشاغل في سنّ قلّما يتيسر فيها الكتابة لكثير من هُواة الأدب و الإنشاء، فبدأت أولف في تراجم الرجال و سير النابهين من العلماء و المصلحين بالعربية قليلا، و بالاربية أكثر، و تكون منها مكتبة لا بأس بها في كتب التراجم و سير المصلحين و المجددين في الإسلام، و الدعاة و المربين الذين نفع الله بهم الأمة و نهض بها في مختلف الأدوار و الأمصار.(١)

فقد قاده حبه الراسخ و تقديره البالغ للوطن العظيم، الذي لازمه طول حياته، إلى دراسة التاريخ الإسلامي الهندي فحاول أن تكون هذه الدراسة العلمية و التاريخية من خلال دراسة حياة السيد أحمد الشهيد، و كانت غاية هذه الدراسة أن يدرس الشيخ العلامة الأوضاع السياسية و الدينية و الاجتماعية التي كانت في عصر الشهيد، و في الحقيقة لم تكن دراسة حياة الشهيد و ظروفه دراسة سهلة هينة للكاتب الشاب بل كانت مملوءة بالغموض و الابهام، فالظروف الداخلية كانت مكررة بالفتن التي ضاق بها الناس ذرعاً. و لم تكن الظروف الدينية أقل إبهاماً و غموضاً من الظروف الداخلية حيث أصبحت البدع و الخرافات في المسلمين دينهم و دينهم، ثم الظروف السياسية هي كانت أشد خطراً حيث أن الاستعمار الخارجي بدأ ينشب أظفاره للسيطرة على الهند و خيراتها، و كان هذا الاستعمار هو الاستعمار البريطاني الذي ترافقه المهارة الحربية و الوسائل الجديدة من العدة و العتاد. فبذل المؤلف الشاب كل جهده في جمع الكتب و الرسائل و الوثائق التي ترشده لدراسة الموضوع دراسة علمية و فنية، و بعد جهد جهيد و سفر طويل استطاع أن يقدم إلى الناس أول باكورة

علمية و هي "سيرة سيد أحمد شهيد" و نال اعجاب الناس و تقديرهم حيث ظهر بينهم مؤرخاً و محققاً كما ظهر بينهم كاتباً و أديباً. تتجلى في هذه الباكورة العلمية براعة الأستاذ أبي الحسن الأدبية و مهارته الفنية بصورة واضحة و خاصة في تصوير الأوضاع تصويراً كاملاً و تحليلها تحليلها فنياً، فيخيل إلى القاري من خلال قراءة الباكورة كأنه يرافق الشهيد في غدواته و روحاته، في صولاته و جولاته مع محادثاته مع الناس و حوار ه و يسمع كذلك حين يخاطب أصحابه في أشد أوقات الحرج و القلق و يحثهم على الجهاد و الثبات و يحبب إليهم الموت في سبيل الله و يتلو عليهم: "و سارعوا إلى مغفرة من ربكم و جنة عرضها السموات و الأرض أعتد للمتقين" "و لا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء و لكن لا تشعرون" كما يسمع نجوى فواد المجاهدين و أناشيد التضحية. ما أحلى هذه الأناشيد و أعذبها التي كانت تخرج من أعماقهم:

أقول لها و طارت شعاعاً من الأبطال ويحك لن تراعى

فصبرا في مجال الموت صبرا فما نيل الخلود بمستطاع

و هنا يجد القاري الكاتب الشاب كأنه يطير مع السحب يطل من خلالها قافلة الشهيد التي تسير من شرق الهند إلى غربها مع عدد قليل و عدة ضئيلة، و يتتبع آثار خطواتها و أقدامها و يمسح بترابها وجهها كالعاشق الهيمان و المحب الولهان:

ضعيف الصبر عنك و أن تفادى و سكران الفؤاد و إن تصاحى

بذاك بنوا الهوى سكرى صحا كأحداق المها سكرى صحاحا

و عندئذ يحس القاري احساساً بالغاً بأنه أيضاً في نشوة الحب و الغرام، فاستطاع المؤلف أن ينزع في القلوب حبا عميقا و تقديرا بالغاً للوطن، و إنه

هازال يحبب إلى الناس الهند وما فيها كما يحبب إليهم الشخصيات التي ظهرت و نبتت فيها، فقد ساعدني الحظ أن أرى الاستاذ العلامة و هو يلقي محاضرة في مدينة تونك في حفلة علمية و أدبية و يشير إلى ما في هذه المدينة من آثار العلماء و الادباء و المحدثين و المحققين و المصلحين و كانت عينه تقرر بروية آثار هؤلاء و قلبه يهتز طرباً كأنه في نشوة و هو يردد قول الشاعر العباسي أبي العلا المعري:

خفف الوطأ ما أظن أديم الأرض الأمن هذه الأجساد
و حرام بنا و ان قدم العهد هوان الأبناء و الأجداد

بعد العقد الخامس من عمره رأى العلامة الهند أنها تمر بمرحلة عجيبة و غريبة أيضاً. و هي مرحلة النضال لتحريرها من الاستعمار الأجنبي، لاشك أن هذه المرحلة كان ينتظرها الشعب الهندي بفارغ الصبر، ضحّى في سبيلها عدد كبير من أبنائه لم يسعدوا بروية هذا اليوم المشهود كما قدر لعدد كبير أن يسعدوا بروية هلال اليوم السعيد هلال الحرية و الاستقلال، كان هذا الهلال سعيداً لأناس و لكنه كان نحساً و شقاوة لعدد آخر. فرأى الشعب أن بلاده قد قسمت و مزقت، فهذا الشعب الذي كان يعيش اخواناً يفرح معاً في الأفراح و الأعياد و يحزن في الآلام و المصائب، فإذا هو الآن يقتل بعضه بعضاً، و أن الشعب الذي كان بالأمس يحارب العدو المشترك هو يحارب اليوم اخوانه و أبنائه كأنه يجد في قتلهم و دمارهم سعادة و هناءة، كأن شمس الحرية غابت و طلعت مكانها نجوم النحس و الشقاء، فكانت البلاد كما يقول البحتري:

و لم أنس وحش القصر إذ ريع سربه و إذ ذعرت اطلالؤه و جآثره
و إذ صيح فيه بالرحيل فهتكت على عجل أستاره و ستآثره

فإذا البيوت العامرة التي كان يسكنها أبنائها في أمن و سلام و يتمتعون بحلاوة البلاد و جمالها قد خربت و توحشت، إذا هم يودعونها حفاة عراة، عيونهم تجمع و قلوبهم تضطرب، و في نفوسهم حسرة و على لسانهم الوداع الوداع أيتها البلاد العزيزة لا نغادرك راضين بل نودعك مكرهين، لعن الله الاستعمار ما أمكره و أمهره، رحم الله أبا الحسن ما أشجعه و أقواه، فهو في هذه المرحلة المدهشة المزعجة التي كانت كما يقول القرآن: "يوم يفر المرء من أخيه، و أمه و أبيه، و صاحبته و بنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه" صمم أن لا يغادر هذه البلاد التي يحبها من صميم قلبه بل هو يبقى فيها و يختمها بعلمه و قلمه و يحبب إلى الناس ما فيها من آثار علمية و معاهد دينية و مجامع أدبية و جامعات تغذى النفوس و العقول.

كان رحمه الله رقيق الحس، يلاحق الأسفار بعد الأسفار و يجوب القرى و الأرياف، و يقدم إلى الناس ما أعطاه الله من الحب و المعرفة، و يخوفهم عن مصيرهم و مستقبلهم، و إن هذه الأسفار المتلاحقة التي كان هو يقطعها حبا للناس و عملاً لسعادة الإنسانية و فلاحها تزيد قوة في قلبه و شجاعة في نفسه و حلاوة في لسانه و رشاقة في بيانه، فهو يبدو في جولاته كالبلبل الشاذي الذي يسحر الناس بتغريده لا تفرق بينه و بين الناس لغة و لا وطن و لا جنسية و لا لون، يعيش بين الأشجار و الأغصان حداً طليقاً يملأ العالم بالجمال و البهاء، فاللغات المختلفة و الثقافات المتنوعة و الحضارات المتعددة و المدينيات المتفرقة في العالم هي كلها من صنع الإنسان الذي كرمه الله بالعقل و الفكر و نوره بالحب و الوداد "و لقد كرمنا بني آدم و حملنهم في البر و البحر و رزقنهم من الطيبات و فضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً" فلا بد أن تقدر هذه النعم كلها، و يفوق العلامة هنا أقرانه و زملائه جميعاً حيث هو يصبح هبة للناس جميعاً

أيئنا سكنوا و كانوا، و هو ما يقدم إليهم من الهدايا تكون عزيزة و حبيبة للناس جميعا، تكون هي أغلى و أعز من الهدايا التي يقدمها الملوك للملوك و الأمراء للأمراء من الجواهر النادرة و اللآلي اليتيمة لأن الناس يرون بعد أفول نجمهم أنها تتقدم إلى الأسواق الاعلانية يشتريها الأغنياء بثمن بخس دراهم معدودة، لكن ما يقدم إلى الناس من العلم و المعرفة، و من النصيح و الاخلاص تبقى هدية نادرة على مر الأيام لاتباع و لا تعار ترض بها الأجيال بعد الأجيال.

و هنا نرى الشيخ العلامة يخرج إلى الناس خطيبا و داعيا، مفكرا و فيلسوفا يحمل معه رسالة الإنسانية، رسالة المودة و الاخوة، رسالة الائتلاف و الاتحاد، رسالة التسامح و شرف الجار و يشرح للناس أن الهند من القدم كانت مهوى القلوب و محط الأنظار للأمم بما كانت تسمع عن معارفها و علومها و عن خصبها و غنائها و عن أنهارها و جبالها و توجهت إليها شوقاً و حباً و نزلتها و توطنت فيها و وجدت في أبنائها التسامح و التقدير و الاكرام و الاحترام فأصبحت الهند أكبر دولة في العالم تموج ببيانات مختلفة و ثقافات متنوعة و علوم متفرقة و لغات متعددة فالأجناس التي جاءت إليها تحمل معها علوم بلادها و ثقافتها و قدمت إلى أبناء الهند كهدية لها فأصبحت الهند كباقة جميلة للأزهار تتضوع كل زهرة بأريجها كما تبتسم بجمالها و بهائها محتفلة بشخصيتها و وجودها نجد هنا العلامة حين يخاطب الناس كأنه معلم ماهر يشرح للناس الأوضاع التي يمرون بها و يذكرهم بماضيهم المشرق كما يبين أن العالم الجديد ينقسم بين حضارتين متناقضتين حضارة شرقية تقتبس أسسها و مبادئها من الديانة السماوية و المذاهب الروحية لو أن هذه الحضارة قد أصابها شيء من الذبول و الاضمحلال، لكننا نجد في طياتها روحا مختلفة و جنوة تشتعل بعد حين أما الحضارة الثانية هي حضارة غربية مع أن الغرب

من أقصاه إلى أقصاه قد اعتنق المسيحية ديناً و عقيدة له و لكن من سوء الحظ أن أسسه السياسية و الاجتماعية و الأدبية و الفكرية و الثقافية كلها قامت على الفلسفة اليونانية الوثنية التي هي من أول أمرها قامت على مبادي وثنية مادية فامتزجت الوثنية المادية روح الحضارة الغربية فالعالم الغربي لم يستطع أن يتخلص من الوثنية المادية إلى يومنا هذا، فالمبادي الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية و الأدبية هي كلها ممتزجة بهذه الأسس السقيمة الموبوءة. لذلك نرى العالم الغربي كله مصاب بالأنانية و الأثرة و الظلم و الاستبداد و بقيت الديانة المسيحية حبرا على ورق لا صلة لها بالمجتمع الغربي الحديث، و هي محصورة و محدودة بين الطقوس و الرسوم و من سوء الحظ أن الأمم الشرقية التي كانت منذ مدة طويلة في جهل و فقر و تأخر و يأس و قنوط حينما بدأت الحياة تدب في عروقها و نهجت منهاجاً رسمه الغرب، لذلك نجد أن العلماء و الأدباء و المثقفين و المتعلمين بدءوا يبتعدون عن ماضيهم المشرق و يقعون في حماة لا يرجى الخلاص منها. هنا نجد الأستاذ الشيخ أبا الحسن يحذر أبناء الهند بالنتائج الوخيمة و يذكرهم بماضيهم المشرق الرائع و يتمنى من صميم قلبه أن تقدم الأمم الشرقية إلى الغرب بما وهبها الله من الرسالة السماوية و المذاهب الروحية و يقول ينبغي أن نكون مبلغين داعين بدل أن نكون مقلدين متبعين. و كانت هذه الرسالة همه و شغفه إلى آخر حياته.

فالأديب الماهر و الشاعر المفلق و العالم المخلص و الطبيب الحائق و الفيلسوف النادر أينما حل و نزل تدنوا إليه العيون و ترتفع إليه الأعناق و تشار إليه بالبنان حبا و احتراماً، تقديراً و اجلالاً له هكذا كان العلامة شخصية عالمية حبيبة، وجبته الإنسانية ناصحاً أميناً و دعتة بلاد العالم للتوطن بها و لكن الإنسان عجيب في صورته كما هو عجيب في نظرتة و عقيدته، و في روحه

و وجدانه بل هو مجموع العجائب و الغرائب، و هو مهما بلغ من العلم و المعرفة و الذكاء و الفطانة و الوجدان و القريحة الفياضة لا ينسى وطنه و مولده، فهو كالطير يغدو صباحا ينتقل من الشجر إلى الشجر و من الحقل إلى الحقل و من الزهر إلى الزهر يتّخر لنفسه و لأفراخه ما طاب له الطعام ثم يروح إلى وكره مطمئنا مبتهجا و في قلبه حنين و شوق، كم رأينا في التاريخ من العلماء و الأدباء و الشعراء و الفنانين الذين قضوا جل حياتهم في خدمة العباد و البلاد و سحروا الناس بعلمهم و أدبهم و غنّوهم بروحهم و وجدانهم ثم عادوا إلى موطنهم و مولدهم الأول في آخر حياتهم، لم تستطع المناظر الجميلة و المناطق الرائعة و المنازل البهيجة و اقبال الناس عليهم و تقديرهم لهم أن تحول بينهم و بين عودتهم إلى الوطن العزيز و المولد الحبيب و كانوا كما يقول الشاعر:

نقل فوانك حيث شنت من الهوى ما الحـب إلا للحبيب الأول

كم منزل في الأرض يآلفه الفتى و حنينه ابدأ لأول منزل

رحم الله أبا الحسن كم طاف من البلاد و جال و قد سحر بجمالها و بهائها كما فتن بحسنها و رونقها، فقد رزقه الله حسا مرهفا و روحا رقيقة و نظرة نافذة و ذوقا سليما، يقف عند كل منظر جميل يتمتع به و يهتز له، و تكون هذه المناظر من الجبال العالية الخضراء، و الوديان الواسعة الممتدة بالأشجار و الأزهار، و الأنهار الجارية المتدفقة بالماء الزلال، و البحار المتموجة ذات الأمواج الزاخرة كالجبال. في تلك اللحظات ينسى نفسه كأنه في نشوة و سكر، ولكن المؤمن الحق لا ينسى آيات الله المليئة في الكون حتى في حالة السكر و الفناء فنفسه تصحو و تستيقظ و تذكر أنها آية من آيات الله "إن في خلق

السموات و الأرض و اختلاف الليل و النهار لايات لأولى الالباب الذين ينكرون الله قياماً و قعوداً و على جنوبهم و يتفكرون في خلق السموات و الأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه فقنا عذاب النار" فايات الله في الكون ترقق شعور المؤمن كما تقربه إلى الله عز و جل، ففي تلك اللحظات النادرة حين تفيض قريحة الشاعر و الفنان يكون شعرا عالميا خالدا كما يكون أدبا رفيعا انسانيا حيا.

هنا يسعدني ان اكتب نبذة من حياة أبي الحسن أو عن الايام التي قضاها في مدينة دمشق الفيحاء ١٩٥٦م، إذ دعتة الحكومة السورية استاذاً زائراً لإلقاء المحاضرات في جامعة دمشق لمدة شهرين، و كنت حينئذ طالباً في جامعة دمشق و كنت أسعى أن أتشرف بزيارة أستاذي صباحاً و مساءً. و أحاول أن أصاحبه في مقابلاته للكتاب و الأدباء و زيارته للعلماء و الشيوخ في المدينة، و كنا نخرج أحيانا إلى ضاحية المدينة متنزهين ماشين على الاقدام، و كان الأستاذ يسر و ينشرح كلما يخرج إلى ضواحي هذه المدينة الجميلة التي تحفها الجبال الخضراء، و تنفجر منها الينابيع و الشلالات، و يحفها نهر "بردة" حيث تنفرع منه ترع و قناوة تسقى كل بيت في المدينة، و تحتضنها الوديان الممتدة اللامتناهية بأشجار العنب و التفاح و المشمس و الزيتون كأنها بحيرة عظيمة انفصلت من البحر، و تبدو المدينة مع طلوع الشمس و غروبها كأنها ترقص في حلل البشر، فيقول لي أحيانا و هو ينصحي كما ينصح الأب ابنه، يا راشد أنت سعيد إذ وفقك الله أن تأتي إلى هذه البلاد و تنزل في هذه المدينة الجميلة و تدرس في جامعتها الشهيرة، فعليك أن تنتهز كل فرصة لتحصيل العلم و المعرفة اثناء قيامك فيها، و يقول لي أحيانا و نحن نتنزه لم أر مدينة أجمل

منها ولا أروع كم أتمنى أن اختارها مسكنا لي، و أنا أعتقد أنه كان يقول هذه الجملة حينما يكون في غاية الانشراح و الانبساط بجمال المدينة و بهائها و تقدير الناس لشخصيته الجذابة و اقبالهم عليها. و لكني كنت أرى أن الايام كلما تمر تبدو عليه آثار الملل و السأم، و أحس أن روحه بدأت ترفرف كأنها تحاول أن تطير إلى أرض قد طالت غيابها عنها و قد رأيت أنه حينما أكمل المدة المعينة التي جاء لها لا يريد أن يبقى دقيقة واحدة فيها بل يتمنى من صميم قلبه أن يعود إلى وطنه العزيز و يطمئن في داره المتواضعة في قريته "تكيه كلان" و دار الضيوف البسيطة المجاورة لمسجد دار العلوم ندوة العلماء في مدينة لکناؤ الهند.

الذي يدرس حياة العلامة السيد أبي الحسن دراسة تحليلية يجد أنه كان يقتبس القوة للعمل المستمر من القرية التي ولد فيها كما يقتبس العلم و المعرفة من المدرسة التي تعلم فيها و تثقف، و هي دار العلوم ندوة العلماء، فكان يعود إليهما بعد جولاته الطويلة الشاقة. و يطالع و يبحث موضوعات و يرتب المقالات و الكتب التي تناسب الظروف و الأحوال، و يملأ و فاضه بالعلم و المعرفة ثم يطير إلى أنحاء العالم ما طاب له الطيران و يقدم إليه ما عنده من الهدايا النادرة و التحف القيمة.

يكون سماحة الشيخ أبو الحسن في بيته في القرية أو يكون في دار الضيوف لندوة العلماء يراقب أحوال المسلمين و شئونهم في جميع أنحاء العالم، اثناء قيامه في دار العلوم يشرف على أمورها الادارية و التعليمية، يتصل بالاساتذة و الطلبة و يحدثهم عن انطباعاته و خواطره في الاسفار التي قطعها و عن الشخصيات العالمية التي قابلها و زارها، هكذا كان العلامة همزة وصل

عدد ممتاز

بين الطلبة و الاساتذة و بين البلاد القريبة و البعيدة و بين الشخصيات العالمية
في العلم و السياسة فتكونت بفضلها جماعة تتقفت و تنورت و حملت لواء العلم
و الادب و تسير على آثاره ولله الحمد أولا و أخيرا.



الشيخ أبو الحسن الندوي

في تعريفه لمسلمي الهند

بقلم: د/ محمد ثناء الله الندوي

للشيخ الندوي رصيد هائل للفكر – الشارح و الدعوى و المصلح على السواء – الذي أثرى مكتبة العالم الإسلامي، و خدمات جليلة حجة للمسلمين في الهند و خارجها، و هي خدمات قد لا يتمكن من إنجازها جيل كامل و حقبة زمنية كاملة. و من جلائل الأعمال التي اتحفها لنا الشيخ الندوي في ميدان السياسة و الاجتماع، و حدث و لا حرج عما أنتج قلمه في شرح تعاليم الإسلام و تحليل التاريخ الإسلامي، و سير عظماء الإسلام، و رجال الفكر و الدعوة، و الأدباء و الشعراء و ما أنتجه هو من أدب هادف بناء يرقق الشعور و يغذى الفكر و يهذب النفس و يبعث على مكارم الأخلاق، و يهدي إلى عوالم فسيحة من المذهب الإنساني المسلم، أو المسلم الإنساني، الجدير بكرامة الإنسان في كل زمان و مكان.

الشيخ الندوي في رحلاته في الشرق الأوسط و بخصوص في عام ١٩٥١م كان يواجه سؤالاً يتكرر و يواجه إليه في كل مجلس و في كل مناسبة: ما عدد المسلمين في الهند و "كان بعض الإخوان يسأل: هل في الهند مساجد؟ هل فيها مدارس دينية؟ هل عندكم علماء؟ هل يوجد هناك من يحسن أن يقرأ القرآن؟ هل هناك من يفهم العربية؟" (١) و هذه الاسئلة كانت تدل على ضالة معلومات العرب

عن الهند و المسلمين فيها، و كما يقول الشيخ الندوي نفسه: "و تدل كذلك على انه قد اثير نفع كبير حول المسلمين في الهند، و تدل كذلك على تقصير علماء الهند في القيام بمهمة التعريف بهذا القطر العظيم، و بهذه الامة الإسلامية العظيمة التي مثلت دوراً رائعاً في تاريخ الإسلام و تاريخ العلم العام، و اضافت ثروة ذات قيمة عظيمة إلى مكتبة الإسلام العامة و توفرت ببعض العلوم الإسلامية التي كانت و لا تزال فيها الهند زعيمة العالم الإسلامي و حاملة لواءها عدة قرون، كعلم الحديث و الفقه و أصوله، في القديم، و السيرة النبوية و علم الكلام و الدعوة إلى الإسلام في هذا العصر". (٢)

المكتبة العربية تعوز بحوثاً مركزة او تعريفات أمينة للهند و مسلميها في الغالب، على أننا نجد عددًا من المنتبعين لأحوال الهند و المطلعين على آثارها الإسلامية و شخصياتها، و السيد جمال الدين الافغاني نفسه كان قد تناول شخصية هندية كبيرة: السيد احمد خان، و ألف رسالة بالفارسية بإسم "الرد على الدهريين" و ربما أساء فهم هذه الشخصية، و مجلة العروة الوثقى الصادرة من باريس للسيد الافغاني و الشيخ محمد عبده نشرت مقالات عن الهند، و بخصوص عن السيد احمد خان، تتهمه بالاحاد و التحريف في القرآن و الفساد في الدين، و الأستاذ الدكتور محمد البهي ألف لنا كتاب "الفكر الإسلامي الحديث و صلته بالاستعمار الغربي" كما نجد الأستاذ عبد المنعم النمر يؤلف كتاب "كفاح المسلمين في تحرير الهند" و للأستاذ أحمد إبراهيم البشبيشي كتاب "الهند خلال العصور" و الأستاذ أحمد أمين (١٨٨٦ - ١٩٥٤م) تناول شخصيات هندية بالدراسة، مثل السيد احمد خان و القاضي أمير علي في كتابه "زعماء الإصلاح في العصر الحديث" و طبعي أن نتناول هذه الدراسات جوانب خاصة من المسلمين في الهند، و ربما تسيء فهمهما، و القارئ تفوته اشياء مهمة.

على أن هناك شخصيات من الهند خلفت لأبناء البلاد العربية مكتبة كاملة في تاريخ الهند و التعريف برجالها و مآثرهم العلمية و الادبية و الثقافية، و من بين هذه الشخصيات: السيد غلام علي آزاد البلجرامي الذي ألف لنا كتاب "سبحة المرجان في آثار هندوستان" في مجلدين، و منهم مؤرخ الهند الكبير العلامة عبد الحى الحسني، و كتابه "نزهة الخواطر" في ثمانية مجلدات كبار يترجم لنحو خمسة آلاف من أعلام الهند، و له كتاب "الثقافة الإسلامية في الهند" و كتاب "الهند في العهد الإسلامي"، و منهم الأستاذ مسعود عالم الندوي الذي ألف كتاب "نظرة إجمالية في تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند و باكستان".

و لكن القارئ الإنكليزي يختلف من نظيره العربي كلياً، حيث يجد نفسه أمام منآت من الكتب بين صغير و متوسط و كبير ألفت في اللغة الإنكليزية، و ألفها المسلمون و الهنالك و المستشرقون، قديماً و حديثاً، و لا يصادف القارئ موضوعاً أو ذيل موضوع متصل بالهند إلا و يجد فيه عددا كبيرا من الكتب و المؤلفات و البحوث المركزة. (٣)

إن كثرة التساؤلات عن الهند: مسلميها، تاريخها، آثارها الإسلامية، في الرحلات في الدول العربية بعثت الشيخ الندوي أن يملا هذا الفراغ، فآلف كتابين في هذا الموضوع، و هما: "المسلمون في الهند" و "الدعوة الإسلامية في الهند و تطوراتها" و الباحث يجد في غضون مؤلفات أخرى للشيخ الندوي خذ نكات متصلة بالموضوع، منها نجد في كتبه "الصراع بين الفكرة الإسلامية و الفكرة الغربية" و "ربانية لا رهبانية" و "رجال الفكر و الدعوة" وغيرها.

منهج الشيخ الندوي:

المنهج الذي يتخذه المؤلف في التعريف بالمسلمين في الهند يختلف

جزرياً من منهج البحث العلماني الذي يدقق النظر في المعلومات و تفاصيلها المبطنة في طيات آلاف من الكتب المطبوعة و المخطوطة، و الذي يقوم بتحليل علمي بأسلوب موضوعي و بمنطق الاستدلال العلمي و التاريخي، في ضوء الإحالات إلى المصادر العلمية و التاريخية، و على أن الشيخ الندوي يشرح الغرض من تأليفه قائلاً: " هذا الكتاب يتحدث عن الهند و عن إخوانهم – أي المسلمون في الشرق العربي – فيها قديماً و حديثاً، و يتناول هذا الحديث نواحي شتى في الحياة العلمية والاجتماعية و الدينية، و عما أضافه المسلمون إلى ثروة الهند منذ دخولها و ما أدخلوا عليها من إصلاحات، و تجديدات في مختلف نواحي الحياة، و عما أنتجه المسلمون في الهند في العلوم الإسلامية، و ما زادوا إلى تراثها، و من نبغ فيها من العلماء الكبار و المؤلفين العظام، و عن مراكز نشاط المسلمين العلمي و الديني، و مراكزه الصغيرة في العصر الحاضر، و عن خصائص هذا الشعب و طبيعته و شخصيته و عن ماضيه و حاضره، و عن قضايا الرئيسية و مشكلاته، عسى أن يكون حلقة – ظلت مفقودة زمناً طويلاً – في سلسلة تنوير الرأي العام و التزويد بالمعلومات الصحيحة، و في سبل التعارف الإسلامي" (٤) فالكتاب ينصف بالموضوع من وجهة نظر دعوية، و طبعي أن لا يهمه الخوض في التفاصيل التاريخية التي تكثر لدى الباحث المنهجي في التاريخ.

أراد المؤلف أن يتعرف القارئ العربي على أخيه المسلم الهندي: تاريخه و ثقافته و رصيده الفكري و العلمي و اتجاهه الديني و مهمته الدعوية و مشكلاته الخاصة، و قد لاحظ المؤلف شيئاً هاماً يسترعى الانتباه، لنستمع ذلك من الشيخ الندوي نفسه: "و يحملن على تقديم هذا الكتاب أيضاً أننا نلاحظ أن كثيراً من أقطاب السياسة و الثقافة و رجالات العالم الإسلامي و الشرق

العربي يزورون هذه البلاد كل عام، ويقضون فيها ما شاء الله من الوقت، ولا يهمهم أن يتصلوا بإخوانهم المسلمين – الذين أسهموا في بناء الحضارة والثقافة الإسلامية العربيتين بسخاء و جدارة – و أن يعرفوا أوضاعهم السياسية و الثقافية و الدينية و ما يمثلونه أو يستطيعون أن يمثلوه من دور في حضارة هذه البلاد و حضارة العالم، و ما لهم من قضايا و مشكلات يعالجونها، كأنها بلاد – كاوروبا و اليابان – ليس فيها شعب مسلم، و ينصرفون إلى بلادهم لا يعرفون عن الشعب الإسلامي في الهند إلى معلومات ضئيلة سطحية مبعثرة، و قد يعرفون عن البونيين و الجينيين أكثر مما يعرفونه عن المسلمين الذين يشاركونهم في العقيدة و الثقافة و الحضارة، و الذين كانوا بناء الهند الجديدة و صانعيها، و الذين هم من أغنى شعوب العالم علماً و إنتاجاً و حكماً و إدارة و آثاراً و مخلفات، و لا يزالون مصدر قوة و أمل ... إلى هؤلاء و أولئك جميعاً أقدم هذا الكتاب". (٥)

و القارئ عند تصفحه لصفحات كتابي "المسلمون في الهند" و "الدعوة الإسلامية في الهند و تطوراتها" يصادف نفسه تطلع على الموضوع وفق المنهج و الغرض اللذين تبناهما الشيخ الندوي، و بذلك يتقمص كتاب "المسلمون في الهند" خير وثيقة في الموضوع.

أهم المعالجات:

أول سؤال يتبادر إلى الأذهان في موضوع المسلمين في الهند – ذاك القطر الضارب في الماضي العتيق، الشهير بثقافة الفيدا السنسكريتية و ديانة وثنية و الهتها – مثل راما و كرشنا، و حروب مثل مهابهاراتا، و جبابرة مثل كورو و باندو، و علماء مثل آريابهته و شعراء مثل كالي داس ... متى دخلها المسلمون؟

و كيف دخلوا؟ هل دخلوها دخول ملوك يفسدون و يقتلون و يصلبون و يجعلون
اعزة أهلها أثلة؟

المنهج المعادي للإسلام و المسلمين – المحبب لدى المتطرفين –
لا يجيب على هذا السؤال إلا بالاحالة – الخاطئة – إلى سلطان واحد، لا غير، هو
السلطان محمود الغزنوي، و طبعي أن لا تنصف هذه الإجابة بالواقع التاريخي
الصائق، فالسلطان محمود الغزنوي و غزوه "و نهبه" للهند لا يمثل جميع
الغزوات الإسلامية للهند، و لا يمثل لنا الصورة الحقيقية للموضوع.

الشيخ الندوي يهمل الجزء الأول من السؤال: متى دخل المسلمون في
الهند؟ فعنصر التاريخ فيه أكثر، ولكن كيف دخلها المسلمون؟ يرى الشيخ
الندوي أن المسلمين دخلوا في هذه البلاد: (١) دعاة مرشدين (٢) غزاة مجاهدين
(٣) ملوكاً فاتحين (٤) علماء محققين.

فالمسلمون دخلوا في هذه البلاد حينما يدافع مجرد من كل مصلحة
و منفعة، ليحملوا إلى أهلها رسالة الإسلام الرحيمة العادلة، وليخرجوا الناس
من ضيق الدنيا إلى سعتها، كما فعل الدعاة المسلمون الذين ارتقى في
أحضانهم مئات من الأشقياء المعذبين، و أحبهم أكثر من آباءهم و أولادهم،
كالسيد علي الهجویری و الشيخ معين الدين الأجميري و السيد علي بن الشهاب
الهمداني الكشميري. و حينما آخر دخلوها كغزاة فاتحين و ملوك طامحين،
كالسلطان محمود الغزنوي و شهاب الدين محمد الغوري، و ظهير الدين بابر
التيموري، و أسسوا دولة عظيمة خدّمت البلاد و تقوّمت بها الهند في مختلف
مجالات الحياة.

الشيخ الندوي يهمل الآن أن يعرف القارئ الفرق بين غزاة و غزاة، و ملوك
و ملوك، فهناك فارق كبير بين الغزاة المسلمين و المستعمرين الأجانب،

كالإنجليز و الفرنسيين و البرتغاليين الذين غزوا الهند في القرن السادس و السابع عشر الميلادي. إن الغزاة المسلمين كانوا مصممين على الإقامة في الهند، و على الاتصال بها اتصالاً مباشراً مستمراً، معتقدين أن الأرض لله يورثها من يشاء، و أن كل ما كان لله من أرض و بلاد فهو للمسلم عن طريق الخلافة و الوصاية العالمية التي كلف بها المسلمون " فكانوا ينظرون إلى هذه البلاد كوطن و مدفن و مسكن، لا يبيعون عنها حولا، فكانوا يخدمونها بكل ما أوتوه من نكاء و نبوغ و قوى و مواهب، و كانوا يعتقدون أن كل ما يضيفون إلى ثروتها، إنما يضيفون إلى ثروتهم و يحسنون إلى أنفسهم و أجيالهم القادمة، لأنهم أهل البلاد و أنه المستقبل، فكان نظرهم إلى البلاد يختلف بطبيعة الحال عن نظر الأوروبيين المستعمرين، الذين يجلبون خيراتها إلى بلادهم الخاصة، و يحلبون البلاد كبقرة مستعارة لا تقيم عندهم، و لا يجدون من بعد إليها سبيلا، و ذلك سر عناية المسلمين بهذه البلاد و حرصهم على تقدمها و رفاهيتها ". (٦)

كانت الهند تعتر بحضارة أصيلة عريقة في القدم و فلسفة عميقة و علوم رياضية دقيقة و خيرات عظيمة عندما دخلها المسلمون، ولكنها كانت منطقية على نفسها، و عاشت قروناً طويلة في عالم محدود محصور، و حينما دخلها المسلمون و هو أرقى أمة في العالم المتمن آنذاك. دخلوها يحملون ديناً جديداً، سائغاً، معقولاً، و علوماً اختمرت و توسعت و حضارة تهنبت و رقت حواشيتها، و يحملون معهم محصول عقول كبيرة و نتاج حضارات متنوعة متعددة، يجمعون بين سلامة ذوق العرب و لطافة حس الفرس و فروسية الترك. و يرى الشيخ الندوي أن أغرب هدية و أطرفها حملها المسلمون إلى الهند هي: توحيد الإسلام النقي الذي لا يرى الوساطة بين العبد و ربه في العبادة و الدعاء، و لا يعترف بالآلهة و المظاهر و حلول الله في بعض البشر أو الموجودات، و كان للإسلام تأثير عميق في الديانة الهندوكية و بخصوص في فكرة العبادة لله في ديانة

بهكتى و دعوة كبير داس، و هذه نقطة أشار إليها الباحث الهندي المعروف بانيكير في كتابه الشهير "استعراض للتاريخ الهندي" (٧).

و الهدية الثانية التي جاء بها الإسلام في الهند هي المساواة الإنسانية التي لم يكن للهند يهدها، فتصور المساواة الإنسانية لن يجد مكاناً في نوع النظام الطبقي الذي يشيد به - مثلاً - منو الهندي في كتابه: "منو سمرتي" و هذه حقيقة قررها جواهر لال نهرو رئيس وزراء الهند سابقاً في كتابه: "اكتشاف الهند" (٨)

و الهدية الثالثة هي احترام المرأة و الاعتراف بحقوقها و كرامتها، (٩).

الشيخ الندوي يشير إلى العلوم الجديدة التي حملها المسلمون إلى الهند بجانب العلوم الدينية، و منها: علم التاريخ، فقد كانت الهند فقيرة في التاريخ، و قد قال المؤرخ الفرنسي الشهير غوستاف لوبون أن دور الهند التاريخي لم يبدأ إلا بعد المغازي الإسلامية في القرن الحادي عشر بفضل مؤرخي المسلمين، و يذكر معطيات سلاطين المسلمين و علماءهم الثقافي و الصناعي، مثل تأسيس المصانع في عهد ملك كجرات السلطان محمود بن محمد "بيكره" (م ٩١٧هـ) و تأسيس المستشفيات و دور العجزة و الحدائق العامة و المنتزهات و الترع الكبيرة و البرك العظيمة، و في كل هذا و ذاك يحيل الشيخ الندوي إلى ما كتبه أبوه العلامة عبد الحى الحسني في كتابيه "نزهة الخواطر" و "الهند في العهد الإسلامي" (١٠).

الشيخ الندوي يؤكد لنا مراراً أن المسلمين في الهند أوفياء لوطنهم، لا يتشاغلون عن خدمته و التقدم به في ميادين العلم و الصناعة و المدنية، و هم أوفياء لدينهم و ثقافتهم الإسلامية لا يتخلفون عن ركبتها و لا ينقطعون عنها،

وقد نراهم في بعض فترات التاريخ في مقدمة القافلة و مأخذ الزمام، على أن "الجمع بين الثقافتين اللتين تتناقضان كثيراً و تلتقيان قليلاً، و إن الوفاء لوطنين – مادي و روعي – مهمة عسيرة، لا نعرف شعباً من شعوب العالم كلف بها، ثم نجح نجاح مسلمي الهند" (١١).

إن الوفاء للدين الإسلامي و الثقافة الإسلامية كان يتقاضى من المسلمين في الهند أن يولوا اللغة العربية عناية كبيرة، و حقاً إننا نجد هذه العناية الكبرى باللغة العربية لدى مسلمي الهند، حيث نجدهم قاموا بإثراء المكتبة العربية و الإسلامية برصيد تخطت شهرته و سارت به الركبان، الشيخ الندوي يذكر لنا من ذلك الرصيد كتباً مهمة ألفتها عبقرية الهند المسلمة، و يخص بالذكر عدداً من الأعلام و المؤلفين، نخبة من المتقدمين و عدد من معاصريه الذين نبغوا في العلوم و المعارف، و يجللهم بأجمل الجمل و أليق التكريم (١٢)، و يستطيع الشيخ الندوي أن يتحف ذهن القارئ بمعلومات رئيسية ترسم فيه صورة واضحة جلية للموضوع، على ذلك هذا الموضوع لا يستطيع الباحث أن يستوعب جوانبه المختلفة إلا في مجلدات كبار، فهناك آلاف من العلماء و المؤلفين الذين ألفوا الكتب و الرسائل باللغة العربية في الهند، في عشرات من المواضيع و أنواع من العلوم و الفنون: عالية و آلية على السواء، و يمكن أن نقدر الوضع في هذا بالاحالة إلى الدراسات المخصصة التي قام بها الباحثون في الموضوع ورائى الموسوعات أو أشباه الموسوعات التي ظهرت حتى الآن، مثل "تاريخ التراث العربي" لفؤاد سركين، و "معجم المؤلفين" لعمر رضا كحالة، و موسوعة كارل بروكلمان، و "نزهة الخواطر" للعلامة عبد الحى الحسني، و "مساهمة الهند في اللغة العربية" للسيد زبيد أحمد، و غيرها من الكتب و المؤلفات (١٣).

و يسלט الشيخ الندوي ضوءاً على المجلدات و الصحف العربية التي صدرت في الهند في فترات مختلفة، مثل مجلة "البيان" الشهرية الصادرة من

لكنّاؤ (لأصحابها الشيخ عبد الله عمادى و الأستاذ عبد الرزاق المليح أبادي الندوي) و صحيفة "الجامعة" الأسبوعية الصادرة من كولكتا، و كان رئيس تحريرها مولانا أبو الكلام آزاد، و مجلة "الضياء" الشهرية الصادرة من ندوة العلماء، لكنّاؤ للأستاذ المرحوم مسعود عالم الندوي، و مجلة "البعث الإسلامي"، و جريدة "الرائد" الصادرتان من ندوة العلماء، لكنّاؤ، و جريدة "الكفاح" التي تصدرها جمعية علماء الهند من دلهي، و "صوت الأمة" التي تصدرها الجامعة السلفية ببناارس، و "دعوة الحق" التي كانت تصدر من دار العلوم ببونبد و "الداعي" الصادرة الآن مكانها، و يشيد الشيخ الندوي بالدور الذي يمثله خريجو ندوة العلماء في خدمة العلوم العربية و الإسلامية، قائلاً: "و قد خرجت دار العلوم التابعة لندوة العلماء طائفة من الكتاب البارعين في اللغة العربية، و أوجدت نشاطاً أدبياً ملحوظاً في الهند، و محصولاً ذا قيمة أدبية لا يجل لمؤرخ الأدب العربي أن يغفله إذا أراد أن يستوعب الحركة الأدبية في الأقطار الإسلامية و يذكر دارسها المختلفة" (١٤).

الشعب الهندي شعب ممتاز، ضمن بقاء نبوغه في مختلف شعب الحياة و مجالاتها و في أصناف العلوم و الفنون و الإدارة و السياسة، فهناك رجال في العلم و الدين و الإدارة و السياسة عن نظيرهم في العالم الإسلامي، و يتجمل بهم تاريخ الإسلام العام، مثل الحاكم العبقري شيرشاه السوري (م ٩٥٢هـ) و السلطان أورنگ زيب عالمكير (م ١١١٨هـ) و السلطان المحدث الفقيه مظفر حليم الكجراتي (م ٩٣٢هـ) من الملوك و السلاطين، و مثل الوزير عماد الدين الكيلاني الشهير عجمود كاروان (م ٨٨٦هـ) و الوزير عبد العزيز الكجراتي المشهور بأصف خان (م ٩٦١هـ) و الوزير الأمير صاحب السيف و القلم عبد الرحيم بير خان (م ١٠٠٥هـ) من الوزراء و من الدعاة المجددين الشيخ أحمد بن عبد الأحد

السرهندي (م ١٠٣٤هـ) و السيد أحمد بن عرفان الشهيد (م ١٢٤٦هـ)، و الشيخ الندوي يؤرخ لكل من هؤلاء و يسجل لنا نبذة من أخبارهم التي تدل على نبوغهم و عبقريتهم في شتى ميادين العلم و الإدارة و السياسة و الدعوة الإسلامية (١٥).

المؤرخ الإسلامي و المنتبج لتطور الفنون الأدبية في الشعوب الإسلامية يلاحظ حقاً ما أصيب به العالم الإسلامي من انحطاط في التفكير و التأليف، بعد الغارة المغولية، و بذلك فقد الابداع و الابتكار، إلّا في النادر، و نجد هذا الانحطاط ملموساً في شكل واضح بعد القرن الثامن، حيث ساد الإعياء الفكري و الاسترخاء الأدبي في أكثر نواحيه، و احتل الأدب ذاك النوع من الأسلوب الذي تفرقت بها المقامات لبديع الزمان الهمداني و أبي القاسم الحريري و كتابات القاضي الفاضل، و لم تكن الهند بمعزل عن مثل هذا التيار الذي لا يوصف إلا بالعقم، فجميع ما كتب في الهند في الزمن التالي نجده يرضخ تحت وطأة هذا الكابوس، مهما كانت الكتابات في التفسير أو الحديث أو الفقه أو علم الكلام، أو الفلسفة أو الشروح أو الأغراض الأدبية الخاصة. اللهم إلا شخصيات فذة و نابغين نابهن خرقوا هذا القانون في الهند و خارجها، مثل شخصية العلامة عبد الرحمن ابن خلدون، و نبغت في الهند شخصيات لم يعجبها هذا المشوار، يقول الشيخ الندوي بهذا الخصوص: "وجد فيها في فترات كثيرة رجال يستحقون أن يعدوا من نوابغ الإسلام، و يبدو في مؤلفاتهم و أقطارهم شيء كثير من الابتكار و الابداع و الطرافة و الشنوذ عن الأسلوب المألوف المعروف في ذلك العصر، كالشيخ شرف الدين أحمد بن يحيى المنيري البهاري (م ٧٧٢هـ) صاحب الرسائل البديعية في التربية و حقائق الشريعة، و الشيخ أحمد بن عبد الرحيم ولي الله الدهلوي (م ١١٧٦هـ) صاحب "حجة الله البالغة" و "إزالة الخفاء" و الشيخ رفيع الدين الدهلوي (م ١٢٣٣هـ) صاحب "أسرار المحبة" و "تكميل

الأذهان" و الشيخ إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي (م ١٢٤٦هـ) صاحب "العبقات" و "منصب الإمامة" الذين يجد القارئ في رسائلهم و مؤلفاتهم كثيراً من الأفكار الطريفة و التحقيقات الجيدة و الاستنباطات اللطيفة التي تخلو عنها كتب أكثر معاصريهم". (١٦) و يضيف قائلاً: "أما الثقافة العربية فلا يزال الشعب الهندي متمسكاً بها، محافظاً عليها، منتجاً فيها، و تدل الآثار و القرائن على تكون مدرسة أدبية خاصة فيها، في الأدب العربي و الكتابة الإسلامية، تجمع بين البراعة الأدبية و الإيمان العميق و الدعوة الصريحة القوية". (١٧)

اللغة العربية لغة الإسلام الرسمية، و لغة الثقافة الإسلامية العالمية، و طبعي أن لا يهملها شعب مسلم يسكن في الهند، و يهملها هذا الشعب المسلم، كما رأينا، و هذا الشعب له لغة خاصة، لغته الأم، و المسألة ذات أبعاد متنوعة، فالمسلم الهندي الذي يسكن في شمال الهند يتكلم اللغة الأردوية، و الذي يسكن في ولاية بنجال يتكلم اللغة البنجالية، و ثالث يتكلم اللغة البنجابية، و رابع يتكلم لغة من لغات جنوب الهند، و هكذا دواليك، فالمسلم الهندي يتكلم لغات عديدة، و لأجل أن لغة دينية و ثقافته الدينية و فكره الإسلامي هي اللغة العربية فطبعي أن تؤثر هذه اللغة في عدد من اللغات الهندية التي يتكلم بها المسلمون، فاللغة العربية مارست تأثير جذرياً عميقاً على اللغة الأردوية، أشهر و أرقى لغة هندية يتكلمها المسلمون.

الشيخ الندوي عالج هذا الموضوع في حديث أنيع من الإذاعة الهندية في بلهي من قسمها العربي، و شرح لنا عدداً من الكلمات ذات الأصل العربي و التي تستخدم في اللغات الهندية، مثل "دام" (الدرهم) و "كيرانت" (قيراط) و "أشرفي" (الأشرف) و "فيرز" (الفران) و "قليه" (قلية، بالتشديد) و "كباب" و "سلفه" و قالين (القالى) و "راج" رئيس البنائين (الراز) و "مستري"

(المسطرى) و "خراد" (الخراط) و "ساهول" (شاقول)، الحديد الذي يربط في خيط طويل لتسوية الجدران، و "كنى، كونيا" (الكونية، أى الزاوية القائمة) و "قلعى" (القلعى، الرصاص الجديد) و "احدى" (احدى، الرجل الكسول الذي يقضى وقته في بطالة) و "تماشه" (التماشى) وغيرها من الكلمات.(١٨)

للشعب الهندي حضارة يعرفها الشيخ الندوي كحضارة إسلامية، معالجاً في مبدأ الأمر قضية الحضارة و عوامل تأليفها، إن الحضارة تتكون من مبادئ للحياة و الأخلاق، و الحضارة لا تكون في معزل عن التماش المحلي و الاختلاط، و للمسلمين في الهند حضارة هي "يزيج من التأثير الهندي الإسلامي، و يبعث ذلك على الروعة و الجمال، و يضمن أن لن يعيشوا في البلاد كعابر سبيل أو غريب، بل أن يعيشوا فيها كمواطنين أمنين"(١٩).

الشيخ الندوي يصف حضارة المسلمين في الهند بكلمة "الحضارة الإبراهيمية" لها سمات ثلاث أساسية هي: الإيمان بالله و استحضار ذاته و عقيدة التوحيد و التصور لشرف الإنسان و مساواته بصورة دائمة و إجبارية.(٢٠) و هناك سمات فرعية للحضارة الإبراهيمية، أمثال أعمال اليد اليمنى في الأمور الحسنة و الأكل بها، و شرب الماء بها، و الإعطاء و الأخذ بها، و قيود في اللبس، و تقدير الفنون الجميلة، و القرى و سعة الصدر و إطلاق اليدين،(٢١) و هذه آداب أثرت كبيراً في التقاليد الهندية، بل انحفت الهند و تراثها الحضاري و التمدني للمسلمين بهدايا ثمينة لا تنفك عن الحضارة الإسلامية الهندية، و أنها ملك يفتخر به، و لا نجد له نظيراً في الدول الإسلامية الأخرى، و هي مقاومة مسلمى الهند لتيارات الحضارة الغربية، و جمودهم في وجه غزوها العدوانى بنجاح و قوة و حفظهم لكيانهم و شخصيتهم الممتازة و تفكيرهم العميق و تصوفهم، و كل ذلك نتيجة مختلف العوامل الاجتماعية

و الفكرية و الحضارية التي ظلت تستمر جنورها في هذه البلاد منذ قرون، فوضعوا أساساً لحضارة إسلامية هندية بديعة، و أوجدوا طبيعة كانت عصارة الحضارة الإسلامية العالمية و الحضارة الهندية و فلسفتها في وقت واحد" (٢٢).

إن الشعب المسلم الهندي حافظ على كيانه و شخصيته الإسلامية و دبر رسائل لتطوير رصيد الفكر و الثقافي عبر نظام خاص للتعليم و التربية، فأسس عدداً كبيراً من المدارس و المعاهد التعليمية في القرى و المديریات و المدن، عدد يزيد يوماً فيوماً، و من مزايا المنهج للتعليم في تلك المدارس و المعاهد: الإخلاص و الإيثار، و التكريس على العمل، و الصلات الوثيقة بين الطلبة و الاساتذة، و إصلاح الباطن و العلاقة مع رجال القلب، و بكل هذه الخصائص و المميزات إن هذه المدارس و المعاهد الشعبية الدينية تكوّن شخصيتها مقابل الجامعات و الكليات و المدارس و المعاهد الحكومية للتعليم و التربية، و التي تبنت منهجاً علمانياً، و تدرس العلوم و الفنون الحديثة من وجهة نظر علمانية، الشيخ النوي يخص بالذكر عددًا من المدارس في الهند كان لها – و لا يزال – دور كبير في تعليم الشعب الهندي المسلم، مثل دار العلوم ديوبند، و مظاهر العلوم بهارنפור، و المدرسة العالية في كولكاتة و رامفور، و شمس الهدى في بتنه، بيهار، و سلطان المدارس و المدرسة النظامية و مدرسة الواعظين في كوناؤل للشريعة الإمامية، و المدرسة النظامية بحيدرآباد، و جامعة دار الهدى بكريم نكر، و جامعة دار السلام بعمر آباد، و الباقيات الصالحات في ويلور، و المدرسة السلفية بينارس، و جامعة الفلاح، و جامعة الرشاد و بيت العلوم في أعظم كره، و الجامعة الرحمانية في مونكير، بيهار (٢٣).

و هناك مدارس و جامعات مدنية تعلم أبناء المسلمين و شبابهم العلوم و خيراتها و إدارتها، منها جامعة على كره الإسلامية، و الجامعة المحلية

الإسلامية بنيو دلهي، و الجامعة العثمانية بحيدرآباد، و تتوسط بين المدارس القديمة، و الجامعات المدنية دار العلوم التابعة لندوة العلماء التي تأسست في كوناؤ في ١٣١٢هـ بيد الشيخ محمد علي المونكري و زملاءه المخلصين، الذين خافوا على المسلمين من المحافظين و المتطرفين، و من اعتزال العلماء عن الحياة، و تخلفهم عن ركب الثقافة و العلم، و من العصبية المذهبية و المشاجرات الفقهية التي قويت و نشطت في العهد الأخير.

الشيخ النوي من أبناء ندوة العلماء النابغين و النابهين، لنستمع إلى هذا النابغة يعرف لنا ندوة العلماء: "تأسست ندوة العلماء و دار العلوم التابعة لها على مبدأ التوسط و الاعتدال و الجمع بين القديم الصالح و الجديد النافع، و بين الدين الخالد الذي لا يتغير، و العلم الذي يتغير و يتطور و يتقدم، و بين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة و المنصوص، و قامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية، و أن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير و التجدد، فيجب أن يتناول الإصلاح و التجديد، في كل عصر و مصر، و أن يزداد فيه و يحذف منه بحسب تطورات العصر و حاجات المسلمين و أحوالهم، عينت دار العلوم بصفة خاصة بالقرآن الكريم – الرسالة الخالدة و تدريسه ككتاب كل عصر و جيل، و عنيت باللغة العربية التي هي مفتاح فهمه و أمينة خزانته، و وجهت عنايتها إلى تعليم هذه اللغة الكريمة كلغة حية من لغات البشر سيكتب بها و يخطب، لا كلغة أثرية دارسة لا تتجاوز الأحجار أو الأسفار، كما كان الشأن في الهند، و قللت قسط بعض العلوم القديمة التي لا تفيد كثيراً، و أبلتها ببعض العلوم العصرية التي لا غنى عنها للعالم العصري الذي يريد أن يخدم بينية و أمته، و اجتهدت أن تخرج رجالاً مبشرين بالدين الإسلامي الخالد لأهل العصر الجديد شارحين للشريعة الإسلامية بلغة يفهمها

أهل العصر و بأسلوب يستهوى القلوب، أمة وسطاً بين طرفي الجمود و الجحود، و قد نجحت في مهمتها نجاحاً لا يستهان بقيمته، فأنجبت رجالاً هم خير مثل للعالم المسلم العصري، لهم آثار جميلة خالدة في الأدب الإسلامي و علم التوحيد لأهل العصر الجديد، و السيرة النبوية – على صاحبها الصلاة و السلام – و التاريخ: (٢٤) حقاً، إن ندوة العلماء نجحت في مهمتها نجاحاً يعز مثيله من بين المدارس الشعبية الأخرى، بل و من بين الجامعات الحكومية في الهند، و شخصية الشيخ أبي الحسن علي الحسيني الندوي خير مثال لهذا النجاح في العصر الحديث.

الشيخ الندوي يتميز تفكيره و أسلوبه بميزة قلما تخلو كتاباته عنها، و هي: الانصاف بمعاصريه على كل حال، إنه لم يترفع في أي حال، و في أي زمن، و لم يقلل من شأن العلماء الذين عاصروه، أو الذين قاموا بخدمات لا يستهان بقيمتها في حياة المسلمين العلمية و التربوية و الدينية في الهند، في العصر الحديث، فالشيخ الندوي يشيد بالذكر لمدارس أخرى تأسست على طراز ندوة العلماء، مثل مدرسة الإصلاح في أعظم كره التي أسسها الشيخ حميد الدين الفراهي عام ١٩٠٩م، و "لهما عناية خاصة بالتفسير و فهم القرآن على طريقة مؤسسها الشيخ الفراهي" (٢٥) كما يذكر لنا المجامع العلمية التي لها خدمات جليلة في البحوث و التأليف، مثل دار المصنفين في أعظم كره التي تأسست في عام ١٩١٤م، و ندوة المصنفين التي نشأت في دلهي في عام ١٩٢٨م، و دائرة المعارف بحيدر آباد و التي تأسست عام ١٨٨٨م. و يذكر لنا من المكتبات العامة الهندية الشهيرة في العالم بكتبها النادرة و آثارها الثمينة و مخطوطاتها النادرة: مكتبة خدا بخش في بتنه، و مكتبة رضا في رامفور و المكتبة الأصفية في حيدر آباد، و مكتبة مولانا آزاد في علي كره، و مكتبة دار العلوم ديوبند،

و مكتبة الشيخ ناصر حسين الكنتوري في لکناؤ، و مكتبة العلامة شبلي النعماني في لکناؤ. (٢٦)

كان للمسلمين دور كبير في تحرير الهند من براثن الاستعمار الإنجليزي، و المسلمون انفسهم كانوا ولاية البلاد و سادتها حين احتل الإنجليز هذه البلاد، و بدأ الاضطبوط الإنكليزي ينفث سمومه و يبتلع هذه البلاد قطعة قطعة و إمارة إمارة، و يسجل لنا الشيخ الندوي الدور الذي مثله المسلمون في مكافحة الإنجليز، بدأ من السلطان فتح علي خان الشهير بسلطان تيبو (١٢١٣هـ/١٧٩٩م) و كان للعلماء و المشائخ دور قيادي في حركة التحرير هذه، و أشهرهم مولانا أحمد الله و مولانا لياقت علي، و الحاج امداد الله التهانوي، و الشيخ محمد قاسم النانوتوي، و الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي و الحافظ محمد ضامن الشهيد، و المسلمون دفعوا ابهظ ثمن و أغلاه لهذا الجهاد، كما نجد في أمثال الشيخ يحيى علي العظيم آبادي و شقيقه الشيخ أحمد الله العظيم آبادي، و الشيخ عبد الرحيم الصادق بوري، و الشيخ محمد جعفر التهانيسري و المفتي مظهر كريم الحريابادي و قد لعب نخبة من زعماء المسلمين و قادتهم دوراً عظيماً في هذا الجهاد، مثل مولانا أبو الكلام آزاد، و مولانا محمود الحسن الشيخ الهند الديوبندي، و مولانا محمد علي و شقيقه مولانا شوكت علي، و محمد علي جناح، و غيرهم (٢٧).

الشعب الهندي المسلم شعب ممتاز، ممتاز في سلوكه و طبيعته و اتجاهاته و منهج حياته، يرى الشيخ الندوي أن هذا الشعب ممتاز باتساع فكره و حرصه على الاتصال بالعلم و تمرده على حدود العنصرية و القومية الضيقة و الوطنية المحدودة و نزعته الدائمة إلى العالمية و الأفاقية، و ذلك سر اندفاعه إلى كل حركة ترمي إلى الوحدة الإنسانية و الجامعة الإسلامية" (٢٨) و يسجل لنا

المؤلف بحق أن: "من خصائص هذا الشعب الإسلامي الهندي شدة تعلق قلوب أفراد بمهد الإسلام ومنزل الوحي ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، والحنين إلى مكة والمدينة، فقد تغنى بذلك شعراءهم قديماً وحديثاً، وعاش الشعب الإسلامي الهندي في هذه الأمنية العزيزة اللذيذة العامة والخاصة، حتى عرف ذلك عنه" (٢٩).

الشيخ الندوي في تعريفه للمسلمين في الهند وتاريخهم ومآثرهم وأعمالهم الجليلة يستطيع أن يرسم أمام القارئ صورة طليعة رائعة تبهر الأبصار وتأثر القلوب، لأن القارئ يتعرف على شعب له رصيد حضاري وثقافي وسياسي، وقد تفرد من مميزات تجعله إنساني النزعة العام وعالمي الأفق، فله تاريخ، بل هو صنع تاريخياً، وأثرى العلوم والفنون، بل أصل بعض العلوم الجديدة، وألف آلاف الكتب، وشيد حصوناً وعمارات يتجمل بها التاريخ والحال والمستقبل، وأسس مدارس محافظة وجامعات متحررة ومجامع علمية، ومكتبات تعرف في العالم بنوايرها، ودفع لحركة تحرير البلد أبهظ ثمن وأغلاه، وله "حضارة إبراهيمية" وفيه علماء يشبهون مجامع مستقلة في نواتهم، وصوفية ملكوا أزمة القلوب، وفيه وطنيون مثل مولانا آزاد الذي في عهد رئاسته وتحت إشرافه وتوجيهه نالت الهند الاستقلال ولا يخطر في بال القارئ في تتبعه لهذا الشريط الرائع من الصور المبهرة أنه يمكن أن تكون مشكلات لهذا الشعب أيضاً، ولكن المؤلف يفاجئه بحكاية مشكلات "يعانيها اليوم ويحاول حلها والتغلب عليها، كان بعضها نتيجة أخطائه، وبعضها نتيجة رواسب الماضي ومخلفاته الفكرية والسياسية، وبعضها نتيجة وضع الأحوال والحوادث التي مرت بها الهند في العهد الماضي" (٣٠)

ولا شك، فهناك مشكلات يواجهها الشعب الهندي المسلم، والشيخ الندوي يذكر لنا أهم المشكلات، فالمشكلة الكبرى في نظره هي مشكلة الدعوة

الإسلامية، لقد انتشر الإسلام في الهند عن طريق الدعوة و الهداية، الدعوة الإسلامية أذعنت القلوب، قلوب الهناك، و كان من الممكن المتوقع أن يصبح الإسلام – لو جرت الأمور مجراها الطبيعي – أعظم قوة في القارة الهندية، ثم أعظم قوة في آسيا، و هناك مشكلة الأحوال الشخصية، الحكومة الهندية تود أن تلغى قانون الأحوال الشخصية للمسلمين "على أن بقاء قانون الأحوال الشخصية هو الضمان الوحيد لتمسك المسلمين بصيغتهم الدينية، فإن التعليم الجديد و الثقافة القومية قد قضت على كثير من خصائصهم" (٣١) و هناك مشكلة التعليم، إن ديانة الأكثرية تريد أن تفرض شعائرها و آلهتها و مقدساتها و أساطيرها الدينية في المقررات الدراسية و التي تتنافى مع تعاليم الإسلام، بل هي تطعن في الشخصيات و المؤسسات الإسلامية، و هناك مشكلة اللغة الأرودية.

و مجموع هذه المشكلات تمخض جنيناً شريراً تخلق، و شب، فأصبح كابوساً مزعجاً، وليته في المنام! و لكنه في الواقع الشيخ الندوي يتخذ موقفاً متفلسفاً من هذا الواقع المؤلم، و مغزى هذا التفلسف أن هذه المشكلات ضرورية طبيعية، لأن البلد لم يسغ الجمهورية إساعة كاملة " هذه رؤوس المشكلات التي يعانيتها الشعب المسلم الهندي في هذه الفترة التي لا بد منها لكل بلد بقى تحت الحكم الأجنبي مدة طويلة، و لم يسغ الجمهورية إساعة كاملة، و لم يتعوها بالمعنى الصحيح" (٣٢).

المشكلة أن مصطلح "الحكم الأجنبي" مشكلة في نفسه، صحيح أن الإنجليز كانوا أجنب و مستعمرين، و كان حكمهم أجنبياً، لكن هناك أفراد من الأكثرية المتطرفة الآن تعتبر آباء المسلمين الهنديين "أجنب" و حكمهم "أجنبي" و هذا هو السر في تعقد المسألة و تحولها إلى الغوزة طائفية لا يرضاها إلا التوتر و القتل و النهب و الاحراق.

الهوامش:

١ - أنظر: أبو الحسن علي الحسن بن النوي: المسلمون في الهند (لكنّا، المجمع الإسلامي العلمي، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ص ٥

٢ - المصدر نفسه، ص ٦ - ٧

٣ - أنظر مثلاً:

Titus, Murray T, **Indian Islam** (New Delhi, 1979)

Khan, M.N.A., **Indian Minorities and their Problems**
(Hydrabad, 1989)

Indian Muslims by an Indian Mohammedan (London, 1928)

Hunter, W.W., **Indian Musalmans** (Calcutta, 1876)

Asghar Ali Engineer, **Indian Muslims** (Delhi, 1985)

Hasnain, S.E., **Indian Muslims** (Bombay, 1986)

Mujeeb, M. **Indian Muslims** (London, 1967)

Ram Gopal, **Indian Muslims** (Bombay, 1959)

Shan Mohammad, **Indian Muslims** (Meerut, 1981)

Chopra, P.N., **Indian Muslim in Freedom struggle** (New Delhi, 1988)

Balraj Puri, **Indian Muslims since Partition** (New Delhi, 1992)

Indian Muslims Speak (Publication Division, New Delhi, 1965)

Sharma, Jagdish. Saran, **Indian Minorities** (New Delhi, 1975)

Quraishi, Ishtiaq Hussain, Muslim Community of the Indo-Pakistan 610-194)

(Columbia University Press, 1962)

Safia Ahmad, Muslim Community in Bengal (1884-1912-)
(Oxford University Press, 1974)

Baig, M. R. A., Muslim Dilemma in India (New Delhi, 1974)

Faridi, F. R. (ed) Muslim Personal Law (Aligarh, 1973)

Tahir Muhmmmed, Muslim Personal Law (New Delhi, 1977)

Peerzada, Shams, Muslim Personal Law and Uniform Civil Code (New Delhi, 1985)

Mathur, Y. B. Muslim and Changing India (New Delhi, 1972)

Ahluwalia, B. K., Muslim in Freedom Movement (New Delhi, 1985)

Shakir, Moin, Muslims in Free India (New Delhi, 1972)

Aijazuddin Ahmed, Muslims in India (Delhi, 1993)

Ansari, Iqbal Ahmad, The Muslim Situation in India (Delhi, 1986)

Qamar Hassan, Muslims in India-Attitudes, Adjustments and Reactions (New Delhi, 1987)

Ghosh, S. K. Muslims in India Democracy (Delhi, 1984)

Jain, Mukesh Kumar, Muslims in India, (Delhi, 1979)

Zafar Imam, (ed.) Muslims in India (Delhi, 1975)

Satya Prakash (ed.), Muslims in India (Delhi, 1985)

عدد ممتاز

٤ - أبو الحسن علي الحسيني الندوي، المصدر السابق، ص ١٠

٥ - المصدر نفسه، ص ١٠ - ١١

٦ - المصدر نفسه، ص ١٣

٧ - المصدر نفسه، ص ١٤ - ١٥

وراجع:

K. M. Panikkar, A Survey of Indian History, (Bombay, Asia, 1960)

٨ - أبو الحسن علي الحسيني الندوي، المصدر السابق، ص ١٦

و انظر:

Jawahar Lal Nehru, Discovery of India (Calcutta, Signet Press, 1946) pp. 335, 526

٩ - أبو الحسن علي الحسيني الندوي، المصدر السابق، ص ١٧

١٠ - المصدر نفسه، ص ٢٣ - ٢٥

١١ - المصدر نفسه، ص ٢٢

١٢ - مثلاً يقول الشيخ الندوي:

..... العلامة شبلي النعماني وتلميذه الأستاذ الكبير السيد سليمان الندوي شعراء مفلقون كالقاضي عبد المقتدر الكندي (م ٧٩١هـ) و الشيخ أحمد بن محمد التهانيسري و أدباء محققون كالعلامة عبد العزيز الميمنى و الشيخ أبي عبد الله السورتى " المسلمون فى الهند، ص ٤٥ - ٤٦.

" الإمامان فى أقسام القرآن " للعلامة حميد الدين الفراهي (م ١٣٤٩هـ) تدل على عمق فكره و بقة نظره و اطلاعه الواسع على التوراة و الانجيل، و تضلعه من العلوم العربية و البلاغة و اشعار الجاهليين و أساليب بيانهم و الفوص فى المعاني " المسلمون فى الهند ص ٤٣.

١٣ - Zubaid Ahmed.

- ١٤ - الشيخ الندوي، المصدر السابق، ص ٤٧
- ١٥ - انظر المصدر نفسه ص ٤٨ - ٦٣
- ١٦ - المصدر نفسه، ص ٥٧ - ٥٨
- ١٧ - المصدر نفسه، ص ٦٢ - ٦٣
- ١٨ - المصدر نفسه، ص ٦٥ - ٦٩
- ١٩ - المصدر نفسه، ص ٧٢
- ٢٠ - المصدر نفسه، ص ٧٢ - ٧٣
- ٢١ - المصدر نفسه، ص ٧٨ - ٧٩
- ٢٢ - المصدر نفسه، ص ٨٢
- ٢٣ - المصدر نفسه، ص ١١٥ - ١٢٠
- ٢٤ - المصدر نفسه، ص ١٢٤ - ١٢٥
- ٢٥ - المصدر نفسه، ص ١٢٥
- ٢٦ - المصدر نفسه، ص ١٢٥ - ١٣١
- ٢٧ - راجع المصدر نفسه، ص ١٦٢ - ١٨٦
- ٢٨ - المصدر نفسه، ص ١٥٩
- ٢٩ - المصدر نفسه، ص ١٦٠
- ٣٠ - المصدر نفسه، ص ١٨٧
- ٣١ - المصدر نفسه، ص ١٩٢



دور سماحة الشيخ الندوي في حل قضايا المسلمين الهنود

بقلم: د/ جمشيد أحمد

أنجبت الهند العلماء و المفكرين و الأباء البارزين في كل زمان، و يحتل سماحة الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسن الندي رحمه الله مكانة مرموقة من بينهم بمزاياه الخاصة و خلقه العالي و سلوكه المتميز. كانت شخصيته تحتوي على جوانب عديدة حيث كان عالماً ربانياً و مفكراً كبيراً و ادبياً بارعاً و مفسراً جليلاً و محدثاً عظيماً و مصلحاً بليغاً و زعيماً سياسياً. و حينما ندرس شخصيته الفذة يظهر أنه كان كاملاً في جميع هذه الجوانب فيبدو أنه مفسر حينما يفسر الآيات القرآنية و محدث حينما يشرح الأحاديث النبوية و ادب بارع حينما يكتب الشذرات الأدبية و مفكر حينما يشرح الإسلام و زعيم سياسي حينما يتحدث عن قضايا المسلمين الهنود، يقول الأستاذ واضح رشيد الندوي مشيراً إلى هذه الميزة: "إنه كان مجموعة شخصيات امتزجت فيه مزايا زعماء الإصلاح و الارشاد و الذين أثروا التاريخ الإسلامي بمآثرهم، كان من ميزته أنه كان جامعاً لهذه الشئات كان عالماً محققاً و مصلحاً ربانياً مرشداً و إنه كان زعيماً سياسياً يخوض معركة الحياة و يتخذ مواقف جريئة". (١)

إن سماحة الشيخ الندوي رحمه الله أدى دوراً كبيراً كزعيم سياسي حيث تحدث عن قضايا المسلمين الهنود و حلها بكل جرأة و وضوح و ما خاف في ذلك

لومة لانم و بذل أقصى جهوده الموفقة لحل القضايا المعقدة السياسية و الدينية حتى كما يقول الأستاذ واضح رشيد الندوي "قد أجبر الحكومة الهندية في مناسبات مختلفة على تغيير سياستها بل تغيير قوانينها و أحكامها بتنخله الشخصي". (٢)

إن مسلمي الهند يواجهون المشكلات العديدة منذ الاستقلال منها مشكلة الدعوة و مشكلة الأحوال الشخصية و مشكلة التعليم و المشكلة اللغوية و مشكلة الأمن و السلامة و المشكلة الاقتصادية و غير ذلك و لكن "المسألة الأساسية في الهند هي إعادة الحكومة إلى التمسك بالدستور العلماني و الحياد في السلوك مع مواطني البلاد أولاً و إزالة الكراهية و العداء ضد المسلمين التي تتصاعد بنشاطات الحركات الطائفية ليعيشوا كمواطنين بدون خوف و ذعر و يشاركوا في تقدم البلاد و إصلاح أحوال المسلمين و تصحيح عقيدتهم و تعليمهم و توعيتهم و منعهم من اللجوء إلى أعمال طائشة تثير سخط رجال الحكم و الأغلبية" (٣) لأن كل مشكلة يواجهها المسلمون في الهند، هي نتيجة التهاون في تطبيق الدستور العلماني.

إن سماحة الشيخ الندوي رحمه الله قد أدرك مشكلات الأمة الإسلامية في الهند و كتب حولها في كتابه القيم "المسلمون في الهند" بكل بسط و تفصيل فيقول "و للشعب الإسلامي الهندي مشكلات يعانيتها اليوم و يحاول حلها و التغلب عليها، و كان بعضها نتيجة أخطائه و بعضها نتيجة روااسب الماضي و مخلفاته الفكرية و السياسية و بعضها نتيجة وضع الأحوال و الحوادث التي مرت بها الهند في العهد الماضي و لا شك أن جميع هذه عارضة طارئة، ستنحل إذا أثبت الشعب الإسلامي جره و احتماله و عالج الأمور بحكمة و أناة و رفق و قدرت له القيادة الرشيدة المتزنة الجرئية". (٤) و إليكم نبذة ما يقول سماحة الشيخ الندوي رحمه الله عن مشكلات الأمة الإسلامية في الهند و حلها.

١ - مشكلة الدعوة الإسلامية:

عند سماحة الشيخ الندوي رحمه الله هي المشكلة الكبرى التي يواجهها المسلمون في الهند اليوم لأن الدعوة الإسلامية لم تزل تعمل عملها و تبذل كل جهدها فلذلك دخل عدد كبير من غير المسلمين في الإسلام طوعا لما يمتاز به الدين الإسلامي من المبادئ الحكيمة المعقولة و وجود عقيدة التوحيد النقية و العدل و المساواة و عدم وجود طبقات متفاوتة إلى آخر عهد الحكومة الإنجليزية لكن حينما نالت الهند الاستقلال من الاستعمار البريطاني و صارت بلدا علمانيا تواجته الدعوة الإسلامية المشكلات العديدة فلذلك لم تستطع أن تعمل عملها بكل حرية و سهولة فبطأت حركة الدعوة الإسلامية في الهند و لم يضاف إلى المجتمع الإسلامي الهندي مما جديدا إلا بقليل. (٥) أشار سماحة الشيخ الندوي رحمه الله إلى أسباب بطء حركة الدعوة الإسلامية في الهند فقال: "و نشبت المعركة السياسية بين المسلمين و مواطنيهم و حميت في الأيام الأخيرة و توترت منها قلوب الطائفتين و امتلأت ضغنا و حقدا و شكاً و اتسعت شقة الخلاف و كان من نتيجتها انفصال الطائفتين و انقسام الهند.... ولكن الذي يهمني الآن أن هذا الوضع السياسي الذي جرت إليه الأحوال و الظروف أو لجأت إليه الهند طائفة أو مكرهة خلف مرارة في القلوب و شكاً في قلب كل طائفة بالأخرى و زهدا و انصرافا عن كل ما تتسم به تلك الطائفة من دين و عقيدة و ثقافة و حضارة، بل و كراهة لما تتبناه و تتزعمه بطبيعة الحال و كان ذلك حاجزا كبيرا في سبيل انتشار الإسلام في الهند، لأنه دين الدولة المتنافسة القائمة لها بالمرصاد و دين شعب قامت بينه و بين الشعب الهندي معارك سياسية و حروب طائفية و مناوشات كلامية، فيبعث ارتفاع عدد المسلمين نسبيا بالمواليد أو بدخول أفراد الطبقات المتخلفة المضطهدة في

الإسلام قلقا و خوفا في أوساط الاغلبية فيفكر بعض الزعماء في قمع نشاطات الدعوة و تحويل النسل.

اضف إلى ذلك أن الدول التي تتسمى بالإسلام و المجتمع الذي يدين بالإسلام على الحدود لا يمثلان مع الأسف في الأخلاق و السياسة ما يزيد ثقتهم بالإسلام و يبعث على اجلاله و اكباره" (٦) و لكن مع ذلك لم ينس الشيخ الندوي من هذا الوضع الطارئ و يرجو أن الدعوة الإسلامية سترجع و تعود إلى ماضيها و تضيف دما جديدا إلى المجتمع الإسلامي الهندي و تمنحه مهتدين جددا سيثبتون نبوغهم و عبقريتهم في تقدم البلاد فيقول "لاشك أن امتداد الايام و تحسن العلاقة بين باكستان و الهند و تغلب العقل على العاطفة سجل هذه المشكلة و يبدأ الإسلام سيره و نشاطه من جديد إذا قام المسلمون بدعوة اسلامية رقيقة خالصة مخلصه لا تشوبها السياسة و الطموح و الكبرياء، دعوة لا تقصد إلا هداية الناس و إسعاد النفوس و خدمة الخلق و النصح الخالص و الاشفاق على مصير بني آدم و تحفظهم من مهالك الدنيا و الآخرة و وفق المسلمون لآخراج كتب في شرح تعاليم الإسلام و عرض السيرة النبوية في اللغة الهندية و اللغات الاقليمية في أرقى أسلوب عصري و شكل جذاب و تغلغلوا في المجتمع الهندي بدعوتهم و اثبتوا تفوقهم الروحي و الخلقي و اخلاصهم و وفاءهم لبلادهم و حرصهم على تقدمها و رفاهيتها". (٧)

٢ - مشكلة الاحوال الشخصية:

إن بقاء الاحوال الشخصية لأي أمة هو مشكلة أساسية لحياتها أو موتها فيسعى كل قوم أن يحفظ أحواله الشخصية بأي قيمة فالمسلمون في الهند أيضا لم يزالوا يبذلون كل جهودهم في الحفاظ على أحوالهم الشخصية، لأن

بقاء الأحوال الشخصية و حفاظها هو ضمان للأمة الإسلامية الهندية بأن تعيش بمعتقداتها الصافية و ثقافتها العالية و لأن معنى الغاء الأحوال الشخصية هو نوبان الأمة الإسلامية في الهند. يقول سماحة الشيخ الندوي رحمه الله عن هذه المشكلة و أخطارها " و المشكلة الثانية التي نلى المشكلة الأولى و قد تفوقها في الخطورة و النتائج، لأن المشكلة الأولى إنما تقف سدا في سبيل انتشار الإسلام و توسعه، حين كانت المشكلة الثانية تهدد وجود الشعب المسلم بإسلاميته و ثقافته و معتقداته". (٨)

أدى الشيخ الندوي دورا كبيرا في الحفاظ على الأحوال الشخصية الإسلامية حينما تفاقم الوضع إثر صدور حكم من المحكمة العليا في قضية شاه بانو و محمد أحمد و اقتراحها بتنفيذ القانون المدني الموحد على جميع طبقات الشعب كليا مع أن الحكومة الهندية لم تتخذ اجراء لتغيير قانون الأحوال الشخصية رغم الأصوات التي ترفع من حين لحين بدمج الأحوال الشخصية إلى القانون المدني الموحد. و خاف المسلمون على عقبيتهم و إسلاميتهم و تشخصهم فوقفوا صفا واحدا للاحتجاج ضد الحكم و اقتراح المحكمة العليا في قيادة الشيخ الندوي رحمه الله حتى كما يقول سماحة الشيخ رحمه الله "رضخت الحكومة لمطالب المسلمين و اتخذت مشروع القانون الخاص بحقوق المرأة رغم معارضة الأغلبية في البلاد التي شنت حملة ضد أي تعديل في الدستور، و قد هدأت هذه العاصفة باتخاذ التعديل و لكن لا تزال ترتفع أصوات بفرض قانون موحد للأحوال الشخصية و يواصل المسلمون كفاحهم لتخريب مثل هذه المطالبة" (٩).

أشار الأستاذ واضح رشيد الندوي إلى مجهوداته المهمة في الحفاظ على الأحوال الشخصية فقال "و كان لرسائله و لقاءاته الشخصية و محاولته لاقناعه

بقضية المرأة المسلمة المطلقة دور فعال في اجراء التعديل في قانون المرأة المسلمة المطلقة" (١٠).

و يقول عن دوره كرئيس مجلس الاحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند "قاد هذه الحركة بمنهج الخاص لعدم المجابهة مع الحكومة أو الاغلبية بل بتفهم القضايا الإسلامية و الرجوع إلى الدستور العلماني و حل القضايا في المحكمة لا على الشوارع و بقرع أبواب القضاء و القانون بدلا من حركة المقاومة و وسائل العنف، إنه يرى أن تغيير القلوب و إثارة الضمير الإنساني خير من تغيير الحكام" (١١).

٣- مشكلة التعليم:

عند سماحة الشيخ الندوي هي المشكلة الثالثة التي يواجهها المسلمون الهنود حيث تبنى واضعوا المناهج الدراسية و مولفوا الكتب المقررة للتدريس على الاسس التي تتنافى مع تعاليم الإسلام و تتناقض مع عقيدة التوحيد البسيطة فيصور هذا المنهج الدراسي الهند كما يقول سماحة الشيخ الندوي "كبلد ليس فيه ديانة غير الديانة البرهمية و معابدها و احتفالاتها و اعيادها و تقاليدها و مراكزها الدينية و الروحية" (١٢) كما اقتصر في الكتب الدراسية على شخصيات شعب خاص و ديانة خاصة فاعرض مؤلفوها – في تصميم و تفكير – عن الرجال الإسلاميين الذين أدوا دورا بارزا في تقدم البلاد و يتجمل بهم تاريخ الهند العام و لو ذكروا بعض الشخصيات الإسلامية فلم يود حقهم و لم يحسنوا تصويرهم و نسبوا إليهم ما يحط من شأنهم و ما كان للمسلمين أن يتعلم أولادهم، وفق هذا المنهج الدراسي الذي يبعث فيهم استهزاء الشعائر الإسلامية و يبعدهم عن الإسلام و يقربهم إلى الردة الدينية. فهو سبب

يبعث قلقاً عظيماً و اشفاقاً و حذراً في المجتمع الإسلامي الهندي فقاموا بسد هذا الباب لكي تحفظ عقيدة الأطفال المسلمين و إسلاميتهم و شعائرهم الدينية، فأسسوا المدارس و الكتاتيب و طلبوا من الحكومة أن تصلح برامج التعليم الرسمي و تسحب هذه الدروس التي تتنافى مع العقيدة الإسلامية و تحافظ على علمانية المعارف كما يقررها الدستور، و عزموا على إنشاء كتاتيب و مدارس تعلم أطفال المسلمين التعليم الديني في أوقات الفراغ و إنشاء مدارس تعلم المناهج الدراسية المقبولة في المعارف مع مادة الديانة و إضافة دروس تعاليم الإسلام" (١٣) و كل ذلك في قيادة سماحة الشيخ الندوي رحمه الله فلعب الشيخ الندوي في هذا المجال دوراً بارزاً و بذل كل الجهد لتحقيق الأهداف التعليمية لأطفال المسلمين. أشار الأستاذ واضح رشيد الندوي إلى دوره في المجال فقال "شارك سماحته مشاركة فعالة في نشر التعليم الديني في المسلمين و تربيتهم تربية دينية لمنعهم من الزوبان في الثقافة اللادينية، فكان من موسسي هيئة التعليم الديني و رئيساً لها، و تدير هذه الهيئة آلاف من الكتاتيب الدينية التي تدرس المقررات الدراسية العصرية بجانب الموضوعات الدينية" (١٤).

٤ - المشكلة اللغوية:

إن المسلمين في الهند ينطقون اللغة الأردوية التي نشأت باختلاط العناصر المختلفة من أهل الهند و كانت مجموعة من اللغات المختلفة فأصبحت "لغة تمثل القومية الهندية خير تمثيل و أصبحت لغة الجمهور و لغة الثقافة و العلوم و الآداب الرفيعة و الصحافة و السياسة و أصبحت أداة التفاهم بين الولايات الهندية و المناطق المختلفة التي لكل منها لغة محلية خاصة.... و هي اللغة الوحيدة التي يفهمها أكثر أهل الهند في كل منطقة و ولاية (١٥) لكن

هذه اللغة المذبذبة لم تحظ بالعناية اللائقة و المكانة التي تستحقها مع أن الدستور قد تكفل بصيانة كل لغة يتكلم بها عدد يعتد به.

٥ - المشكلة الاقتصادية:

هي مشكلة مهمة يواجهها أكثر المسلمين في الهند لها أثر بعيد في حياتهم فإنهم تخلفوا عن الركب في مجال الصناعة و التجارة و المناصب و الوظائف.

إن جميع المشكلات المذكورة التي يواجهها المسلمون في الهند فهي في الحقيقة مشكلة واحدة تتصل بعضها ببعض لو حلت واحدة منها انحلت كلها لذلك دعا الشيخ الندوي الأمة الإسلامية الهندية أن تتمسك بالدين و الشريعة في كل حال.

إن سماحة الشيخ الندوي رحمه الله قد أدى دورا كبيرا في حل جميع المشكلات التي يواجهها المسلمون و قضى سائر حياته كما يقول الأستاذ سعيد الاعظمي الندوي "يستعرض أحوال المسلمين في كل مكان و ما يعيشونه من ضعف أو وهن و محن و يهتم بكل ذلك غاية الاهتمام و يفكر في إعداد الوسائل العفيفة التي تتكفل برفع معنويات المسلمين و انقاذهم من الأوضاع السيئة التي يعيشونها و يقتنعون بها." (١٦)

سلط الأستاذ واضح الرشيد الندوي الضوء على دور سماحة الشيخ في حل قضايا المسلمين بالتفصيل فقال "شعر سماحة العلامة الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسيني الندوي خطورة الوضع، و أدرك بفراسته و دراسته للتاريخ و متابعتة للاحداث أن مستقبل المسلمين في خطر إذا لم يتخذوا مجهودا جبارا لإزالة سوء الظن بهم و مكافحة الكراهية السائدة و الشحناء المتصاعد ضدهم و لم

تبدا حركة لمعالجة النزاعات الطائفية باستمالة قلوب رجال الاغلبية و كسب تائيدهم و ضمهم إلى صفوف القادة المسلمين و تحويل عطفهم إلى قضاياهم و حملهم على العمل و الاجتهاد لمكافحة الكراهية الطائفية و مجابتهم لآخوانهم في العقيدة، و كان هذا الطريق الذي اختاره الشيخ الندوي يختلف اختلافا باثنا عن طريق الزعماء المسلمين الآخرين الذين كانوا إما مسالمين متسامحين يلزمون الصمت و إما متهورين يواجهون كل قضية بالعنف و المجابهة مع الاغلبية و رجال الحكم، و كان هذا الطريق يحدث مشاكل في سبيل حل قضايا المسلمين و يثير الكراهية في النفوس

كتب سماحته رسائل إلى كبار قادة البلاد و زعماء الحركات و المنظمات الشعبية و الاجتماعية و السياسية و جمع المثقفين من رجال الاغلبية على منابر مختلطة العناصر، و حثهم على تفهم الظروف و مواجهة العناصر المتطرفة، فإن التطرف يعرض البلاد للحرب الاهلية لان النظام و القانون إذا كان في موضع الخطر فان الاعمال الانشائية و العملية و الادبية لا تستطيع أن تستمر، و اختار سماحته أسلوب الاقناع و التفهيم و قدم نماذج من الخلق الانساني النبيل و حاول أن يحدث في القلوب العواطف الانسانية و يحو الشحنة و الكراهية و خاطب الشعب الهندي كأنه يتحرق لمستقبل البلاد و كأنه هو المنذر المخلص للوطن.

أقام سماحته اتصالات بالحكام و كتب رسائل إلى كبار الوزراء و الحكام يستلقت انتباههم إلى ايجاد الونام الطائفي في الهند و مكافحة الطائفية و العنصرية و الفساد الخلقي، بعيدا عن كل نشاط سياسي حزبي، و التزم الحياد فكان يقيم الاتصال بكل حاكم مهما كانت ميوله الحزبية أو السياسية و يبعد نفسه عن كل اغراء مادي و سياسي و يثبت أنه لا يريد مقابل ذلك إلا النصح

و لا يجرى وراء أى مصلحة مادية، و في الوقت نفسه واصل جهوده لتوعية المسلمين و تعليمهم و تربيتهم و معالجة قضاياهم و تهدئة اعصابهم و التوسط بينهم و بين الحكومة" (١٧).

ينتهي هذا المقال على قول الشيخ الندوي الذي أبدى فيه الرجاء أن تكون هذه المشكلات ستنتهي فيعيش المسلمون بكل اطمئنان و هدوء "هذه رؤوس المشكلات التي يعانيتها الشعب المسلم الهندي في هذه الفترة التي لابد منها لكل بلد بقي تحت الحكم الاجنبي مدة طويلة و لم يسغ الجمهورية اساعة كاملة و لم يتعودها بالمعنى الصحيح و لكن نرجو أن هذه الفترة لا تطول لأنها غير صالحة للبقاء في هذا العصر المتحرر الجمهوري و سيفلب العقل على العاطفة و الوعي السياسي على العصبية الطائفية و العقلية الضيقة، و حينئذ تنحل هذه المشكلات و ينال الشعب الاسلامي كل ما يستحقه من الحرية و الكرامة و المساواة كجزء من أجزاء هذا الوطن العزيز و ركن من أركان هذه النهضة المباركة، إذا أثبت جدارته و استقامته و صبره و اعتماده على الله، و لله الامر من قبل و من بعد، و يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله" (١٨).

الهوامش:

- ١ - الأستاذ واضح رشيد الندوي: العالم كله ينعى سماحة العلامة الشيخ أبي الحسن الندوي، البعث الإسلامي (عدد ممتاز عن فقيده الأمة الإسلامية) المجلد الخامس و الأربعون، الاعداد ٤ - ٥ - ٦، ذوالحجة ١٤٢٠ - محرم و صفر ١٤٢١، ص ٢٠
- ٢ - نفس المصدر ص ٢١
- ٣ - الأستاذ واضح رشيد الندوي: المنهج السياسي لسماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسيني الندوي و دوره في حل قضايا المسلمين في الهند، نفس المصدر، ص ٢٤

- ٤ - سماحة الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسيني الندوي: المسلمون في الهند، ص ١٨٧
- ٥ - انظر للتفصيل: نفس المصدر ص ١٨٧ - ١٨٩
- ٦ - نفس المصدر: ص ١٨٩ - ١٩٠
- ٧ - نفس المصدر: ص ١٩١
- ٨ - نفس المصدر: ص ١٩١ - ١٩٢
- ٩ - نفس المصدر: ١٩٥
- ١٠ - الأستاذ واضح رشيد الندوي: المنهج السياسي لسماحة الشيخ أبي الحسن الندوي: البحث الإسلامي (عدد ممتاز عن فقيد الأمة الإسلامية) المجلد الخامس و الأربعون، الاعداد ٤ - ٥ - ٦ ذو الحجة ١٤٢٠ - محرم و صفر ١٤٢١، ص ٢٤٧
- ١١ - نفس المصدر: ص ٢٤٩
- ١٢ - المسلمون في الهند: ص ١٩٧
- ١٣ - نفس المصدر: ص ١٩٩
- ١٤ - الأستاذ واضح رشيد الندوي: المنهج السياسي لسماحة الشيخ أبي الحسن الندوي: البحث الإسلامي (عدد ممتاز) ص ٢٤٩
- ١٥ - المسلمون في الهند: ص ٢٠٠
- ١٦ - الأستاذ سعيد الاعظمي الندوي: فقيد الأمة الإسلامية و خسارة القبوة الإيمانية، البحث الإسلامي (عدد ممتاز) ص ١٣
- ١٧ - الأستاذ واضح رشيد الندوي: المنهج السياسي لسماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسيني الندوي، نفس المصدر ص ٢٤٠ - ٢٤٢
- ١٨ - المسلمون في الهند: ص ٢١٤



الشيخ أبو الحسن الندوي و قضايا الأمة العربية

بقلم: الدكتور عبد الحليم عويس

ينطلق العلامة الشيخ أبو الحسن علي بن الشيخ عبد الحسي بن السيد فخر الدين الحسني، المعروف بأبي الحسن علي الحسني الندوي (نسبة إلى ندوة العلماء دار العلماء بلكناؤ - الهند).. ينطلق في حبه للعرب، و اهتمامه الكبير بقضاياهم من مجموعة من الحقائق الدينية و الحضارية و العرقية.

و نوضح في السطور التالية هذه الحقائق التي جذبت الشيخ الندوي إلى العرب..

لقد أرسل الله نبيه محمداً صلى الله عليه و سلم في الجزيرة العربية، و بعثه بعثة نبي، و لكن بعثته - كما يقول الشيخ الندوي - كانت بعثة مقرونة ببعثة أمة، بخلاف كثير من بعثات الأنبياء..

إنها كانت بعثة ثنائية!!

و هذا ما لا يفطن إليه كثير من المتأملين في القرآن الكريم!!

و إنني - و الحديث للشيخ الندوي - في دراسة مقارنات الديانات، و الكتب السماوية، لا أجد هذا الوصف الدقيق الشامل، و هذا الخط الفاصل بين أمة

و أمة، أمة قلّحت مسئولية ليس فوقها مسئولية إلّا مسئولية النبوة فقط، فكانت بعثة النبي الكريم محمد صلى الله عليه و سلم بعثة مقرونة مشفوعة مرتبطة ببعثة أمة، هذا هو الشيء الذي أثر في مصير الإنسانية، و كانت تجربة جديدة في تاريخ الديانات، و في تاريخ مصائر الأمم، و في تاريخ الاتجاهات.

و في ضوء هذا، فإن جريمة العرب في حق الإسلام - حين يتخلون عن رسالته - جريمة جماعية، ذلك لأن بعثتهم بعثة جماعية، هكذا كانوا منذ نزل القرآن يطلب منهم أن يحافظوا على شروط "خير أمة" .. و حتى اليوم، فما زال العرب، و من خلفهم المسلمون، مدعويين للعودة إلى رسالتهم العامة، و ابتعائهم الجماعي لملء الفراغ العالمي الكبير..

و بتحديد دقيق، و انطلاقاً من حبه الكبير للعرب، و من وعيه بحقيقة مكانتهم يتوجه الشيخ الندوي بخطابه إلى العرب، مشيراً إلى الفراغ العالمي، و دور العرب في ملئه قائلاً في محاضرة ألقاها في جامعة الإمارات العربية: "إن هذا هو الفراغ الوحيد الموجود الآن في خارطة العالم الإنساني، و لا يملا هذا الفراغ إلّا المسلم، و لا تملا هذا الفراغ إلّا الأمة العربية الإسلامية".

و بالإضافة إلى هذا الباعث الإسلامي الحضاري ثمة باعث نفسي و عضوي آخر يدفع الشيخ الندوي للاهتمام الدءوب بالقضايا العربية..

فالشيخ أبو الحسن علي بن أحمد المعروف بعبد الحي بن السيد فخر الدين الحسيني، ينحدر من سلسلة النسب الكريم الذي ينتهي إلى أمير المؤمنين الراشد الرابع عن طريق السيد محمد الثاني بن أبي محمد عبد الله الأشقر بن السيد محمد صاحب النفس الزكية، ابن عبد الله المحسن بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن بن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب - رضي الله عنه -

ولقد كان هذا النسب الكريم الذي يملأ الشعور به كيان أفراد الأسرة سبباً للحفاظ على الخصائص العربية والإسلامية و انتقالها من بطن إلى بطن عبر القرون..

وقد كان أفراد الأسرة يشعرون بأنهم – كما يذكر الدكتور السيد قدرة الله الحسيني – حماة للعقيد الإسلامية الصحيحة من التوحيد الخالص، و نبذ العقائد الشركية، و ما أكثرها في محيط المجتمع الهندي..

و كانوا يشعرون بأن عليهم أن يعتنوا عناية زائدة بالعلوم الدينية دراسة و تعليماً و نشرأ..

و بأنهم يجب أن يكونوا السباقين في مجال الغيرة على الإسلام و الحماس في الدفاع عنه، و القيام بتحركات عسكرية و حركات جهادية إذا اقتضى الأمر ذلك.

و منذ برز اسم الشيخ أبي الحسن الندوي في الثلاثينات من القرن العشرين، و جهوده لم تتوقف أينما حل عن الصدع بالحق، حتى في عناوين الكتب و المحاضرات التي يوجهها للعرب، كانت هذه الصراحة واضحة.. و حسبنا عن عناوين هذه الكتب و المحاضرات أن نقدم العناوين التالية:

- ١- اسمعي يا مصر! ٢- اسمعي يا سوريا! ٣- المأساة الأخيرة في العالم العربي.
- ٤- اسمعي يا زهرة الصحراء (الكويت). ٥- اسمعوها من صريحة أيها العرب!
- ٦- الخطر الأكبر على العالم العربي (عاصفة يواجهها العالم الإسلامي و العربي). ٧- كيف يستعيد العرب مكانتهم؟

الشيخ الندوي و عودة العرب لقيادة سفينة الإنسانية:

احتل اهتمام الشيخ أبي الحسن الندوي بشخصية النبي الكريم محمد

صلى الله عليه وسلم وبالجيل العظيم الذي صنعه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من الصحابة و التابعين و تابعي التابعين، و جلّهم من العرب، مساحة كبيرة من فكره!!

إن على هؤلاء العرب – كما يؤكد الشيخ الندوي – أن يدركوا أنهم بدون محمد – عليه الصّلام و السلام – و القرآن الكريم، ما كان بإمكانهم أن يصنعوا هذا التحول الخطير في التاريخ!!

و في كثير من المواضع كأن الشيخ الندوي ينقل للعرب كلمات جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه للنجاشي، وغيرها من تلك الكلمات التي تصف وضع العرب قبل الإسلام، و ذلك لكي يدرك العرب عظم التحول الذي أحدثه الإسلام فيهم.

و حتى عند ما يتحدث الشيخ الندوي عن أمجاد العرب العلمية إنما يتحدث عنها كنفحة من نفحات النبوة المحمدية، و النبي الأمي، و ذلك لتذكير العرب بهذا المجد حتى يعرفوا معالم الطريق المحتد لهم للإقلاع الحضاري، فلا طريق لهم إلّا طريق محمد و الإسلام، و حتى الحماس العلمي العربي، إنما انبثق من النبوة المحمدية، و من تعاليمها، و بتوجيه الإسلام انطلقت حركة علمية عالمية خالدة مساحتها الزمنية من أكبر المساحات الزمنية، و مساحتها المكانية من أكبر المساحات المكانية، و مساحتها المعنوية أوسع من كلتا المساحتين.

و لئن كانت أجناس أخرى قد سيطرت على العالم عن طريق الغزو و الغلب، أو عن طريق العبقرية العقلية، فإن العرب ما دخلوا التاريخ إلّا عن طريق الإسلام وحده، فلم يغرس الله حبهم في النفوس و القلوب، و لم تنتشر

لغتهم هذا الانتشار الواسع، و لم يكتب لها الخلود و البقاء، و لم تدون بها العلوم الكثيرة.. لم يتحقق كل ذلك إلا بفضل القرآن الكريم و الشريعة الإسلامية..

موقف العرب من المذنية الاوربية (المادية) في فكر الشيخ الندوي:

كان موقف العرب خلال القرنين الأخيرين من الحضارة الأوربية بشقيها المادي الشيوعي و المادي العلماني مناط اهتمام الشيخ أبي الحسن، فكراً، و حديثاً، و جهاداً، و دعوة..

و كان يؤلمه أن هؤلاء العرب الذين حكمت قيمهم و علومهم الدنيا عشرة قرون، ينسحقون هذا الانسحاق الشنيع، و يركعون هذا الركوع الذليل المخجل – حكاماً و مثقفين – أما هذه المذنية الاوربية التي يسميها الشيخ (بالمسيح النجالي) غير مستوعبين لحقيقة القيم التي يملكونها، و الرسالة العالمية الربانية التي نيطت بها.

و كان كتاب الشيخ الندوي: "الصراع بين الفكرة الإسلامية و الفكرة الغربية" من أشمل و أعمق ما قدمه الفكر الإسلامي في فضح الفكرة الغربية، و في تتبع نواحي سقوط العرب – حكاماً مثقفين – في حبالها.

و مع أن الكتاب لم يكن محصوراً في الدائرة العربية، بل كان شاملاً لأفاق الصراع على امتداد العالم الإسلامي، إلا أن العالم العربي الذي لا يزيد سكانه عن سدس المسلمين قد أخذ حيزاً من الكتاب يزيد في مساحته عن نصف الكتاب، إذا ما استثنينا المساحة التي تتحدث عن قضايا فكرية، و تغريبية عامة، سواء في مجال تشخيص المرض، أم في مجال تأصيل علاجه من منظور إسلامي حضاري.

عبد ممتاز

و هذه المساحة – في حد ذاتها – دليل قوي على ما يوليه الشيخ الندوي لقضايا العالم العربي في فكره.

وقد كانت مصر أولى البلاد العربية التي تناولها كتابه السالف الذكر، وأشار الشيخ علي مصر بحفر قناة ثقافية روحية هي أنفع للبشرية من قناة السويس، حيث تصل إرادة الشرق الضعيف باستطاعة الغرب التائه، ولكن مصر رغم محاولات المصلحين فيها كانت ضعيفة عن هذا الدور، بما صنعه تلامذة أوروبا وروسيا في مصر و العراق و سوريا و تونس، من فساد و إفساد لهذا المشروع الحضاري الميمون!!

و في غير موضع من كتبه يشخص الشيخ الندوي أسباب نجاح محاولات تغريب المسلمين، و وسائل علاج هذا المرض الخبيث، و ينتهي إلى دعوة العرب و المسلمين إلى ما يسميه (بالموقف الثالث)، و هو الموقف الذي يأخذ من الحضارة الغربية بعض ما توصل إليه العلم و الصناعة بعيداً عن الافكار و القيم و المفاهيم و المثل، و صبغ الحياة بطريقة مادية.

و لقد تعددت دراسات الشيخ الندوي ضد هذه الغارة التغريبية و المادية، و هي لم تقف عند حدود كتابه العظيم: "الصراع بين الفكرة الإسلامية، و الفكرة الغربية"، بل أضاف إليها الشيخ دراساته التي نراها داخلية في صلب القضية، و منها كتابه عن: "روائع إقبال"، و "ردة و لا أبابكر لها"، و حول "الإسلام و الحضارة الإنسانية و واقع العالم الإسلامي" و "حاجة البشرية إلى معرفة صحيحة"، و "مجتمع إسلامي"، و "الامة الإسلامية: وحيثها و وسطيتها و آفاق المستقبل".

الشيخ أبو الحسن الندوي و القومية العربية:

و في تحليل الشيخ الندوي لحركة القومية العربية، و عواقبها يرى أنها أخطر من كل الحركات القومية التي ظهرت في العالم الإسلامي، لأن الأتراك، والإيرانيين، و الأكراد، و الأفغان، كانوا جزءاً من الملة الإسلامية، و يعد انحرافهم انحراف ملة، أما العرب فلم يكونوا ملة فحسب، و إنما كانوا منبع الدعوة الإسلامية، و حملة لوائها الأولين، و روادها السابقين، و كان بلدهم المنبع الأول للإسلام.

و يقول الاستاذ الندوي: لقد عقد الله بين العرب و الإسلام للأبد، و ربط مصير أحدهما بالآخر، فلا عز للعرب إلا بالإسلام، و لا يظهر الإسلام في مظهره الصحيح إلا إذا قاد العرب ركبهم و حملوا مشعلهم.

الشيخ أبو الحسن الندوي و قضية فلسطين:

كان موقفاً طبيعياً من داعية كبير يعيش الهموم العربية بكل كيانه، و يتفاعل معها تفاعل العربي المؤمن الملتزم، أن تكون قضية فلسطين، من القضايا الرئيسية التي يوليها الشيخ اهتمامه..

بيد أن معالجته للقضية الفلسطينية كانت تقوم على الرؤية الإسلامية التي ترى في هذه الكارثة نتيجة لا سبباً، و عقاباً إلهياً، لا أمراً ابتدائياً..

و يسرى الشيخ الندوي أن قضية فلسطين سهلة هينة، و انتصار العرب مضمون، إذا كانوا أحراراً، متمردين على الشهوات، و مصممين على الكفاح و الجهاد.

الشيخ الندوي و أزمة الخليج:

على غير توقع من أحد، وقع ذلك الحادث المروع، الذي تمثل في هجوم

عبد ممتاز

الرئيس العراقي صدام حسين على الكويت في الثامن من أغسطس ١٩٩٠م
مجهضاً كل محاولات وحدة الصف العربي التي يسعى في سبيلها أكابر الدعاة
أمثال الشيخ أبي الحسن الندوي.

و كعادته يحلل الشيخ الندوي الحدث الخطير من جوانبه الدينية
و الخلقية و المبدئية، و يسميه: "المأساة الأخيرة في العالم العربي".

ولقد بلغ الهمّ من الشيخ الندوي كل مبلغ، فتراه يقول: لقد أقلق هذا
الحادث ذهني و فكري، و أقضّ مضجعي إلى حدّ لا أذكر أني تأثرت مثله قبل
حدوث هذه الفاجعة في حياتي، لأنني - و ذلك فضل الله و تقدير العزيز العظيم
- منذ أن تطورت في القدرة على الكتابة، الخطابة، و الدراسة، كرسيت ما كنت
أملكه من قدرة محدودة للتعبير، و ما توفر لدى من وقت، على قضايا العالم
العربي.

**الشيخ أبو الحسن الندوي و محاولات التفاعل مع القادة و المفكرين
العرب:**

على الرغم من أن أكثر الحكام العرب لم يالفوا مراسلة الدعاة أو تلقى
النصائح منهم، فقد أتيح للشيخ أبي الحسن الندوي، بأسلوبه الحكيم، أن ينصح
كثيراً منهم، سواء بطريقة الالتقاء بهم مباشرة، أم بطريقة الكتابة إليهم،
و كتابه رسائل الاعلام حافل بعدد من المراسلات المتبادلة بينه و بينهم.

و كما كان يحرص على أن تكون (الدعوة) مناط أحاديثه مع الرؤساء
و المفكرين، فكنك، كان محور (الدعوة) مناط تركيزه في حواراته مع الحركات
الإسلامية.

إن الشيخ يرى - و قد ذكر ذلك بوضوح في خطابه لأقطاب هذه الحركات
- أن الدعوة هي البذرة، و أن الوصول إلى التمكين السياسي في الأرض هو

الثمرة، و أن الاهتمام يجب أن يتجه إلى البذرة، و يترك أمر الثمرة لله سبحانه
يمنحها عند ما تتوافر الاهلية، و تتحقق الشروط.

و بعد: فهذه بعض آرائه في قضايا العالم العربي، و هي آراء مسلم ملتزم
ثاقب الرؤية تنضح تحليلاته صدقاً و إخلاصاً و عمقاً..

فجزاه الله عن العرب و المسلمين خير الجزاء.

و صلى الله تعالى على خير خلقه محمد و على آله و صحبه أجمعين.



الشيخ الندوي

حامل لواء العربية في القارة الهندية

بقلم: الاستاذ محمد حسن بريغش

من أبرز مميزات الشيخ أبو الحسن الندوي شخصيته الموسوعية، وجوانبه المتعددة: فهو العالم الداعية، والاستاذ المربي، والمفكر والمثقف، والاديب والمؤرخ، والمصلح...، وكل هذه الجوانب كانت تمثل تلك النموذج الحي الإنساني، والداعية الإسلامي الذي تجاوز محيط الموطن، والبلد، واللغة، والقارة، والبيئة الخاصة، إلى العالم الرحب، والإنسانية المكرّمة، والدين الذي اختاره الله ليكون منهجاً للعالمين، وديناً لبني البشر جميعاً.

الكثيرون من المسلمين والدعاة يتحدثون عن عالمية الإسلام، ولكن القليلين منهم من يستطيع تحقيق هذا المعنى في دعوته، ونشاطاته المختلفة: العلمية، والتربوية، والفكرية، والأدبية.

والشيخ أبو الحسن الندوي – يرحمه الله تعالى – كان مثلاً لهذا النوع من العلماء والدعاة، بثقافته الموسوعية الشاملة من ناحية، وعدم اقتصره على دراسة علم واحد، والتخصص به، وكذلك بتوجهه إلى العالم الإسلامي كله من شرقه في الهند، وشعوب شرق آسيا، وإلى حدود المغرب الأقصى على شواطئ الأطلسي، ومن أوروبا وأمريكا إلى جنوب إفريقيا، وكتبه وأحاديثه ورحلاته، وموضوعات فكره وتراجمه تؤكد ذلك بصورة واضحة.

وكان لنشأة الشيخ في أسرة علم وفكر ودعوة وصلاح (١) أثر في حياته هذه، حيث بدأ اهتمامه بالكتب والقراءة والطالعة، ثم الكتابة منذ نعومة أظفاره، ويبدو هذا الأثر كبيراً في تربية الشيخ ونشأته الدينية والخلقية والعلمية، فأبوه السيد عبد الحي الحسني من العلماء، والكتاب المشهورين في الهند، ومن كبار المؤلفين في القرن الرابع عشر الهجري، حيث ترك مؤلفات كثيرة أضحت مرجعاً للكتاب والباحثين، مثل كتابه: "نزهة الخواطر" الذي يعد موسوعة علمية تشتمل على تراجم نحو خمسة آلاف كاتب وعالم في الهند، وقد طبع الكتاب في مجمع اللغة العربية في دمشق في ثمانية مجلدات، وكذلك كتابه: "الثقافة الإسلامية في الهند" إلى جانب كتب كثيرة في التاريخ والأدب والطب، وبلغت مؤلفاته نحو ثمانية عشر كتاباً في اللغات العربية والأرية، والفارسية (٢)، وأكثرها يعد مرجعاً في بابها، ويدل على علم ومواهب كثيرة.

وأمه السيدة خير النساء كانت من الفضليات، كانت تحفظ القرآن الكريم، وذات ثقافة دينية جامعة، وتقول الشعر، وتحافظ على العبادات والأذكار والأدعية، وكانت كثيرة الدعاء، وقيام الليل، نشرت لها عدة كتب، ومجموعات من الشعر، وهي من المربيات النادرات اللواتي يعرفن كيف ينشئن أولادهن على الدين والخلق والعلم والاستقامة (٣)، ويذكر المؤلف كيف كانت والدته تحثه على أداء الصلوات الخمس، مهما كانت الظروف، وتحفظه سور القرآن الكريم، وتلقنه الكثير من الأمور بطريقة عملية.

ومن ذلك أنها كانت لا تتساهل معه – بعد وفاة والده – إذا تعدى على أبناء الخادم أو الخادمة أو أي طفل من أطفال الفقراء والمساكين، أو عامله بالعجب والكبر، أو إهانة، أو احتقره، بل تعاقبه على ذلك، ثم تأمره بأن يطلب العفو من هذا الطفل المسكين، ويتصاغر أمامه، مهما كان ذلك، ولو شعر بالإهانة وجرح

عبد ممتاز

الكرامة، وبهذا تربي الطفل على الخوف من العجب والكبر والظلم والعداء، وعرف أن إيذاء شخص وكسر قلبه واحتقاره كبيرة من الكبائر، وأصبح هذا الخلق بعد ذلك سبيلاً للاعتراف بالخطأ، والإقرار بالغلط في جميع حياته.

و من الامور التي اثرت فيه ايضاً حرص والديه على أن يكون طعامهم حلالاً بعيداً كل البعد عن الحرام والاموال المريبية (٤).

و إلى جانب إتقان الشيخ منذ الصغر للآرية، وتعلّم الفارسية، حرصت أسرته على تعليمه العربية، وبدأ ذلك في أواخر عام ١٩٢٤م (٥).

و تولى تدريسه العربية أحد الأساتذة (الشيخ خليل بن محمد) الذي اختار كتاباً من كتب القراءة المقررة في مصر لتعليمه مع طالب آخر العربية، وكان يتلقى هذه الدروس في البيت، وإلى جانب هذا الكتاب كان يختار لهما كتباً أخرى، ويعلمهم النحو من أحد الكتب القديمة السهلة، وكان هذا الأستاذ يلزم تلميذه التكلم بالعربية أثناء الدروس، فإذا تكلم أحدهما بالآرية، أو أخطأ بالعربية دفع بعض الفلوس القليلة غرامة عن خطئه، وكان يحرص في تعليمهما على صحة القراءة مع الفهم، ويلزمهما حفظ بعض النصوص الشعرية والنثرية، ثم اختار لهما بعض الكتب لقراءتها، والاستزادة من فهم العربية وتنوقها، والاطلاع على تراثها مثل كتاب: "نهج البلاغة"، و "مقامات الحريري"، و "دلائل الإعجاز"، و "القوائد العشر"، ويذكر الشيخ الندوي – يرحمه الله – أثر معلمه: "وقدرته المدهشة في صبغ الطلاب بأرائه وأفكاره، وتأثيره الكبير فيهم، ونفخ الروح في الكتاب الذي يدرسه الطلاب، وإنشاء الذوق الصحيح، والملكة الصالحة في الفن الذي يتناوله، وتقريب الطلاب إلى مؤلف الكتاب نوقاً ومسلكاً ومشرباً" (٦).

وكان الأستاذ، كما يصفه الندوي: "صاحب ملكة عجيبة في التنوق الصحيح للعربية و آدابها ولغتها، ونقل هذا التنوق إلى الطلاب"، وكان لهذه الميزة عند الأستاذ أثره الجم في تعلم الشيخ الندوي العربية، وتنوق آدابها، بل محبتها و إتقانها في وقت مبكر.

ثم قدر لهذا الطالب الناجح أن يقوم بصحبة أحد أقربائه برحلة إلى لاهور، كجائزة على نجاحه، و كرمز للسرور و التشجيع له، وكانت لاهور – آنذاك – اكبر مركز ثقافي و أدبي و صحافي في شبه القارة الهندية، و في هذه الرحلة التقى بالشاعر الكبير الدكتور محمد إقبال، الذي احتفى به، و قدمه قريبه للشخصيات العلمية هناك بأنه ابن مؤلف كتاب "كُلِّ رَعْنًا"، و هو من كتب والده الذي يترجم فيه لكثير من الشعراء المجيدين بالأردية، حيث كان لهذا الكتاب شيوع و أهمية في الهند، و عرف الشاعر إقبال بأن هذا الفتى الصغير، و كان عمره آنذاك (ما بين ١٥ - ١٦ سنة) قد ترجم بعض أشعاره نثرًا للعربية.

و تعرف هناك إلى عدد من الأساتذة و العلماء، و لا سيما من كان مشهوراً بالعربية، و له مؤلفات كثيرة فيها، و منهم الأستاذ الدكتور محمد شفيع الذي نال لقب (نجم باكستان) فيما بعد، لمكانته العلمية و الأدبية.

و اطلع هذا الأستاذ الشهير على بعض مقالات الندوي آنذاك، و كتاباته بالعربية، ثم نصحه بأن يتخذ العربية موضوعه، و يركز عليها، و يختص بها.. و كان لهذه النصيحة أثرها – أيضاً – في ضلوع الشيخ بالعربية و إتقانها، و زيادة اهتمامه بها.

ثم استمر في دراسة الحديث الشريف، و التفسير، و بقية علوم الشريعة، حتى توسعت ثقافته، و ازدادت معارفه، و قويت لغته.

و من أهم الأحداث التي عمقت فهمه للعربية و حبه لها قدوم الشيخ تقى الدين الهلالي إلى دار العلوم في ندوة العلماء، و يصفه الشيخ الندوي بأنه: "من أساتذة اللغة العربية، و فضلائها المعدودين الذين يحتج برأيهم، و حكمهم على صحة الكلمات و أصالتها.." (٧) و أن نشر الطرق الصحيحة لتعليم العربية الذي بدأها استاذة الأول الشيخ خليل، قد تمّ و بلغ كماله على يد الأستاذ الهلالي.

و استفاد الندوي من الشيخ الهلالي فائدة كبيرة، و استفاد من دروسه و مجالسه، و قرأ عليه ديوان النابغة، ثم تابع الندوي اطلاعه على كتب العربية، و دراسة الأمهات من كتب النثر و الشعر، و التراجم و النقد، و ابتدأ في ذلك الوقت بكتابة المقالات، و ترجمة الموضوعات المهمة من الأربية للعربية، و نشر بعضها في مجلة "المنار" التي كان يصدرها السيد رضا تلميذ الشيخ محمد عبده.

ثم توالى كتاباته في العربية التي نشرها في عدد من المجلات المشهورة، مثل: "المنار"، و "الفتح" التي كان يصدرها الأستاذ محب الدين الخطيب.

و بعد هذه الرحلة العلمية التي نتلمذ فيها على كبار العلماء و المربين في عصره عين مدرساً في ندوة العلماء في عام ١٩٣٤م، و كان عمره عشرين سنة، و كان تعيينه فرصة لزيادة الاطلاع و القراءة على العلوم الإسلامية و العربية لإثبات جدارته في التدريس، و زادت علاقته بالعربية و اهتمامه بالأدب عندما ما درّس تاريخ الأدب العربي للسنة العالمية الأخيرة في ندوة العلماء، و كذلك في تدريسه لعدد من الأبواب الحديثية في صحيح البخاري، مثل: (كتاب الوحي، و كتاب الإيمان، و كتاب العلم)، و كان يشعر بلذة و متعة في شرح الأحاديث و تدريسها للطلاب.

و ألف في هذه المرحلة كتابه الشهير (سيرة السيد أحمد الشهيد) الذي نال شهرة، و قبولاً في الأوساط العلمية و الإسلامية.

و في عامي ١٩٣٤م و ١٩٣٥م زار للمرة الثانية و الأخيرة الشاعر محمد إقبال، و اطلع على شعره في ديوان (ضرب كلیم) فزاد إعجابه بالشاعر، و تأثر بشعره، و عرف فيه سمو الأفكار، و جمال النغمة، و حلاوة الجرس.

كما اطلع على البحوث التي كتبت عن الشاعر، ثم كتب (روائع إقبال) الذي يوضح فيه سبب إعجابه بالشاعر، و تأثره بشعره بعد أن أصدره كموضوعات في مجلة "الفتح"، و اختار نماذج رائعة من شعر إقبال، و ترجمها بأسلوبه الأدبي الجيد.

و ازداد حبه للادب، و العربية، و لذلك حرص في دار العلوم ندوة العلماء على إصلاح مناهج تدريس اللغة العربية في الكلية، و عمل على تأليف كتاب لمادة الادب العربي يحتوي على مختارات من النصوص الأدبية الجميلة، و البعيدة عن التكلف اللفظي، و الحلي البيعية المتكلفة.

و تقديراً لجهوده في تعليم العربية، و اهتمامه بها، و كتابته فيها اختيار في عام ١٩٥٧م عضواً في المجمع العلمي بدمشق الذي أصبح فيما بعد (مجمع اللغة العربية)، و لفت في مقال له في مجلة المجمع الحاجة إلى استعراض الادب العربي و تاريخه استعراضاً جديداً، و استخراج كثير من النصوص الأدبية الجيدة التي لا تزال مغمورة و مطمورة تحت الركام، و دعا في هذه المقالة إلى الخروج من النظرة الضيقة للادب، إلى نظرة شاملة تتنوع مختلف النصوص الأدبية من كتب التاريخ و التراجم و الحديث و السيرة.. إلخ، و ترجم هذه الآراء بما اختاره في كتاب المختارات لعدد من العلماء و الدعاة و الأدباء، مثل: الحسن البصري، و ابن السماك، و الغزالي، و ابن الجوزي، و البستي، و التوحيدي، و ابن

عدد ممتاز

تيمية، و ابن القيم، و ابن خلدون، و عمر بن عبد العزيز، و الرافعي، و كرد علي، و سيد قطب، و الزيات، و علي الطنطاوي و غيرهم (٨).

و كذلك وضع سلسلة من الكتب للمراحل الأولى في ندوة العلماء في العربية بدلاً من كتب القراءة التي كانت تُشتري من مصر، و تدرس للطلبة، و كان ذلك في عام ١٩٤٤م.

كما ألف في هذه الفترة "قصص النبيين" للأطفال، التي نجحت نجاحاً كبيراً في حسن اختياره للالفاظ، و الأسلوب المناسب لسن الأطفال، فضلاً عن اختيار الحوادث و الموضوعات التي ترسخ مفهوم العقيدة الصحيحة، و حب الإسلام، و عمق الإيمان، و كره الكفر و الشرك، و التزود بالسلوك، و الاخلاق الحسنة، و طُبِعَ هذا الكتاب في أكثر بلدان العالم العربي طبعات كثيرة.

أختتم هذه السلسلة بسيرة خاتم النبيين محمد صلى الله عليه و سلم بأسلوب جميل و بسيط يتلاءم مع سن الأطفال و الفتيان.

لقد كان تعلّم الشيخ الندوي للعربية منذ صغره و إتقانه لها اثره في أسلوب تفكيره، و دعوته، و خروجه من إطار الإقليمية الضيقة إلى رحابة العالم الإسلامي، و بالتالي أصبح له شأن بين الدعاة، و الكتاب، و المفكرين الإسلاميين، و فتح ذلك للشيخ الندوي أفاقاً رحبةً ليخاطب المسلمين في جميع الاقطار العربية، و ليوثق الصلة مع المصلحين و المفكرين و الادباء في شتى أنحاء العالم الإسلامي، بل دفعه ذلك لإنشاء المقالات المناسبة لمخاطبة شعوب الامة العربية في الحجاز، و مصر، و الشام، و المغرب الغربي، و يعيد الشيخ الندوي هذا الاهتمام بالعربية، و النتائج التي حصل عليها لأخيه الأكبر الذي تولى تربيته بعد وفاة والده، و تركيزه على تثقيف أخيه الصغير بالثقافة العربية

الادبية، و هذا يدل على بعد نظر من أخيه، في الوقت الذي لم تكن هناك علاقات سياسية، وثقافية، واقتصادية بين الهند و العالم العربي، ولم يكن شأن للعربية في المدارس الإسلامية في الهند، و كان بعضهم يعد تعلّم العربية إضاعة للوقت.

ولكن نظرة أخيه المربي الثاقبة جعلت الشيخ الندوي يتقن العربية، ثم يبدأ الكتابة بالعربية، ومراسلة المجالات الشهيرة، ثم يقوم بالسفر إلى البلدان العربية مرات عديدة، والاستفادة من هذه الرحلات فائدة عظيمة، حيث وجد فرصة لعرض آرائه، والتعبير عن مشاعره أمام الأوساط العلمية، و الادبية، والفكرية في العالم العربي، ومخاطبة كبار رجاله و العلية من فضلائه و علمائه، وتبادل الآراء مع أصحاب الأقلام و المفكرين فيه (٩).

و نتج عن ذلك عدة مؤلفات حملت هذه الآراء، و جمعت المقالات و الموضوعات التي كتب فيها في هذه الفترة، مثل: (مختارات من العرب) الذي ألفه في عام ١٩٤٠م، و (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟) الذي ألفه في عام ١٩٤٤م، و كان له أثر كبير، و نال اهتماماً و عناية بالغة لما تضمن من معلومات و آراء و حقائق بالغة الأهمية، و للأسلوب الأدبي المملوء بالصدق و الحماس و التدفق، كما كتب عدة رسائل، مثل: إلى ممثلي البلاد الإسلامية، أحاديث صريحة مع إخواننا العرب و المسلمين، ارتباط مصير الإنسانية و مسيرتها بقيام المسلمين بواجبهم، و أريد أن أتحدث إلى الإخوان، أسبوعان في المغرب الأقصى، الإسلام فوق القوميات و العصبية، اسمعوها مني صريحة أيها العرب! اسمعي يا إيران! اسمعي يا زهرة الصحراء! اسمعي يا سورية! اسمعي يا مصر! أكبر خطر على العالم العربي المؤمرات و المخططات الدقيقة العميقة لقطع العرب عن الإسلام، إلى الراية المحمدية أيها العرب! بين الجباية و الهداية، بين الصورة و الحقيقة، بين العالم و جزيرة العرب، بين نظريتين،

تضحية شباب العرب قنطرة إلى سعادة البشرية، دور الامة الإسلامية في إنقاذ البشرية وإسعادها، دور الجامعات الإسلامية المطلوب في تربية العلماء و تكوين الدعاة، و حماية الأقطار الإسلامية من التناقض و المجابهة، ردة و لا أبابكر لها، الطريق إلى المدينة المنورة، العرب و الإسلام، عاصفة يواجهها العالم الإسلامي و العربي، العرب يكتشفون أنفسهم، العوامل الأساسية في كارثة فلسطين، الفتح للعرب المسلمين، من دون أحد، من غار حراء، نحن الآن في المغرب، نظرة جديدة إلى التراث الأدبي، نفحات الإيمان بين صنعاء و عمان، مذكرات سائح في الشرق العربي، ثلاثة أيام في لبنان، و غيرها من الرسائل و الكتب و المقالات.

لقد كان لتعلمه العربية نتائج أخرى أفادت الدعوة و الفكر عموماً، كما أفادت في تبني تعليم العربية في ندوة العلماء، و في جميع المدارس و الجامعات الإسلامية في القارة الهندية، يهتمون بالعربية دراسة و تدريساً اهتمامهم باللغة الأربية، أو غيرها من اللغات الهندية.

و كان لتأثير الشيخ أبو الحسن الندوي – يرحمه الله – في ندوة العلماء و برامجها، و معه كثير من إخوانه و طلابه نتائج حسنة في ظهور دراسات و بحوث في اللغة العربية، و ترجمة العديد من الكتب و الأشعار من الأربية للعربية، و بالعكس و زيادة التقارب بين أبناء الدعوة في الهند، و الأقطار العربية، فضلاً عن إنشاء عدد من المجلات التي تصدر باللغة العربية، و تنشر الكثير من الموضوعات و البحوث المختلفة، و آخرها مجلة: "البعث الإسلامي".

إن اللغة العربية هي لغة كتاب الله عزّ و جل، و لغة رسول الله محمد صلى الله عليه و سلم، و لغة الحضارة الإسلامية الواسعة المتمثلة في الكنوز

الكثيرة من المؤلفات والمخطوطات في مختلف العلوم و المعارف.

و الاهتمام بها جزء من الاهتمام بهذا الدين، و الحرص عليه مرتبط –
ايضاً – بالحرص على العقيدة و الدين.

و ما زالت أذكر و أنا أحضر حفلاً في مدينة (أورنج آباد) في الهند، بمناسبة
انعقاد ندوة أدبية، حيث وقف أحد الطلبة الصغار من القسم الإعدادي
(المتوسط)، و ألقى كلمة في العربية لم يخطيء فيها بكلمة أو حرف أو حركة،
كلمة بليغة مؤثرة جعلتني لا أتمالك نفسي من زرف بعض الدموع تأثراً، و هو
يقول: إننا نحب العربية، لا لأنها لغة الشعوب العربية، و لكن لأنها لغة القرآن
الكريم، كتاب الله المنزل من السماء، و لغة رسول الله صلى الله عليه و سلم
رسول رب العالمين.. و مضى في خطبته هذه يتحدث عن مزايا العربية
و ارتباطها بالإسلام و أهميتها في مجال العلم.

فذكرت هذا، و أنا أرى و أسمع في العالم العربي، كيف تنتهك العربية على
أيدي أبنائها، و كيف تهجر إلى العاميات و إلى اللغات الأخرى، افنتاناً و تنكراً
و إثماً.

رحم الله الشيخ الندوي، حامل لواء العربية في القارة الهندية، و صاحب
المؤلفات الكثيرة، و الداعية الذي امتد تأثيره على امتداد العالم الإسلامي كله،
و العالم الزاهد الذي ترك للمسلمين كثيراً من الرسائل و المؤلفات التي مازالت
تنبض بالإخلاص و الحياة، و تؤثر في العقول و القلوب.

الهوامش:

- ١ - في مسيرة الحياة: ج/١، ص/٦.
- ٢ - انظر كتاب: "العلامة السيد عبد الحي الحسني" تأليف الدكتور السيد قدرة الله الحسيني.
- ٣ - السابق: ص/١٧٥، وكتاب في مسيرة الحياة: ٤١/١.
- ٤ - في مسيرة الحياة: ٧٢/١ - ٧٣.
- ٥ - أي كان عمر الشيخ آنذاك عشر سنوات لأنه ولد في ٦ / محرم الحرام ١٣٣٣هـ الموافق ١٩١٤م.
- ٦ - في مسيرة الحياة: ٧٩/١.
- ٧ - المرجع السابق ج/١، ص/٩٧.
- ٨ - انظر: كتاب مختارات من أدب العربي - للشيخ أبي الحسن الندوي.
- ٩ - في مسيرة الحياة: ج/١، ص/١٧٢ - ١٧٣.



النقد المعياري ..

عند الشيخ أبي الحسن الندوي

بقلم: أ. د. منجد مصطفى بهجت

النقد Criticism أو Critique لغة يقترن بمعان كثيرة، فهو: نقد الدراهم، أي تمييزها، وله معانٍ أخرى كثيرة تذكرها المعاجم. و أم اصطلاحاً، فله تعريفات كثيرة، منها: أنه تعبير عن موقف كلي متكامل في النظر إلى الفن عامة، أو إلى الشعر خاصة، يبدأ بالتنوق.. ويعبر منه إلى التفسير و التعليل و التحليل و التقويم، خطوات لا تغني إحداها عن الأخرى، كي يتخذ الموقف منهجاً واضحاً، مؤصلاً على قواعد جزئية أو عامة، مؤيداً بقوة الملكة بعد قوة التمييز.

و أما المعياري في اليونانية Critierion(١)، فهو على صيغة "مفعال" التي تدل على اسم الآلة، مثل "المسبار" و "المكيال" و "الميزان".

و المعيار في لسان العرب من المكاييل(٢)، ما غُيِّرَ، و العيار ما تمايزت به المكاييل، فالعيار صحيح واف، و عايرت به: أي سوّيته، و المعيار بالكسر العيار(٣).

يقال: عايروا ما بين مكاييلكم و موازينكم، و هو فاعلوا من العيار، و لا تقل عيّرُوا، و عيّرَت الدنانير، و هو أن تلقى ديناراً ديناراً فتوازن به ديناراً ديناراً، و في المحيط: عيّر الدنانير، وزنها واحداً بعد واحد(٤).

و فرق الليث بين: عايرت، و عيّرت، فجعل عايرت في المكيال، و عيّرت في الميزان..(٥)، و جعل الرازي "عاير" في المكيال و الميزان و خطأ "عير" (٦) فالعيار و المعيار يلتقيان مع النقد في أنهما يختصان بالدراهم و الدينانير، ثم استعير المعنى للأدب بإصدار الأحكام عليه.

و لم أستطع الوقوف على كلمة "المعيار" مفردة أو مركبة "النقد المعياري" في كتب المصطلحات الأدبية المتوافرة بين أيدينا (٨). و أما لفظة "عيار" فقد جاءت في المعجم المفصل: و عيار الشعر: هو إذا عرض على الناقد الحضيف فقبله و اصطفاه، فيسمى الوافي، و إذا مجّه و لم يعجبه سمي ناقصاً، فعيار الشعر: الطبع، و النقاء، و الإيقاع، و الفهم، و سلامة الوزن، و صحة المعنى، و عذوبة اللفظ(٩).

و أقدم من استخدام لفظة "عيار" عنواناً لكتاب هو: ابن طباطبا العلوي (ت ٣٢٢هـ)، و قدّم معياره النقدي على أساس من التذوق الفني دون سواه، و أكد ضرورة ثقافة الشاعر، و اتباعه السنة العربية أو الموروث(١٠).

و يضع معيار الشعر المحكم المتقن، ذلك إذا نقض بناؤه، و جعل نثراً، لم تبطل فيه جدوة المعنى، و لم تفقد جزالة اللفظ(١١).

و المفهوم الأخير يطلق على "الأدب العالمي"، ذلك الأدب الذي لو نقل من لغته إلى لغات أخرى حافظ على قيمته و أهميته و تأثيره. و إذا انتقلنا إلى هذا المصطلح عند النقاد الغربيين، وجدنا أن T.C.Eliot استخدم المصطلح عنواناً لمجلة نقدية أصدرها لسنوات، و من الطريف حقاً أن يلتقي إليوت – مع فارق الزمن و النزعة الفكرية – مع ابن طباطبا في مفهوم الشعر في أهمية التراث، الذي سماه ابن طباطبا الموروث في النقد، و اتباع السنة، يقول إليوت: "فالحس

التاريخي يرغم المرء أن يكتب و هو لا يحس أن جيله بأكمله، يسكن في عظامه وحسب، بل أن يحس أن أدب أوروبا برمته، منذ هوميروس، و معه أدب بلاده برمته يقفان معاً، و يشكلان نظاماً في آن معاً، معه.

و لا يكتفي إليوت بهذا القيد على الشاعر، بل يسحبه على النقد كذلك "إن جزءاً من مهمة النقد هو الحفاظ على التراث، و أن مهمة الناقد أن ينظر إلى الأدب نظرة مستمرة، فيراه كاملاً واحداً" (١٢).

ولذلك خطأً إليوت النقد الماصر له آنذاك في توجيهه نحو إيجاد مزايا ينفرد بها الشاعر عما سواه، و خطأً محاولة فرز خصائص في الشعر تجعله متفرداً.

كيف نفسر هذا التشابه بين هذين الناقلين: الأصبهاني و الأمريكي، و ليس لدينا دليل على اطلاع المتأخر على ما كتبه السابق بحوالي ألف عام؟. و الراجح عندي أن أصالة الآراء النقدية تجعلها تلتقي و إن تباعدت بها الأزمان و الثقافات و الأعراق.. و الذي نريده بالنقد المعياري في بحثنا هو تجلية الأحكام النقدية ذات البعد المعياري، التي يمكن أن تكون مقاييس ثابتة و أحكاماً راجحة، في موضوعات الأدب عامة و الأدب العربي خاصة.

إن الشيخ الندوي يمكن أن يوازن بالنظر القلائل من العلماء، أمثال ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ)، و ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، و ابن حزم (ت ٤٥٦هـ) و ابن عبد البر (٤٦٣هـ) من حيث تنوع ثقافته، و إسهاماته المتنوعة في مجالات أصول الدين و مقارنة الأديان، و الكتاب و السنة و السيرة و التاريخ، و الدعوة و العقيدة، و الأدب و النقد، و قد اتاحت ثقافته المبكرة هذا التنوع، في خوض مجالات العلوم الشرعية و الإنسانية من باب واسع.

عدد ممتاز

و يرى علي الطنطاوي أن معرفة النحوي باللغات الثلاث (العربية، و العربية، و الإنجليزية) فضلاً عن الفارسية أتاح له أن يكون ثلاثة في واحد، و أنه جمع الفضل مثلثاً (١٣).

و ليس أدل على هذا التنوع، من الاطلاع على جهود الأخ محمد طارق زبير، في رسالته الصغيرة التي جاءت في تسع و ثلاثين صفحة، جمع فيها عناوين رسائل و كتب الشيخ، مرتبة على حروف المعجم (١٤)، و بلغت مؤلفاته مائة وستة و سبعين بين رسالة و كتاب و بحث، و قد سلخ سبعين عاماً في التأليف، إنا علمنا أنه ألف أول كتاب سنة ١٩٣٠، و كان في السنة السادسة عشرة من عمره، إذ أنه ولد سنة ١٩١٤م، و بقي على ذلك حتى فارق الحياة ١٩٩٩م. حقاً لقد واصل كلال الليل بكمال النهار، و لا ينقطع عن الكتابة و حضور مؤتمرات رابطة الأدب.

و لنا وقفة مع بواكير الأديب:

— ١٩٢٩ ترجم قصيدة القمر لمحمد إقبال (١٥).

— ١٩٣٠ نشر مقالته في مجلة المنار عن سيرة أحمد ابن عرفان الشهيد.

— ١٩٣٢ نشر مقالته عن القيمة الأدبية في الحديث النبوي.

— ١٩٣٤ نشر رسالته عن شاعر الهند أكبر الإله آبادي. فهو خلال السنوات

الخمس الثانية من عقده الثاني يقدم أربعة أعمال أدبية، بما يدل — بشكل واضح — على النضج المبكر.

و البيئة التي أحاطت بالشيخ كان لها أثرها الكبير، و لا سيما البيت و "ندوة العلماء"، و العلماء الذين كانوا يقصدونها، أمثال تقى الدين الهالبي، و خليل بن محمد اليماني، و قد استمرت صلاته بالاول بعد أن ترك ندوة العلماء.

و فضلاً عن مؤلفاته المذكورة، لم يكن من العلماء الذاهلين عن مجتمعهم، بل تفاعل مع ما حوله على مستوى العالم الإسلامي تفاعلاً كاملاً، و انتصر لقضايا المسلمين السياسية و الثقافية بشكل واضح، من خلال المؤتمرات العالمية التي كان عضواً بارزاً فيها.

ولما كان عام ١٩٤٧م انفتح على العالم الإسلامي، برحلاته إلى دول آسيوية و إفريقية، و أوروبا و أمريكا، و ألقى المحاضرات في معظم الجامعات العالمية، و المؤسسات العلمية فيها، و منح الجوائز و شهادات التكريم من أكثر من جهة، و لم يكن حريصاً على الشهادات التي ربما قدح تسلمها في مروءته و شخصيته، و لهذا ترك بعضها و لم يتسلمها (١٦).

بين الأدب و النقد:

و نتوقف عند الشيخ بين الأدب و النقد، و كنت أشرت إلى أنه صاحب ثلاث نظريات، اثنتان في اللغة و الأدب، و ثالثة في تعليمها (١٧)، و النظرية مجموعة من الآراء و الأفكار القوية، و المنسقة و العميقة و المترابطة، و المستندة إلى نظرة في المعرفة أو فلسفة محددة، تدرس الظاهرة... في سبيل استنباط و تواصل مفاهيم تبين حقيقته و آثاره (١٨) و إذا كان النقد تابعاً و لاحقاً بالأدب، إذ إن معظم المنظرين في اللغة و الأدب مارسوا النقد من خلال أحكامهم على النصوص التي كانت بين أيديهم، فإنك لا تستطيع أن تفصل بين معالم شخصية أبي الحسن أدبياً و بين معالمها ناقداً، فقد تكاملت فيه الصفتان، و اجتمع فيه الأمران، و لنا أن نتساءل مجموعة من الأسئلة في محاولة للإجابة عليها:

— أكان الشيخ مبدعاً؟ و ما ميادين إبداعه؟

— أكان الشيخ ناقداً؟ و ما أبعاد ميادين نقده؟

– هل قدم نظرية نقدية متكاملة؟ و هل استطاع أن يقدم تطبيقات عليها؟

– ما المعايير النقدية التي اعتمدها؟ و ما خصائصها؟

و نقرر أولاً أن صورة الشيخ المبدع نستطيع التوصل إليها من خلال كتب الاختيارات فضلاً عن قصص النبيين التي ألفها للأطفال (١٩). و من ميادين الإبداع إسهامه في فنون النثر الأخرى، مثل أدب الرحلات، و السيرة الذاتية، و أدب التراجم، و أدب التقديرات.

و لا يقع اهتمامنا في حديثنا هذا بجوانب الأديب المبدع، و لكن لا بأس من أن نوصل أولية الشيخ الندوي في مجال التنظير للأدب، فهو تاريخياً أول من تقدم بفكرة الأدب الإسلامي و أول من تبنى الدعوة إليه في العصر الحديث، و كان هذا في مطلع حياته حين بلغ السادسة و العشرين حيث ألف كتاب مختارات من أدب العرب سنة ١٩٤٠م.

ثم جاء سيد قطب في مقالاته المنشورة سنة ١٩٢٥م، ثم جمعها في كتابه (في التاريخ.. فكرة و منهاج).

جاء شقيقه محمد قطب في كتابه (منهج الفن الإسلامي) سنة ١٩٦١م.

و بعده نجيب الكيلاني في كتابه (الإسلامية و المذاهب الأدبية)، سنة ١٩٦٢م.

ثم عماد الدين خليل في (النقد الإسلامي المعاصر) سنة ١٩٦٢م (٢٠).

لقد واكب الشيخ حركة الأدب الإسلامي على المستويين الفردي و الجماعي، الفردي من خلال مؤلفاته و كتاباته، و الجماعي من خلال إقامته أول مؤتمر للأدب الإسلامي عام ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م و ذلك في ندوة العلماء بمدينة لکناؤ، و قد انتخب رئيساً للرابطة مدى الحياة.

ليس بين أيدينا كتاب نقدي خالص، له ولعل أبرز آرائه النقدية جاءت مبنوثة في كتابة نظرات في الأدب، وتأتي آراؤه الأخرى في دراساته الأدبية، ومع ذلك، فإن النظرية النقدية جاءت ذات معالم واضحة نستطيع أن نسجلها.

ويرى د. بن عيسى بطاهران الندوي كانت له نظرات نقدية جديدة في الأدب، فتحت أبواباً أمام الدارسين، وفتت أنظارهم إلى الكثير من القضايا والمقاييس والقواعد في الأدب الإسلامي ونقده (٢١).

يرى الشيخ الندوي أن النقد للأدب بمثابة الميزان للعمل الأدبي (٢٢)، فهو يستخدم لتقويم عمل من الأعمال الأدبية وتقييمه (٢٣)، وهو ينفع لضبط الأعمال الأدبية، وقد بدأ العمل النقدي في العرب، وجرى بصورة طبيعية خلال قرونهم الماضية، ويرى أن القرآن الكريم أفيد منه في تحديد قواعد منه، واستمر مترابطاً مع البلاغة.

كما يشير إلى التيارات الفكرية الجديدة التي غزت الفكر الإسلامي، وإلى طبيعة هذه الاتجاهات لدى الغرب، فقد كانت منبثقة أو منطبعة بطبيعة اتجاهات أديانهم، المادية والمسيحية، والعلمانية والإلحادية بحكم حياتهم، وهي لا تتلاءم مع طبيعة العرب واتجاهاتهم، التي انطبعت بالبيئة العربية، المختلفة طبيعياً واجتماعياً وفكرياً عن طبيعة الحياة في الغرب، وانطبعت بالنظرة الإسلامية السارية في مجالات حياتهم. فإذن تفتقر القواعد النقدية لدى الغرب إلى النظرات فاحصة، تنقي النقد من لوثات لا تتلاءم مع طبيعة الحياة العربية، واتجاهاتها الإسلامية.

ويقول في موضع آخر: "لقد مضى علينا قرون كامل، و أوروبا تغتصب شبابنا وعقولنا، وتنبت في عقولنا الشك والإلحاد والنفاق، وعدم الثقة

بالحقائق الإيمانية و الغيبية، و الإيمان بالفلسفات الجديدة، الاقتصادية و السياسية، و نحن معرضون عن مقاومتها، معتمدون على ما عندنا من تراث، مضربون عن الإنتاج الجديد، حتى فوجئنا في العصر الأخير بانهيار العالم الإسلامي" (٢٤).

فهو يؤكد على أهمية قيادة العالم الادبية، و تأتي هذه القيادة مقرونة بالعلم و الفكر، يقول: "إن القيادة العلمية و الفكرية و الادبية للعالم كله من واجبات المسلمين، و هي حق للامة الإسلامية، و ماذا سيجرّ من شقاء و بلاء لو تخلت هذه الامة عن منصبها و دورها القيادي، و ما تلحق بها كذلك من خسائر و أخطار (الافتعالوه تكن فتنة في الأرض و فساد كبير) (٢٥).

و من الجوانب التي تكشف لنا عن شخصية الندوي النقدية، ثقافته الادبية العميقة، و تذوقه للنصوص الادبية على اختلاف أنواعها، يقول الشيخ الطنطاوي في مقدمة مختارات من أدب العرب: "حتى وجدت كتاب أبي الحسن، فإذا هو قد نفّض كتب الأدب و التاريخ نفّضاً، و حرّثها حرثاً، فاستخرج جواهرها، فأودعها كتابه" (٢٦).

و يقول محمد المجنوب: (٢٧) "و متبع ما يكتب الشيخ الندوي يشعر بأن لعبارته الادبية سحراً لا يتوافر في العادة إلا في العلية من أصحاب المواهب، الذين تعمقوا سر الكلمة، و تفاعلوا به، و كان لقلوبهم أكبر الأثر فيما يصوغونه، و تلك هي الخاصة الرئيسية...".

و لقد وصف الشيخ الطنطاوي أسلوب الندوي بأنه (نغمة علوية)، "يا أخي الأستاذ أبا الحسن! لقد كنت أفقد ثقتي بالأدب حين لم أجد عند الأدباء هذه النغمة العلوية" (٢٨).

أما الشيخ القرضاوي، فقد نوه بملكته الأدبية، وقلبه الحي ضمن خصال ستة، جعلها من المواهب و القدرات التي أعطاها الشيخ في دعوته (٢٩).

و من نماذج الأمثلة التي تذك على أن الشيخ أوتي ملكة و موهبة في التنويع الأدبي، - و هي أول خطوة في إدراك النقد - قوله يصف أسرار جمال الحديث النبوي: "ما ظنك ببشر، نلّ بالقرآن لسانه، و امتزج القرآن بلحمه و دمه، و جرى فيه مجرى الروح، و أخذ بقلبه، و استأثر بلبه، بل أشرب في قلبه القرآن، و تمكن منه ما الله أعلم به، فإن لم يكن كلامه بعد ذلك من الوحي - فكما قال أخونا الشاعر مصطفى صادق الرافعي - قد جاء من سبيله، و إن لم يكن له من دليل، فقد كان هو من دليله، قد عبّد له الوحي طريق الكلام و نلّ كما كان بعد السيل مجراه مرتعاً (٣٠).

النقد المعياري:

نجد النقد المعياري عند القدماء (٣١)، كما يجيء عند المحققين بأسماء مختلفة (٣٢)، و لا بد لنا - إذ نحن بصدد التوقف عند الأحكام النقدية المعيارية عند الشيخ أبي الحسن - أن نشير إلى جهود الباحثين في هذا المجال، فقد توقف بن عيسى باطاهر عند جوانب التأصيل الإسلامي للنقد، و وظيفة النقد الإسلامي عند الشيخ، و صفات الناقد المسلم، و أن النقد وسيلة لا غاية، و القيم و أثرها في النقد الإسلامي، كما توقف عند نظرات الشيخ النقدية التطبيقية في الشعر و النثر (٣٣).

و ساق في هذه الموضوعات جوانب من نقادات الشيخ و آرائه. و جاءت الإشارة إلى آراء الشيخ أبي الحسن النقدية عند أنور الجندي، في سياق تأصيل نظرية الأدب الإسلامي (٣٤).

و نبه الدكتور عبد الباسط بدر إلى خصائص كتابة الشيخ الندوي، فرأى في نظراته في الأدب أنها تنظير للأعراف و القواعد و المقاييس، و زيادة في دروب الأدب الإسلامي و نقده (٣٥).

و كان تعريف الشيخ المبكر للأدب الإسلامي:

"إنه تعبير عن الحياة، و عن الشعور و الوجدان في أسلوب مفهوم مؤثر" (٣٦).

و التعريف هنا لا يشير إلى الإسلام و علاقته بالأدب، لأن نكر الإسلام متقدم في السياق، و قد علق الشيخ على تعريفه حينما سئل عن مصطلح الأدب الإسلامي فقال: "يعني عندي بمعناه الواسع الهادف البناء" (٣٧).

و أما مفهوم الأدب الإسلامي عنده على لسان رابطة الأدب الإسلامي، فهو: "التعبير الفني الهادف عن الحياة و الكون و الإنسان وفق التصور الإسلامي" (٣٨).

و يرتبط مفهوم الأدب الإسلامي في الإشارة إلى معالمه المهمة "ذلك الأدب الطبيعي الذي يحمل الكلام المرسل، و التعبير البليغ، يحرك النفوس و يثير الإعجاب، و يوسع آفاق الفكر و يغري بالتقليد، و يبعث في النفس الثقة" (٣٩).

و لابد للأديب الحانق أن يتشرب بلبان التراث العربي، الذي يحتوي على أنفس ما أنتجته القرائح البشرية، و أبدعته العقول السليمة، و فاضت به خواطر، و سالت به محابر، من أدب و شعر، و تاريخ و فن، و حكمة (٤٠).

"و أن المكتبة الأدبية، تكاد تكون ركازاً أدبياً، تنتظر همماً عالية، و نظرات واسعة، و أيدي أمينة قوية، و تصوراً للأدب صحيحاً واسعاً، و هياماً بالجمال و القوة و الحياة، و بلاغة التعبير، و دقة التصوير، و مس القلوب،

و إثارة النفوس، و القدرة على تحريك العاطفة، و حاسة الجمال (٤١) و يرفض أن يسير الادب على خط واحد كما رسمه القدماء، و كان أحق بأن يتغير من الجمود و التقليد، و لا يقع فريسة العصبية التقليدية، و يصبح أسيراً للعادات و الرسوم، و في هذا ينكر محمد إقبال على المحافظين فيقول: "إن هذه المدرسة تدور كثور الطاحون حول محور واحد قديم" (٤٢).

و الجودة الفنية لا ترتبط بالاديب على إطلاقه، فالنظر يكون إلى ما قيل قبل النظر إلى من قال. جاء هذا في سياق الإنكار على الأوساط التعليمية و الادبية في الهند.

و نرى الكاتب الواحد وجود قلمه مرة، و يتراجع أخرى، إذا كتب في موضوع علمي أو ديني، و إذا تناول موضوعاً أدبياً تكلف الإنشاء.. فقد سقطت كتب (أطواق الذهب) و (المدهش) للزمخشري، و ابن القيم و ليس لهما أية قيمة.

أما (صيد الخاطر) و (تلبيس إبليس) و (المفصل) و (الكشاف) فهي جديرة بالبقاء جديرة بكل اعتناء.

في الوقت نفسه يرى أن لعمالقة الادب و كبارهم فعالية و أثراً، في الشعراء و الأدباء الذين يأتون من بعدهم "فإن الادب لا يقدر على التأثير حتى يكون وراءه شخصية قوية، تفرض أثرها، و تفرض فكرها، و مدرستها و منهج فكرها، على هذه اللغة و على الشعراء و الكتاب من أمثال مولانا جلال الدين الرومي (٦٧٢هـ) و الشيخ مصلح الدين الشيرازي (٦٩١هـ) و محمد إقبال (٤٣).

و أكثر ما يتجه الحث في التجربة الشعرية، أو الفنية، و معايير النقد فيها تقوم على أربع: العاطفة، و المعنى، و الأسلوب، و الخيال (٤٤).

فالعاطفة أو الانفعال و المشاعر عند الشيخ ركن ركين، و أساس هتين يقوم عليه العمل الادبي، و العاطفة و الطبع صنوان لا يفترقان، و ليست العاطفة المطلوبة المجردة من المغزى و الهدف، فالنص الادبي شعراً او نثراً لابد ان يكون فاعلاً و مؤثراً، ذا رسالة هادفة.. و يختار لنا قول محمد إقبال: "لا بارك الله في نسيم السحر، إذا لم تستفد منه الحقيقة إلا الفتور و الخمول، و النوي و الذبول، إن غاية الإحسان في فن من فنون العلم و الأدب لوعة الحياة الدائمة، و ما قيمة شرارة تلتهب سريعاً و تنطفئ سريعاً؟ و ما قيمة لؤلؤة كريمة أو صدف لامعة، لا تحدث اضطراباً في الأمواج، و لا اضطراباً في البحار؟ لا نهضة للأمم إلا بمعجزة، و لا خير في أدب و لا شعر إذا تجردا عن تأثير عصا موسى(٤٥).

و حينما تحدث عن رقة أشعار محمد إقبال يُبرز أهمية العاطفة "إنني أتصور الأدب كائنًا حيًّا له قلب حنون، و له ضمير واع، و له نفس مرهفة الحس، و له عقيدة جازمة، يتألم بما يسبب الألم، و يفرح بما يثير السرور" (٤٦).

و نتأمل في الفاظ القلب و الضمير و النفس و العقيدة، إذ هي مراكز العاطفة، و لننظر في صفات القلب و الضمير "حنون و واع" و صفات النفس و العقيدة "مرهفة حازمة".

و على أن النقد الادبي أفاض الحديث في الطبع و الصنعة، فإن المرزوقي (ت ٤٢٨هـ) يختصر ذلك فيقول في التفريق بينهما: "و الفرق بينهما أن الدواعي إذا قامت في النفوس، و حركت القرائح أعملت القلوب، و إذا جاشت العقول بمكنون ودائعها تبعت المعاني و درّت أخلافها" (٤٧).

و في مجال التطبيقية لهذا المعيار، يتجلى بوضوح حين يقتبس لنا من شعر محمد إقبال، و تبرز فيها بوضوح أهمية المشاعر و العاطفة، يجيب محمد إقبال الذين لاموه على توجهه على كبر سنه إلى المدينة "يا إخواني! الا تعرفون أن الطائر يهيم على وجهه في الصحراء، و يحلق في الفضاء، فإذا أدير النهار، و أقبل الليل، تذكر و كره، و رفر ف بجناحيه إلى وكره، يطير إليه ليأوي فيه، و المدينة وكر الروح، و وكر العقيدة، و وكر الإيمان... فكيف لا أطيّر إلى وكري حين هنا أصيل حياتي" (٤٨).

و يقرر أن سبب تفوق إقبال يعود إلى ثلاثة أسباب: قوة شخصيته، و قوة العقيدة و قوة العاطفة" (٤٩).

إن هذا الزخم من العواطف الذي امتاز به شعر إقبال جعل الندوي يعترف فيقول: "و أشهد على نفسي، أنني كلما قرأت شعره جاش خاطري، و ثارت عواطفني، و شعرت بدبيب المعاني و الاحاسيس في نفسي... و تلك قيمة شعره و أدبه في نظري" (٥٠).

و يعلل سر تفوق المدرسة الأدبية الإسلامية في الهند (٥١) في المديح النبوي، حيث يقول: إنهم لم يستطيعوا السفر لزيارة الرسول صلى الله عليه و سلم، فاستعاضوا عن السفر بالشعر، "و لم يزل السفر يزيد القلب و الشوق، و هو الحمام الزاجل الذي لا يزاحمه شيء و لا يعوقه شيء، و إذا امتلأت الكأس طفحت، و إذا طفحت فاضت، و لا بد أن يعقب الرّي السكر، و لا بد أن يعقب السكر التغني، و ما أجمل ما قال الشاعر العربي:

سقوني و قالوا: لا تغني و لو سقوا

جبال سليّمي ما سقيت لغنت

و انجرف العاطفة عند بعض المذاهب أضعف أشعارهم" (٥٢).

و حين يحدثنا عن زيارته للرسول صلى الله عليه وسلم، لا يستطيع أن يعبر بالالفاظ والكلمات، عن الاشواق و السرور و اللذة التي عاشها، " و في القلوب اشواق و لوعات، و في العيون دموع غزار، و على اللسان أبيات من الشوق و الحب، و قصائد في مديح النبي الكريم عليه أفضل الصلوات و التسليم" (٥٣).

و حين تحدث عن شاعرية ظفر علي خان، وصف أسلوبه بأنه يتدفق كتدفق العين المتفجرة (٥٤).

و اختار لرسالته (إلى ممثلي البلاد الإسلامية) نموذجاً جيداً للادب الإسلامي الدعوي – على حد قوله – كان في رسالته حرارة و اندفاع، و لوعة قلب، و حرقة نفس، و دعوة إلى ثورة (٥٥).

لقد كانت العفوية و تجنب التكلف مبدأ لدى الشيخ الندوي في كتاباته، و قد التزمه في كتابه (في مسيرة الحياة)، فصّرّح انه حينما يتحدث عن قصة حياته الشخصية يتحدث "في غير ما تكلف و اهتمام" (٥٦).

و أما الركن الثاني: المعنى، فيطلق عليه المحثون لفظ "المضمون".

حينما يتحدث عن إقبال: "إن أعظم ما حملني على الإعجاب بشعره هو الطموح و الحب و الإيمان.. هذا المزيج الجميل في شعره و في رسالته.. و هي تندفع اندفاعاً قوياً إلى كل أدب و رسالة، يبعثان الطموح و سمو النفس، و بُعد النظر، و الحرص على سيادة الإسلام" (٥٧).

و لا يصح للاديب المسلم أن يجمع بين الكتابة في الموضوعات الإسلامية و غير الإسلامية، و بذلك يفقد أدبه هزة في النفوس المسلمة، و تأثيراً في

القلوب المؤمنة، وقد وصف الدكتور طه حسين الذي خالفه الرأي في كثير من الأمور، بأنه يحسن كتابة شيء كثير لا يعتقده، ولا يتحمس له، وتلك صناعة لا يحسنها كل واحد (٥٨).

ووظيفة الأدب و غايته، هو أنه وسيلة بناء وإصلاح وخير، يؤثر في النفوس، ويغير في الاتجاهات والميول، ويحدث الانقلاب في الأخلاق والعمل والتفكير (٥٩)، واما أدب التسلية والترفيه. و أدب الغزل والمدح، فله قيمة في مكتبة الأدب وفي قلوبنا.. ولكنه ليس الكل، وليس الغاية التي يقبل عليها الإنسان بالقلب (٦٠).

فالادب ليس أداة تسلية وإلهاء نفس، وإزجاء وقت، أو قتل وقت كما يقول بعض الأدباء فحسب، إن الأدب من بين أكبر الوسائل للوصول إلى الأهداف النبيلة، وللتأثير في النفس الإنسانية، والحرص على سيادة الإسلام وتسخير الكون لصالحه، والسيطرة على النفس والأفاق، ولإنعاش الإنسان وتنشيط مشاعر الإنسانية المعاصرة إلى خير الإنسان، وبناء حياته (٦١).

و من أسباب تأليفه (في مسيرة الحياة) – و هو كتاب أدبي يدخل في باب السيرة الذاتية – استعادة الذكريات، والتأمل في صنع الله، وتذكره قوله الله تعالى: [سنريهم آياتنا في الأفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد] السجدة: ٥٣ (٦٢).

و من معايير النقد الحديث ما يؤيد منهج الندوي أنه يجمع الفائدة والمتعة، حين يؤدي العمل الأدبي وظيفته تأدية ناجحة، فإن نغمتي "الفائدة والمتعة لا يجوز أن تتعايشا فقط، بل يجب أن تنمجا" (٦٣).

...

و أما الأسلوب و ما يطلق عليه المحدثون الشكل، و ارتباطه بالعاطفة، فيشير إليه بقوله: "التعبير الدقيق من خواطر و مشاعر، و وجدانات، و كيفيات نفسه عميقة دقيقة، و وصف بليغ مصور للحواث الصغيرة" (٦٤).

و انسياب الأسلوب بعفوية مهم جداً، و لأجله رفع الشيخ الندوي دعوته إلى النظر في كتب التراث، للوقوف على نصوص جديدة، ممثلة للادب الحقيقي، فيه "عربية فنية، و أسلوب مطبوع يتدفق بالحياة" (٦٥) و هذه القطع الأدبية تتفوق في "قوتها و حيويتها، و سلاستها و سلامتها، و في بلاغتها و جمال لغتها، على دواوين أدبية، و مجاميع و رسائل.." (٦٦).

"تلك القطع الجميلة مليئة بالحياة، بعيدة عن الشروط و الصفات، و التقاليد المفسدة له، الطامسة لنورده، التي لا بد فيها من السجع، و الصناعة، و البديع، و المحسنات اللفظية" (٦٧).

و يرتبط بالأسلوب عناية الشيخ بالادب المطبوع، و استثنائه للادب المتكلف و المصنوع "إنه أدب طبعي و كلام مرسل، و تعبیر بليغ" (٦٨) و يقول في موضع آخر: "الوصف الدقيق، و التعبير الرقيق، و عدم التكلف و الصناعة.." (٦٩)، و يشير إلى بلاغة الراوي العربي باقتداره على الوصف و التعبير و التصوير (٧٠).

و يشير إلى قطعة نثرية أخرى فيقول: "لطيفة السبك، بارعة في التصوير" (٧١).

و يثني على ظفر علي خان، الذي كان من كبار شعراء عصره، فقد وصفه بان له اقتداراً عجباً على القوافي الصعبة، و البحور العويصة، و امتاز بجزالة اللفظ، و حلاوة الجرس (٧٢).

و يصل بنا الحديث إلى العنصر الرابع و هو الخيال، فهو جزء من الأسلوب، و وسيلة من وسائله القوية.

و يشير إلى أهمية الخيال في النص الأدبي، في المختارات التي اختاروها "تكون مادة لغوية، و منبعاً فيّاضاً للخيال، و التعبير و الكتابة" (٧٣).

و في موضع آخر يشير إلى الخيال بتعبير "القدرة البيانية" (٧٤).

و من جماع هذه الأركان الأربعة تتجلى لنا أبعاد التجربة الفنية و أركانها، فيقول: "كأنها لوحة فنية منسجمة متناسقة، قد أبدع فيها الفنان، أو صورة متناسبة قد أحسن فيها المصور كل الإحسان" (٧٥).

و بهذا نكون قد وقفنا عند أبعاد النقد المعياري عند الشيخ أبي الحسن الندوي، نسال الله أن يتقبل منا عملنا و يجعله خالصاً لوجهه الكريم.

هوامش:

١ - أستاذ الأدب العربي في قسم اللغة العربية و آدابها، كلية معارف الوحي و العلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

٢ - الأرض اليباب، ترجمة د. لؤلؤة، ص ١٤، (ط٢)، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت ١٩٩٥م).

٣ - لسان العرب، مادة "عير"

٤ - مختار الصحاح، مادة "عير"

٥ - المحيط، مادة "عير"

٦ - لسان العرب، مادة "عير"

- ٧ - مختار الصحاح مادة "عير"
- ٨ - ينظر، جبور عبد النور: المعجم الأدبي، معجم المصطلحات الأدبية، مجدي و هبة، وكامل المهندس.
- ٩ - المعجم المفصل في الأدب، د. محمد التونسي، ٦٦٥/٢
- ١٠ - بتحقيق الدكتور طه الحاجري، و الدكتور زغلول سلام، القاهرة ١٩٥٦م، و ينظر تاريخ النقد الأدبي، إحسان عباس، ص ١٢٤.
- ١١ - المرجع نفسه، ص ٧، و ينظر تاريخ النقد الأدبي ص ١٢٧.
- ١٢ - مقدمة الأرض اليباب، د. عبد الواحد لؤلؤة ص ١٤، و جاءت آراء أليوت هذه في دراسة مبكرة له، عنوانها "التراث و الموهبة الفربية".
- ١٣ - مقدمة "في مسيرة الحياة"، ١٢/١.
- ١٤ - مؤلفات سماحة الداعية الإمام أبي الحسن علي الحسني الندوي بالعربية، مكتبة حراء، لكهنؤ ١٩٩٨.
- ١٥ - في مسيرة الحياة ١/١٢٨.
- ١٦ - ينظر في حياته و البيئة العلمية "في مسيرة الحياة"، ٤٤/١ و ما بعدها.
- ١٧ - ينظر مقالنا في مجلة المجتمع: أبو الحسن الندوي الداعية الأدبي، العدد ١٣٨٦، ص ٥٢.
- ١٨ - في نظرية الأدب، ص ١٣ (د. شكري عزيز الماضي، ط ١، ١٩٨٦م).
- ١٩ - من كتبه التي تضمنت آراءه الأدبية، "شخصيات و كتب"، و "الطريق إلى المدينة"، و "روائع إقبال".
- ٢٠ - جهود الشيخ أبي الحسن الندوي، ص ٤٦ - ٤٧.
- ٢١ - الأدب الإسلامي و نقده عند الشيخ أبي الحسن الندوي ص ٨٨ مجلة إسلامية المعرفة العدد ١٢ سنة ١٩٩٨م.
- ٢٢ - من كلمته التي أرسلها إلى الملتقى الدولي الثاني للأدب الإسلامي في الدار البيضاء ١٢ - ١٥ / أبريل ١٩٩٨م، مجلة الأدب الإسلامي، العدد ١٨، ص ١٠٤.
- ٢٣ - يستخدم الشيخ لفظ "تقويم" و "تقديم"، و كأنه يفرق بينهما في الدلالة المعجمية،

- وليس الأمر واضحاً في المعاجم العربية في هذا التفريق.
- ٢٤ - الإسلاميات بين كتابات المستشرقين و الباحثين المسلمين، ص ٨٠، نقلاً عن بحث بن عيسى باطاهر، إسلامية المعرفة، العدد ١٢/١٩٩٨م.
- ٢٥ - من خطابه الختامي في مؤتمر رابطة الأدب الإسلامي في جامعة الهداية، جي فور ٢٢ - ٢٣ يونيو ١٩٨٦م، "في مسيرة الحياة". ١٦٧/٢.
- ٢٦ - مقجمة "مختارات من أدب العرب"، ٦/١.
- ٢٧ - علماء و مفكرون عرفتهم، ١٤٦/١.
- ٢٨ - مقجمة كتابه "الطريق إلى المدينة".
- ٢٩ - مجلة البعث الإسلامي، ع ١، مجلد ٤٢، رمضان ١٤١٧هـ.
- ٣٠ - جهود الشيخ أبي الحسن الندوي، ص ١٥٢.
- ٣١ - تناول النقد القديم ضرباً من النقد المعياري، ولعل أنضجها ما عرف بـ "عمود الشعر" الذي تناوله الأمدي (ت ٣٧٠هـ) و الجرجاني (ت ٣٩٢هـ)، ثم استكمل على يد المرزوقي (ت ٤٢١هـ)، فقد حده بسبعة شروط، ثم وضع لكل شرط معياراً، يقول: "أنهم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته، و جزالة اللفظ و استقامته، و الإصابة في الوصف، و من اجتماع هذه الثلاثة، كثرت سوائر الأمثال، و شوارد الأبيات، و المقاربة في التشبيه، و التحام أجزاء النظم و التناهما، على تخير من لذيذ الوزن، و مناسبة المستعار منه للمستعار له، و مشاكله اللفظ للمعنى، و شدة اقتضائهما للقافية، حتى لا منافرة بينهما، فهذه سبعة أبواب هي عامود الشعر.. " و قد جعل المعايير التي تقوم عليها هذه الشروط: العقل الصحيح، و الطبع، و الرواية، و الاستعمال، و النكاه و حسن التمييز، و الفطنة و حسن التقدير، و الطبع و اللسان، و الذهن و حسن الفطنة، و طول الدربة و دوام المدارس.
- و قدم ثلاثة مستويات في النقد هي: (١) أحسن الشعر و أصنقه، (٢) أحسن الشعر و أكنبه، (٣) أحسن الشعر و أقصره.
- لأن تجويد قائله فيه مع كونه في أسار الصدق يدل على الاقتدار و الحنق، و لأن قائله اختار الغلو و أسقط عن نفسه تقابل الوصف و الموصوف، فامتد فيما يأتيه إلى أعلى الرتبة، و ظهر قوته في الصياغة، و تمهره في الصناعة، فتصرف كيف شاء.
- ٣٢ - شرح ديوان الحماسة ص: ٩ - ١٢، ط القاهرة ١٩٥١م

٣٢ - ومنهم الدكتور محمد مندور الذي قدم خمسة معايير بعد استقراءه لجهود النقاد في دراسته المبكرة، النقد المنهجي عند العرب، ص ٣٨٥ - ٣٨٩ (دار نهضة مصر، القاهرة، د. ت)، و هي: (١) مقاييس شعرية تقليدية (٢) مقاييس لغوية (٣) مقاييس بيانية (٤) مقاييس إنسانية (٥) مقاييس عقلية.

٣٤ - الأدب الإسلامي ونقده عند الشيخ أبي الحسن الندوي. ص ١١٠ وما بعدها، مجلة إسلامية المعرفة، العدد ١٢، ١٩٩٨م.

٣٥ - أسلمة المناهج و العلوم، ص ١١٧، ١١٨، دار الاعتصام القاهرة، ط ١٩٨٦م.

٣٥ - مقامة "نظرات في الأدب"، ص ١٨

٣٦ - نظرات ص: ٣٥

٣٧ - مجلة الأدب الإسلامي، المجلد ١، العدد ٢، ص ٢٩.

٣٨ - مجلة الأدب الإسلامي في مقال: "شبهة المصطلح"، د. عبد القدوس أبو صالح، ع ٨ ص ٦، ويلاحظ أن النظام الأساسي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية عرف الأدب الإسلامي بأنه: "التعبير الفني الهادف عن الحياة و الكون و الإنسان وفق الكتاب و السنة". ينظر النظام الأساسي، ص ٢٣ (ط ٢، ١٩٩١م).

٣٩ - نظرات في الأدب، ص ٢٢.

٤٠ - مختارات من أدب العرب، ٣/١.

٤١ - مقامة "الأدب الإسلامي و صلته بالحياة"، ص ١١.

٤٢ - الأدب الإسلامي فكرته و منهاجه، ص ٤٧.

٤٣ - نظرات، ص ١٠٨.

٤٤ - ينظر "النقد الأدبي"، لأحمد أمين، ص ٢٢، و أطلقت الفاظ مشابهة عن العاطفة "الاحاسيس و المشاعر"، و عن المعنى "العقل و الفكر"، و عن الأسلوب "اللغة و الإيقاع و الموسيقى"، عن الخيال "المخيلة و الصورة".

٤٥ - نظرات في الأدب، ص ١٠٦.

٤٦ - نفسه، ص ١٠٥.

٤٧ - شرح حماسة أبي تمام، ص ١٢، تحقيق أحمد أمين و عبد السلام هارون، ط القاهرة، ١٩٥١م.

- ٤٨ - نظرات في الأدب، ص ١٠٥.
- ٤٩ - السابق، ص ١٠٥.
- ٥٠ - نفسه، ص ٨٢.
- ٥١ - نفسه، ص ٧٩.
- ٥٢ - صورتان متضادتان، ص ١٠٥.
- ٥٣ - في مسيرة الحياة، ١/١٩٦.
- ٥٤ - نظرات في الأدب، ص ٨٢.
- ٥٥ - في مسيرة الحياة، ١/١٩٨.
- ٥٦ - نفسه، ١/١٩٦.
- ٥٧ - نظرات، ص ٨١.
- ٥٨ - مختارات من أدب العرب، ١/١٤٠.
- ٥٩ - في مسيرة الحياة، ٣/٢٥١.
- ٦٠ - نظرات في الأدب، ص ٩٠.
- ٦١ - نفسه، ص ٨١ - ٨٢ ، ١٠٥ ، وينظر ما جاء في كلمته التي القاها في مؤتمر بالهند، مجلة الأدب الإسلامي، ع ١٩ ص ١٢٥.
- ٦٢ - في مسيرة الحياة. ١/٢١ - ٢٢.
- ٦٣ - نظرية الأدب، ص ٢٩، رينيه ويليك، و أوستن وارين، ترجمة محي الدين صبحي، بيروت، ١٩٨٧م.
- ٦٤ - نظرات في الأدب، ص ٢٢.
- ٦٥ - السابق، ص ٣٠.
- ٦٦ - نفسه، ص ٣٠.
- ٦٧ - نفسه، ص ٣١.

٦٨ - نفسه، ص ٢٢.

٦٩ - نفسه، ص ٢٢.

٧٠ - نفسه، ص ٢٢.

٧١ - نفسه، ص ٢٢.

٧٢ - نفسه، ص ٨٢.

٧٣ - مقدمة مختارات من أدب العرب، ٦/١.

٧٤ - نظرات في الألب، ص ٢٢.

٧٥ - نفسه، ص ٢٢.



آراء الشيخ أبو الحسن.. اللغوية

بقلم: د/ محمد عبد السلام آزادي

بعد أن اضمحل نفوذ العرب و العربية في القرون الأخيرة في الدول الإسلامية و العربية، أخذت اللغة العربية تنحط درجاتها (١)، إلى أن أصبحت منفصلة عن الحياة اليومية، و المكاتب الرسمية، و مجالس الخلفاء و الحكام، و ركنت إلى أقلام المطرزين، و أصحاب الحرف الأدبية المنمقين. و جاء بعدهم الاستعمار، ففهم أن نهضة اللغة العربية هي نهضة للإسلام، فأخذوا يتآمرون ضد اللغة العربية، حيث صرفوا عنايتهم إلى اللهجات العربية الإقليمية، و حاولوا وضع القواعد المعيارية لهذه اللهجات، لتكون بديلة للفصحى، و خوفوا الناس من الفصحى بأنها صعبة، و ليس يتمكن من ناصيتها سهلاً، و لا طائل في ممارستها، لأنه لا علاقة بينها و بين الحياة المعاصرة، و نادوا لكتابة العربية بالحروف اللاتينية، و اختاروا لها أنصاراً و أعواناً من بني العرب، و طالبوا بخلق اللغة العربية الوسيطة، لتكون سهلة و وسطاً بين العامية و الفصحى، و دعوا إلى استخدام اللغة العامية (٢). و من مظاهر التآمر ضد اللغة العربية اختفاء المفردات العربية الفصحى من جزء كبير من الحياة، و اقتصار اللغة العربية القديمة على الموضوعات الدينية، و في المواعظ و الخطب (٣).

فكل هذا الظواهر السالبة استدعت المعنيين باللغة العربية و بالإسلام أن يفكروا من جديد، و يحرروا العربية من هذه القيود، و أن يجعلوها ذات صلة

بالدين الإسلامي الحنيف، ومستجيبة لحاجات العصر ومتطلبات العالم المعاصر. و يعد الشيخ الإمام أبو الحسن الندوي، رحمه الله، ممن تصدوا لهذا التيار الجارف، و ممن تقدموا بالبديل المناسب لأبناء المسلمين، فكان في ذلك نذيراً و بشيراً، حيث إنه حذر المسلمين من هذه الهجمات الشنيعة، و حيث قام بتوجيه مصير اللغة العربية إلى اللون الإسلامي، كتابةً و خطابةً و نقداً و ثراً. و له آراء ذات قيمة بالغة في مسيرة اللغة و تطويرها، و نحن ننكر هذه الآراء من خلال النقاط التالية:

ضرورة صياغة اللغة العربية صياغة دينية في رأي الشيخ:

إن اللغة العربية لغة القرآن و الحديث و التراث الإسلامي الضخم، فليس لأحد أن يكون ذا بصر و بصيرة في الدين بدر التمكن من ناصية هذه اللغة، فلهذا نرى الشيخ الندوي يكرر "إن اللغة العربية فهي لغة الإسلام و مفتاح كنوز الكتاب و السنة"، (٤) و هذه الناحية تظهر أهمية اللغة العربية.

و هناك ناحية أخرى لفضل اللغة العربية و هي أن هذه اللغة تحمل أنفُس الأهمية الأدبية منذ عصور قديمة، فاللغة العربية في رأي الشيخ: "باب تلك المكتبة العامة الزاخرة، التي تحتوي على أنفُس ما أتمنى القرائح البشرية، و أبدعته العقول السلبية و فاضت به خواطر، و سالت به محاورات أدب و شعر، و تاريخ و فن، و حكمة، و مساحة زمنية واسعة، كمساحة التاريخ الإسلامي، و مساحة مكانية شاسعة كمساحة العالم الإسلامي (٥) و لا شك أن القرآن اكسب اللغة العربية البقاء إلى القيامة، و أتاح لها التحرر من قبل الجاهلية، فضلاً عن أن حملة الإسلام اتخذوها وسيلة لبث دعوتهم الجديدة فزادوا عليها رونق البيان، و طوروا إلى لغة عالمية، كان يتكلم بها نصف سكان الأرض بعد الفتوحات

الإسلامية، يقول الشيخ: "إن الثورة العالمية البناءة التي قام بها الإسلام، استخدم اللغة و الأدب سلاحاً في دعوته و نشاطاته، استخداماً لم تستخدمه أي ديانة أو حركة، فقد كان أفضل دعاة الإسلام و أقوى ممثليه، من ملكوا ناصية البيان، و برزوا في الخطابة و الكتابة في لغته" (٦) فكانت اللغة العربية حينئذ في خطبة الجمعة و في الخطابات الرسمية و الاجتماعية و السياسية، و كانت يتداولها الناس في معيشتهم اليومية، و تصدر بها الدواوين الشعرية، و الكتابات الأدبية. و كانت موارد اللغة العربية آنذاك عذبة، نقية صافية، اللفظ الخفيف و التعبير الدقيق الرقيق، مما يطرب الناس و يملؤهم سروراً و لذة، و ثقة و إيماناً بعبقريّة هذه اللغة، و رغبة في دراستها و التوسع فيها (٧).

إنّ كان الفضل في تطور اللغة العربية و خروجها إلى أوسع ما يكون من نطاق – في رأي الشيخ الندوي – للقرآن الكريم و لحديث الرسول صلى الله عليه و سلم، الذي كان أفصح العرب (٨)، و لاندفاع حملة القرآن و الحديث إلى العالم كله، فكانت حواشي اللغة العربية بيد هؤلاء المسلمين مهذبة، و عباراتها رقيقة، و ألفاظها صقيلة، و استمرت تنمو و تغزّر لفظاً و معنى، إلى أن جاء دور المتكلمين المقلدين للعجم، فهدموا ما بنى السلف في عمارة اللغة، و أصبحت اللغة العربية مقيدة و مكبولة بأيدي المطرزين المنمقين بالزخرفة البديعية. ثم بعد المحن الطويلة للغة العربية، جاء العصر الحديث على أنقاض النهضة الحضارية الغربية. و لكن العربية واجهت مشكلات عدة من أعداء الإسلام، الذين شنوا أنواعاً من الهجوم عليها منذ بداية النهضة الحديثة. فقد ظهرت اللغة العربية – على حد قول الشيخ – "عربية الوضع إفرنجية الروح، إسلامية اللغة، جاهلية السبك" (٩)، و لمقاومة هذا التيار الفاسد، ارتأى الشيخ أن إعادة اللغة العربية إلى حوزتها الإسلامية تتطلب منا الالتفات إلى الأمور التالية:

المفردات و المصطلحات:

يقرر الشيخ بدهية تكوّن اللغة، فهي تتكون من المفردات و التراكيب، فقال: "إنه لا يتصور اللسان بدون مفردات و تراكيب" (١٠)، فللمفردات و التراكيب دور خطير في إبراز الخواطر و الأفكار. فإن جاءت المفردات و الألفاظ في الجمل عفوية بدون تصنع و تكلف، و كانت سهلة ميسورة الفهم، أثرت في قلوب الناس، و كانت هي سر عبقرية اللغة العربية، و قد كشف الشيخ النقاب عنه حينما حلل عناصر عربية سلفنا الصالح، فإنهم يختارون في كلامهم "اللغة النقية الصافية، و اللفظ الخفيف، و التعبير الدقيق الرقيق" (١١).

و كذلك تؤثر الكلمات التي تصدر عن الصدق و الإخلاص في قلوب الناس، يقول الشيخ الندوي: إن الكلمات الصادرة عن لسان الصادق في التجربة الشعورية ستكون - و لا شك - معجزة من الأدب، لأنها أفلاذ كبده، و قطع قلبه، و دموع عينيه، و سوف تملك القلوب و تبكي آلاف البشر قروناً طوالاً (١٢). فاللغة الممتكنة من الكلمات التي هي أفلاذ الكبد، و قطع القلب، و التي صدرت مع دموع تذرفها العيون، لو اقترنت بها التصورات الإسلامية الصادقة أصبحت لغة إسلامية مؤثرة، و هذا ما وجدناه في العصور الذهبية للغة العربية. و قد رأى الشيخ للكلمات درجة حرارة و برودة (Temperature)، فلا توضع كلمة ذات حرارة متصاعدة مكان كلمة منخفضة، فضلاً عن أن توضع كلمة ذات حرارة مكان كلمة ذات برودة (١٣)، و بهذا تكتسب اللغة حلاوة و لذة، و قد مثل الشيخ لذلك بروايات طويلة من الحديث يرويها أحد الصحابة، أو إحدى الصحابيات، من حوائث حياتهم أو تفاصيل إحدى رحلاتهم.. جاءت فيها اللغة اليومية و بساطتها. و التعبير الصادق عن المشاعر و العواطف.. تُعدّ أسمى نماذج اللغة العربية بعد كتاب الله تعالى (١٤).

و من ثم علينا انتقاء الكلمات التي تحمل المعاني العقيدية المعششة في عميق القلب، و تحمل صدق ما يختلج في النفس، في صورة جيدة مرموقة. و قد وجد الشيخ هذه الحقيقة حينما حلل دعاء الرسول صلى الله عليه و سلم، الذي ابتهل به إلى الله، بعد أن رضخته أحجار أهل الطائف، و كان الدعاء الذي استجلب به رحمة الله، و استمطر سحابة كرمه حاوية "كلمات كانت أشد تأثيراً، و أدق دلالة على المعاني، و أقل في المباني، و أحسن وقعاً في النفوس و جذبا للقلوب، و سحرا للأذهان و العقول" (١٥)

نعم، إن لكل كلمة مفاهيم و معاني، (١٦) و لهذا على أهل اللغة أن يختاروا المفهوم الإسلامي، أو ما هو أقرب له، و الشيخ الندوي لم يغض النظر عن هذا الجانب، فقد استخدم كلمة "مراوغة" في عبارته مرة، فقال "مراوغة فكرية من فرعون" عندما ذكر الصراع بين سيدنا موسى و بين فرعون، و علق عليه بقوله: "المراوغة قد تطلق في المخادعة المزمومة، و المقصود هنا جيئة و ذهاباً من مكان إلى مكان، و القيام بحركة مفاجئة في اتجاه جديد، كما يفعل اللاعب الماهر مع منافسه، و أقرب كلمة إليه في اللغة الإنجليزية "Dodge" (١٧) و بهذا لفت أنظار اللغويين إلى هذا الجانب، بأن يختاروا المعنى الطيب من معاني الكلمة في سياق الجملة، ليظهر من خلاله المعنى. الذي لا تنفر منه الطبيعة الإسلامية في اللغة. و اختيار الكلمات و انتقاؤها، في سبيل إضفاء التصور الإسلامي على اللغة محمود و مطالب به، فهو من متطلبات البلاغة و البيان الساحر، و هو من عناصر اللغة الممتازة، و لكن إذا كان الانتقاء لإظهار البراعة الكلامية، و رغبة في التشويق و التفييق، و إذا كان الاختيار للإتيان بالكلمات الغريبة لإبراز تمكنه المرموق من ناصية اللغة فهو منموم. لأن هذه الكلمات المصطنعة و المتكلفة، تعكر صفو اللغة، و تنقص سلاستها، و نذهب بهاءها و رواءها (١٨).

إن الحياة تتجدد كل يوم، و تدخل في اللغة أسماء المستحدثات كل يوم، فهناك لغة تقرر هذه الاسماء على هيئتها، بوصفها دخيلة، ولكن اللغة العربية لكونها لغة واسعة غنية بثروتها، يمكن لها أن تستخدم تلك المستحدثات، التي تأتي أكثر ما تأتي عن طريق الغرب في هذا العصر، تستخدمها بطريقتها المألوفة: التعريب و التوليد، و لا تنطرق إلى الدخيل إلا إذا اضطرت إليه (١٩) ففي هذه الحالة نرى الشيخ عول في الغالب على قرارات مجمع فؤاد الأول للغة العربية. فإذا وجدهم و افقوا على كلمة في مستحدث ما له أصل عربي و اشتقاق صحيح أخذها و استخدمها حيث "لا يلجأ الطالب في استعمال الكلمات الأعجمية أو الدخيلة أو يكون له لسان أخرس في المناسبات العصرية" (٢٠).

إنما اللغة أداة التواصل بين أفراد الأسرة و المجتمع، يعبرون بها عما في ضمائرهم من حب و بغض، في جدهم و هزلهم، (٢١) فقد بذل الشيخ جهوداً ليجعل اللغة العربية مرنة، بالاستجابة إلى أساليب عصرية، و لغة مفهومة للقاريء الحديث، و سعى إلى "أسلوب جديد مبتكر"، على حد قوله، لأنه لم يكن أمامه إذ ذاك مثال أو نموذج يجمع بين: قوة الدعوة، و العاطفة الدينية، و القلم القوي البليغ، و اللغة العذبة السلسة. إنما كانت لديه إما مقالات أدبية خالصة، مثل كتابات السيد مصطفى لطفي المنفلوطي، و مصطفى صادق الرافعي، و الدكتور طه حسين، أو مقالات علمية تحليلية ناقدة، مثل كتابات الدكتور أحمد أمين، و عباس محمود العقاد، و العلامة محمد كرد علي، و لم يكن حينئذ طلع على الأفق العربي نجم كسيد قطب، و مصطفى السباعي، و علي الطنطاوي.. "لذلك لم يكن لي إلا أن أبتكر أسلوباً و أنهج نهجاً جديداً" (٢٢) و من أبرز مناحي ذلك الأسلوب المبتكر، كما يراها الدكتور عبد الباسط بدر، أن الشيخ

الندوي يمسك الخيوط الذهبية الثلاثة: الأدب و الفكر و الدعوة في آن واحد، ويرى هذه الميزة نادرة جدا في عصرنا بالذات، و أن هذا الأسلوب يتجلى في محمد إقبال و سيد قطب و في الشيخ الندوي (٢٣).

و من حلل هذا الأسلوب وجد السر كامنا أيضا في استخدامه الموفق الكلمات القرآنية و الحديثة، و روح القرآن و الحديث في كلامه المرتجل العادي، فكلماته بليغة دائما، تخرج من قلبه، و تحمل الفكرة بطريق مختصر، و تدعمها بشواهد مناسبة فتصب في وجدان السامع و تملأ قلبه (٢٤)، فقد قال عن هذه الميزة: "التزمت في كتاب قصص النبيين للأطفال أن يكون في لغة القرآن، و توضع الآيات الكريمة في محالها كالفص في الخاتم" (٢٥).

و أما المصطلحات فنجد الشيخ فيها حذراً جداً، لأنها في نظره: "كالخارطة للسفن و المراكب و الطائرات، فأدق خطأ في خطوطها التي تضبط المراكب و الطائرات، و تحدد الجهات و الغايات، قد يكون سببا لضياع هذه البواخر و الطائرات أو انحرافها عن الغاية المقصود" (٢٦) ففي هذه العبارة أوجز الشيخ الندوي أهمية المصطلحات، و خطورة الخطأ في معانيها، و لفت النظر إلى الاستخدام الصحيح لها، لأن الخطأ في وضعها، و التحريف في استخدامها، و الزيادة أو النقص في مدلولاتها، و استعمالها في غير ما اصطلح عليه الاقدمون، يؤدي إلى إساءة في اللغة العربية. فلهذا أثنى على العلماء الذين أنشأوا لغة إسلامية جديدة في الهند، تسمى الأربية، أثنى عليهم لعدم تحريفهم في الكلمات و المصطلحات، التي جاءت عن طريق العربية، فكانوا يهتمون بحفظ كلماتهم (الصوفية و الدعاة و المصلحين) بنصها و فصها (٢٧).

و يرى أن المصطلحات مما لا يترجم إلى أية لغة من لغات العالم، مهما بذلت الجهود، و قطعت إلى ترجمتها السبل، فمثلا كلمة "الحكمة" فقد

عدد ممتاز

عد الشيخ أمرا مستحيلاً ترجمة هذا المصطلح فقال: لا اعتقد أن الكلمة البليغة العربية "الحكمة" من الممكن ترجمتها أو نقلها إلى لغة أخرى (٢٨). فكان من طريق التاصيل الإسلامي للغة الهندية الوثنية، وجعلها إلى اللغة الإسلامية الأربية استخدام تلك المصطلحات الإسلامية، بدون اللجوء إلى الترجمة، فلا بد أن نهتم بإبقاء المصطلحات الإسلامية القديمة على هيئتها وحالتها، بدون تحريف في تحديد المعنى، و انحراف في استخدامها. و أما في استخدام المصطلحات العلمية الحديثة، فقد رجع إلى استخدامات المجمعات اللغوية العربية. ولكنه – نعتقد لتنبهه التام للفوضى التي تحدث في اختلاف المصطلحات في موضوع واحد – اعتمد على مجمع واحد و هو مجمع فؤاد الأول للغة العربية (٢٩).

الاساليب و التراكييب:

و للأسلوب اتجاهان في الدراسة اللغوية الحديثة، اتجاه يعتني بالابنية اللغوية و وظائفها، حتى تراكييبها داخل النظام اللغوي، و توظيف الكلمات في الجمل توظيفاً صحيحاً و كذلك استخدام الابنية اللغوية استخداماً متقناً في العبارات، و اتجاه يهتم بالنظام التركيبي في اللغة، و كل هذا يؤدي دوراً خطيراً في تجلية المعنى، الذي يجول في خاطر الشخص (٣٠).

و إذا كان الأسلوب هو مرآة الأديب بل و قد قيل: إن الأسلوب هو الإنسان نفسه، (٣١) و على الأديب أن يلتجئ إلى الأسلوب لتجلية فكره، فأسلوب الأديب هو شخصه و فكره، و قد عني الشيخ الندوي بدراسة الكلمات التي لها صلة بالفكر، و التي تحدث تغيير اللغة و تنميتها إلى اللغة الدينية، و ذلك حينما أخذ بدراسة النصوص القرآنية و الحديثية، و نصوص روايات الصحابة و الرواة، و الأدباء و الكتاب المطبوعين، و الشعراء غير المهنيين، و اكتشف مكامن

السحر في تلك النصوص. ففي كتاب "روائع من أدب الدعوة في القرآن و السيرة" دراسة عميقة متأنية لأسلوب القرآن و الحديث.

يقول الشيخ في سر الإعجاز القرآني: إن إعجاز القرآن كامن في الفاظه و تراكيبه، و فصاحته اللغوية و بلاغته المعنوية، معانيه و محتوياته (٣٢) و أكد عليه مرارا و تكرارا مع الاعتراف بأن هناك وجوهاً عدة للإعجاز القرآني، (٣٣) و قد حلل بعض الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية، لتتوَّق الإعجاز القرآني و الحديثي، و لتوضيح أسلوب الكتاب و السنة في كتابه "روائع من أدب الدعوة في الكتاب و السيرة"، و تطرق في ذلك إلى أمور تعنى بها الدراسة اللغوية الحديثة، منها:

الكلمات و دورها في تأدية المعنى، فإن كل كلمة تحمل مفهوماً معيناً، بل تحمل مفاهيم، فاختيار الكلمات الموفق لمفهوم دقيق أوسع يضيف على اللغة جاذبية ولذة، و معنى واسعاً، و قد حلل الآية [ادع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة..] (النحل ١٦ : ١٢٥)، فقال: "استحضروا الإعجاز الكامل في قوله تعالى "ادع" و هو لا يختص بالخطابة، و لا يختص بالكتابة، و لا يختص بالوعظ و النصيحة، و إنما قال: "ادع" الدعوة عامة تشمل هذه المعاني كلها و الأساليب كلها.. و قال: "ادع إلى سبيل ربك" ما حدد و ما عين شيئاً معيناً خاصاً، فمثلاً تدعون الناس إلى الإيمان بالله وحده، و إلى العقيدة الصحيحة، و تحثون على الصلاة، و تدعون إلى مكارم الأخلاق و إلى الفضيلة، أو تدعون الناس إلى الشعور بكرامة الإنسانية، و "سبيل ربك" يحوي كل شيء، إنه يمتد و يسع الأفاق، ليست هذه الأفاق فقط، إنها أفاق الأديان السماوية، و أفاق الحاجات البشرية و الحياة الإنسانية (٣٤).

وقال في قوله تعالى: [إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر، ولا يغني عنك شيئا] (مريم ١٩ : ١٤)، أولاً تتأملون في قوله "يا أبت" لهجة فيها الرقة، وفيها البر، وفيها التواضع.. فالولد إذا خاطب أباه بقوله: "يا أبت" أثار فيه الحنان الأبوي، وكان يمكن لإبراهيم أن يصيح فيقول: "يا سيدي، أو يقول: يا شيخ الكهان، لأنه كان كاهناً، ولكنه يقول: يا أبت، تعتمد إبراهيم هذه الكلمة، ليصل بها إلى أعماق قلبه، ويثير فيها الحنان.. فالولد مهما بلغ الغضب من والده إذا ناداه بقوله: يا أبت.. رق وتهيأ لسماع كلامه". (٢٥) ولننظر إلى تحليله لكلمة: "ولا الضالين" من سورة الفاتحة، فإنه حلل المفاهيم التي تحوي هذه الكلمة، وشرح كيف نابت عن تلك المفاهيم في أن واحد، وهذا هو قوة الكلمة التي تؤدي المعنى الذهني، في أنق صورة و أوسعها (٣٦).

ومن هنا دور التراكيب في تجلية المعنى، فقد درس الشيخ ميزة تراكيب الكتاب و السنة، وما أثر عن السلف الصالح، ووضح بماذا تمتاز هذه التراكيب، ولماذا تتفوق على جميع الأساليب العربية. فقد حلل الآيات القرآنية ٤١ - ٤٥ من سورة مريم، التي تحمل نصوص دعوة إبراهيم، فقارن بين أسلوب تلك الآيات التي كانت موجهة لأبيه، وبين أسلوب الآيات التي توجه بها إلى قومه، وجاء بنتيجة واضحة المعالم، بأن إبراهيم فرق بين الأسلوبين، أسلوب الدعوة لأبيه، و أسلوب الدعوة لقومه. ففي الأول اتخذ أسلوباً فيه لين، وفيه اقتراح، وفيه تودد، ولل كلمات فيها وقع خفيف، و التراكيب فيها إخبار هاديء، "لم يبدأ بالأشياء التي تعتمد على الذكاء النادر، وتعتمد على بحوث علمية أو نظرات فلسفية، إنما اختار الشيء الذي يفهمه الطفل، لأن والده كان في الطفولة العقلية، وإن كان مقدما في السن، فخاطبه كما يخاطب الطفل: (يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا)، وفي الثانية: أسلوب جدال

و مناظرة، فيه تحد و توجيه إلى الامور الفلسفية، فيه سؤال إنكاري عما يفعلونه: [اتل عليهم نبا إبراهيم، إذ قال لأبيه و قومه ما تعبدون قالوا: نعبد أصناما فنظل لها عاكفين، قال: هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون] (الشعراء ٦٩ - ٧١).

و قد حلل التوكيد في قوله تعالى [اياك نعبد و اياك نستعين] (الفاطحة ٤:١)، فوصل إلى النتيجة أنه "كل تأكيد" عرفته لغة العرب التي نزل بها القرآن، و اختيرت لتكون لغة الصلاة العالمية.. و في ابلغ أسلوب من الأساليب البيانية العربية.. (٣٧) و هكذا تحمل التراكيب الأفكار في أمانة و دقة، و هي تعطي اللغة السمات التي يقصدها المتكلم.

و منها إمكانية استثمار الموقف الخطابي في فهم القرآن الكريم، فالموقف الخطابي (Speech Situation) أو الظرف الكلامي (Event of Speech) هو الظرف المعين الذي يتبادل فيه الناس الحديث، و عناصره: الوضع المعين، و المشاركون في الخطاب و أدوارهم و التفاعل بينهم، و الرسالة و مفتاحها و طريقة إيصالها (٣٨) و الموقف الخطابي يفيد التفاعل بين المقال و المقام، إي يدرس العلاقة بين الكلام و مقتضى الحال، و له عناصر فوق لغوية، و هي الوسائل المعينات التي تساعد الخطيب لتوضيح ما يريده، ما عدا الحدث اللفظي كحركات اليد و غيرها (٣٩).

و إذا نظرنا في معالجة الشيخ الندوي في بعض الآيات القرآنية و النصوص الحديثية، اتضح لنا إمكانية استثمار الموقف الخطابي لفهم القرآن و الحديث في العصر الحديث.. كما فهمه الجيل الأول. لننظر في تفسيره آيات الدعوة في سورة يوسف (٣٦ - ٤١) [و دخل معه السجن فتيان، قال: أحدهما إنني

اراني اعصر خمراً، وقال الآخر: إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه، نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين. قال: لا يأتیکما طعام ترزقانه إلا نباتکما بتأويله قبل أن يأتیکما... قضي الأمر الذي فيه تسفتيا] فقال: "و قبل أن نشرح هذه الآيات نريد أن نخيل لأذهانكم المحيط الذي قامت فيه هذه الدعوة، و الأجواء التي اكتنفتها" (٤٠) فاستحضر المواقف الحاسمة التي مر عليها يوسف عليه السلام، لیبزر أهمية هذه الآيات و المعاني التي يمكن أن تؤدي، و صور لنا الأجواء التي أحاطت يوسف عليه السلام، و أوقفنا جوار تلك الأجواء، التي كثيراً ما نواجهها في حياتنا العادية.

و قال و هو یصور الأجواء، و ملامح شخصیات المشاركين في الخطاب القرآني [لا يأتیکما طعام ترزقانه إلا نباتکما بتأويله..] قال سيدنا يوسف "لا يأتیکما طعام ترزقانه إلا نباتکما بتأويل هذه الرؤيا"، حتى یطمئنا أنهما لا یحتاجان إلى جلوس طویل، و لا یملان، و لا یأتی السجان فیقول اذهباً إلى مکانکما، و من الذي أنن لکما بالحضور هنا؟ فقال: (لا يأتیکما طعام..) "یأتیکما" و كانت مصر على جانب کبیر من الحضارة، و تنظیم الحياة المدنية، فالمفروض أنه كانت هناك مواعید مضبوط للطعام، و كان وقت الطعام قد حضر، فلذلك قال (لا يأتیکما طعام...) ثم هناك نکته... و هي أن بین المسجونین و بین الطعام الذي یأکلونه في السجن صلة قوية، فلما ذکر الطعام أثار فیهم الشوق، و انتعشت قلوبهم لسماع ذکر الطعام، فالطعام حبيب إلى کل إنسان، و لكنه إلى المسجون أحب و أذ و أشهى، فوجد فرصة ليقدم إلیهم الدعوة إلى التوحید... (٤١) و هكذا قد فسر النصوص الدعائية التي ابتهل بها الرسول صلی اللہ علیہ وسلم بعد أن جرحه أهل الطائف. (٤٢) فالشیخ الندوی بتطرقه إلى اكتشاف العلاقة بین الالفاظ و التراکیب و الفکر، یوجه الانظار إلى اتخاذ

طريقة القرآن و الحديث و التراث الإسلامي الرائعة في الكلام العصري، و اظهر كيف و أين يكمن السحر في الكلام.

و هناك اتجاه آخر في دراسة لغوية حديثة للأسلوب، و هو الذي يحدد البواعث و الاسباب التي جاء لأجلها هذا الأسلوب و قد عني الشيخ أيضا في هذا المجال، ففي كتاباته عن جمال الأدب و روعته، أشار إلى سر الأسلوب الجذاب، الذي يمتلكه القرآن و الحديث، و بعض روايات الصحابة، و أصحاب السير، و الأدباء المطبوعين، و قد دعا مرارا و تكرارا إلى اتخاذ ذلك الأسلوب مع صياغة عصرية. يقول "و الذين اتخنوا الأدب سلاحا لهم الخلق و العقيدة لابد أن نقاومهم بأدب قوي دافق بالحياة، و كتابة أصيلة مشرقة البيباجة، و أسلوب من أحدث الأساليب و اقواها، و لا يتأتى ذلك إلا بالتضلع من الأدب القديم و مصادره، و نقد الأساليب الجديدة، و الاطلاع الواسع عليها، و الممارسة للكتابة و الإنشاء" (٤٣).

إن هوينادي أصحاب التربية و أولى الالباب و الآداب أن يتسلحوا بالأسلوب القوي، على طراز أحدث و أسمى، بالرجوع إلى الأدب القديم و مصادره، و اكتساب الأساليب الجديدة في الكتابة و الخطابة، و يحث على اتخاذ مخططات دقيقة، لإعادة الثقة في شبابنا الحيارى، و ذلك المخطط يحتاج إلى أسلوب جديد في الحديث مع الشباب، يحتاج ذلك إلى الحكمة و الموعظة الحسنة، [و جادلهم بالتي هي أحسن]، يحتاج إلى أن تكون عندنا أقلام قوية بليغة، و أن يكون عندنا تلك المقرة البيانية، و الطلاوة الأدبية، و حلاوة التعبير، التي لا يمكن لدعوة أن تشق طريقها إلى الأمام، و أن تنفذ في عقول الشباب، و في نفوسهم عن غير هذا الطريق. (٤٤)

و هنا ينكر الاسباب التي تكسو الاسلوب الحلاوة و الجذب، منها القوة في الكتابة، و اكتساب المقرة البيانية، و التزين بالطلاوة و الادبية، و التعبير الحلو. و حينما حلل سحر القصائد للشاعر محمد إقبال، ابرز أن سحرها مكنون في العقيدة التي كان يحملها، و العاطفة التي شرح صدره لها، و النور الذي تمكن في قرار قلبه، حيث يقول: "إن شاعرنا العظيم محمد إقبال كان - و قد شهدت ذلك بعيني و أشهد بذلك بجوار المسجد - إذا ذكرت المدينة - فضلا عن الرسول صلى الله عليه و سلم - دمت عينه و لم يتمالك.." (٤٥) و عتد الفضل الذي جعل لغة إقبال عذبة، فنكر منه قوة العقيدة، و تحديد الهدف في الكتابة و قوة العاطفة كل هذه العوامل أنت دوراً فعالاً في تنمية الاسلوب، و تزيينه بزينة الإسلام. ثم في إشارته إلى اتخاذ أحدث الأساليب العصرية في الحديث، و الديباجة المشرقة في الكتابة، و المقرة البيانية، و الحلاوة في التعبير، و الكلام النابع عن المشاعر و العواطف الصائقة، و التعبيرات الجميلة البسيطة الاخذة تطلع على أسرار الاسلوب المرموق في اللغة العربية.

عناصر تنمية اللغة:

يرى الشيخ أن جميع اللغات تتغير إلى الازدهار بعناصر أربعة (٤٦)، و بالتالي تعد هذه العناصر القوي الداخلية في التأصيل الإسلامي للغة العربية، و العناصر هي: الضرورة، العاطفة، الاندفاع، النفع و الفائدة.

و نحن هنا نحاول أن نحلل هذه العناصر على نهج الشيخ، أولاً: الضرورة، فهي تنجلي عنده في اتخاذ جماعة من الناس اللغة العربية وسيلة لهم، في حركتهم و دعوتهم و ثورتهم، حتى لا يجدون سواها وسيلة، و لا يعدون غيرها أداة لإيصال أفكارهم إلى العامة. ففي عصر الانحطاط لم تكن للجماعة المسلمة

حركة قوية دينية أو سياسية أو اجتماعية، و لا دعوة و ثورة تجبرهم على اتخاذ اللغة العربية وسيلة مهمة، يرى الشيخ أن بين الحركة و اللغة الصلة القوية الدائمة... "فإنها أكبر سلاحها، و أسهل وسيلة إلى خطاب العامة و التوصل إلى عقولهم و قلوبهم و لَلَّغَةُ إذا رافقت حركة قوية و سارت في ركبها، فإنها تقطع أحيانا مسافة قرون - لسعتها و رحابة صدرها، و رقيها و ازدهارها و تأثيرها و قوتها - في أعوام و شهور، و تستفيد منها ما لا تستفيد من رعاية الحكومات و إشراف المؤسسات التعليمية و عنايتها بها" (٤٧) و أكبر دليل على ذلك ازدهار اللغة العربية بعد خمولها في النصف الأخير من القرن التاسع عشر، حينما بدأ الشعب العربي الإسلامي طرد الاستعمار، و بدأت الحركة الدعوية و الثورة العسكرية الدينية في مختلف البلدان الإسلامية، و اتخذ العرب مرة ثانية لغتهم وسيلة مهمة لإيصال الدعوة التحريرية إلى عامة الناس، "حتى عادت اللغة العربية تنشط و تنهض، و تسلك سبيل الحياة في حماس و قوة". (٣٨)

و خير مثال له نشأة اللغة الأربية، فإنها بذرت نواتها في القرن التاسع الهجري، إلا أن ثمارها أينعت، و ساقها قويت، و أصبحت لغة هندية إسلامية، بعد أن اتخذها الإمام أحمد بن عرفان الشهيد في الخطب و التواصل، لما وجد فيها سهولة، فكانت أداة وحيدة في ثورتهم الإسلامية، و دعوتهم الدينية، و رسائلهم الإصلاحية، و كانت واسطة بين أهداف الحركة و القائمين عليهم و بين عامة من الناس (٤٩).

و أما العاطفة فتتمثل في استخدام اللغة للتعبير عما يختلج في النفوس، و يتهيج في القلوب، و يشتعل في الضمائر، فالذين يكتبون متشبهين بالممثلين تنعدم لغتهم من العاطفة، لأن الممثلين "قد يمثلون الملوك فيتصنعون أبهة الملك و مظاهره، و قد يمثلون الصعاليك فيتظاهرون بالفقر،

وقد يمثلون السعيد، وقد يمثلون الشقي، من غير أن ينوقوا لذة السعادة، أو يكتبوا بنار الشقاء، وقد يعزون من غير أن يشاركوا المفجوع في أحزانه، وقد يهنئون من غير أن يشاركوا السعيد في أفراحه.."(٥٠) ومن ذلك ينظمس نور لغتهم. وللعاطفة أيضا نصيب في حياة اللغة و رقيها و ازدهارها، فإذا كانت عامرة بالدين، و مليئة بالروح الإسلامية، كانت الكلمات التي تدل على المملولات الدينية في مكامن القلب تتشوق للخروج عبر لسانه:

إن الكلام لفي الفؤاد و إنما جعل اللسان على الفؤاد نليلا (٥١)

و خير معين على تجلية العاطفة الصدق، فاللغة العربية تكون في مانتها الإسلامية إذا صدرت الكلمات وفق ما في ضمائر المسلمين، من الإيمان و حرارته، و من العقيدة و شلالها، و في ذلك يقول الشيخ الندوي: "فإذا كان هؤلاء المتحدثون (من العرب) لا يرضى ضميرهم بما يقولون، و يعرفون أن هذه الكلمات في غير محلها، و إنما هو كله مصالحهم المالية، فيا لانحطاط النفس البشرية، و يا لرخص السلعة الغالية، و يا لضيعة الكلمات العامرة بالمعاني، و يا لشقاء اللغة العربية بأهلها!!"(٥٢) و الاستجابة للعاطفة الصادقة، و ترك النفس المفعمة بالإيمان على سجيته يضي على اللغة الرونق و البهجة و اللذة، و هذا هو سر لذة بعض الروايات الطويلة، التي يرويها الصحابة الرواة عن مواقف حياتهم.

و أما العنصر الثالث فهو الاندفاع، و لم يفسر لنا الشيخ ما هو الاندفاع، و ما هو الملول الذي أراد بهذه الكلمة، فإذا كانت مطاوعة "دفع" – كما هو من معانيها – فيقال: دفعه فاندفع،(٥٣) فمعناه أن تخرج الكلمات و العبارات استجابة لما يدفعه قلبه للكلام، فهو استجابة العاطفة و المسائرة مع

استجاشة النفس، فلا يتكلم إلا عندما تحرضه عاطفته، و لا يكتب إلا من دافع نفسه له. و يظن الباحث أن هذا المعنى يطابق المقام، فإن الأديب أو الشاعر مهما حاول التنميق و التحسين و التعبير، فإنه يبقى فاشلا فيه إذا لم يستجب للدوافع النفسية التي يحس بها في قرارة قلبه. فإن كان من الدوافع الخارجية، كالتكسب و طلب الشهرة فاللغة لا تكتسب تلك الروائح التي تخرج بها الكلمات عندما تختلط بعبير القلوب، و في هذا المعنى يقول الشيخ عندما وضع السبب لفقدان الجمال التعبيري عند الكتاب أهل التصنع: "كان غالبها (الكتابات) يُكتب بالاقتراح من ملك أو وزير أو صديق، أو لإرضاء شهوة الأدب، أو تحقيق رغبة المجتمع، أو حبا للظهور و التفوق، و هذه كلها دوافع سطحية، لا تمنح الكتابة القوة و الروح و لا تسبغ عليها لباس البقاء و الخلود، و لا تعطىها التأثير في النفوس و القلوب، و الفرق بينها و بين الكتابات المنبعثة من القلب و العقيدة كالفرق بين النائحة و الثكلى..." (٥٤)

لقد أبدع الشيخ حينما صور الكلام غير النابع عن القلب و العقيدة، بالصورة التي لا حركة فيها و لا حياة، و أما الكلام النابع من قرارة النفس فهو كالإنسان الحي، الذي فيه حركة و حياة، و أروع من ذلك تشبيهه المتكلم بدافع خارجي، بالنائحة التي تتباكى على الفقيد، فإنها لا تبكي عن شعور حقيقي بالحزن و المصيبة التي حلت بها، بل تبكي لأنها تتقاضى النقود من أصحاب الفقيد، فلا يؤثر بكائها في أحد من الناس، و أما الثكلى التي تبكي على فقيدها لما فجعها موت فقيدها، و لما تكابد من آلام و حسرة و لما تخرق الأحزان نياط قلبها، فبكائها يبكي الحاضر و يشجي السامع. إذن إن اللغة تتطور و تترقى إذا كانت تصدر عن اندفاع، و إذا كان الاندفاع مع العقيدة و الإيمان تتزين اللغة بذلك الرونق، و بهذا تصبح اللغة دينية.

و العنصر الرابع هو النفع و الفائدة، فلما كانت اللغة العربية نافعة لأهل البلاد المفتوحة، حيث وجبوا لغة تحمل الدين و الحضارة الجديدة، و كانت أداة مهمة للتواصل و تبادل الآراء، و الاتصال بالدوائر الرسمية، ازداد إقبال العجم على اللغة العربية، و إذا لم يجد أحد في اللغة العربية فائدة تذكر، لا من ناحية الدين و لا من ناحية الحركة الإسلامية و الدعوة الدينية، و لا توجد هناك نفوذ عربية في المملكات الإسلامية، انحسرت اللغة العربية عن دورها، و أصبحت اللغة مقصورة على الذين يحترفون الأدب، و يمتنون الإنشاء العربي حيث "يأتي على الناس زمان لا يفهمون فيه من كلمة الأدب إلا ما أثر عن هذه الطبقة من كلام مصنوع و أدب تقليدي، لا قوة فيه و لا روح و لا جدة و لا متعة.." (٥٥).

الخاتمة:

هذه هي آراء الشيخ الإمام أبي الحسن علي الحسيني الندوي اللغوية، و على هذا الأساس ألف الشيخ كتبه لتعليم اللغة العربية، و عليه تقوم ندوة العلماء بلكناؤ، الهند بتدريس اللغة العربية، لهذا نرى تميزاً واضحاً في عربية المتخرجين في الندوة، في كتاباتهم و خطاباتهم. و هذه النظريات جديرة بالاهتمام من قبل الباحثين و اللغويين، و يمكن إجراء البحوث اللغوية بالمقارنة مع النظريات اللغوية الحديثة. أسأل الله المولى الكريم أن يتغمده الله برحمته الواسعة، و يجعل مجهوداته في ميزان حسناته، يوم لا ينفع الإنسان مال و لا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

— المراجع و المصادر —

- ١ - إبراهيم منكور، اللغة المثالية، مجلة مجمع اللغة العربية المصري، المجلد ٧، السنة ١٩٣٥، ١٤.
- ٢ - ينظر أحمد حسن الزيات، لغتنا في أزمة، مجلة مجمع اللغة العربية، المجلد ١٠، السنة ١٩٥٨م، ٤٦. و محمد الفزالي، تراثنا الفكري في ميزان العقل و الشرع، (فيرجينا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٩٨٦م)، ١٨٩ - ١٩٣.
- ٣ - أنور الجندي، أسلمة المناهج و العلوم، (القاهرة: دار الاعتصام، ١٩٨٦م)، ٩٨ - ١١٠.
- ٤ - أبو الحسن الندوي، مختارات من أدب العرب، مقجمة، (الهند: مطبعة دار العلوم ندوة العلماء، ط١، ١٩٤٠م)، ٣، و أبو الحسن الندوي، القراءة الراشدة، (الهند: مطبعة ندوة العلماء، ١٩٨٨م)، ٥/١.
- ٥ - الندوي، مختارات من أدب العرب، مقجمة الطبعة الأولى، (الهند: مطبعة ندوة العلماء، ط١/١، ١٩٦١م) ٣٣.
- ٦ - الندوي، في مسيرة الحياة، ٢/٢٢٢.
- ٧ - أبو الحسن الندوي، نظرات في الأدب، (دمشق: دار القلم، ط١، ١٩٨٨م)، ٢٨.
- ٨ - هذا معنى حديث رواه البيهقي في شعب الإيمان من طريق يونس بن محمد عن أبيه قال: قال رجل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أفصحك! ما رأينا الذي هو أعرب منك! قال صلى الله عليه وسلم: حُقْ لي: فلنما أنزل القرآن علي بلسان عربي مبين. ينظر: السيوطي، المزهر، تحقيق: جاد المولي و الآخران، (بيروت: المكتبة العصرية، ط١/١، ١٩٨٨م). ٣٥/١.
- ٩ - الندوي، القراءة الراشدة، ١/١٠.
- ١٠ - أبو الحسن الندوي، المخل إلى الدراسات القرآنية، (الهند: المجمع الإسلامي العلمي، ط٢، ١٩٩٤م)، ١٣.
- ١١ - ١٢ - الندوي، نظرات في الأدب (دمشق: دار القلم، ط١/١، ١٩٨٨م)، ٢٨.
- ١٣ - أبو الحسن الندوي، شخصيات و كتب، (دمشق: دار القلم، ط١، ١٩٩٠م)، ٧.

- ١٤ - الندوي، في مسيرة الحياة. ١/١٤٢.
- ١٥ - الندوي، نظرات في الأدب، ٢٨.
- ١٦ - ابن طباطبا، (محمد بن أحمد). عيار الشعر، تحقيق: محمد زغلول سلام، (مصر: مكتبة المعارف، د. ت)، ٥-٦ و أيهم عباس حمودي القيسي، شعر العقيدة في عصر صدر الإسلام، (بيروت: عالم الكتب، ط/١، ١٩٨٦م)، ٣١٦.
- ١٧ - أبو الحسن الندوي، روائع من أدب الدعوة في القرآن و السيرة، (الكويت: دار القلم للنشر و التوزيع، ط٤، ١٩٩٤م)، ٥٩.
- ١٨ - الندوي، نظرات في الأدب، ٢٨ - ٢٩.
- ١٩ - صبحي صالح، دراسات في فقه اللغة، (بيروت: دار العلم للملايين. ط/١٠، ١٩٨٣م)، ٢٢٠ - ٢٢١.
- ٢٠ - الندوي، القراءة الراشدة، ١/١١.
- ٢١ - الندوي، مختارات من أدب العرب، مقدمة الطبعة الأولى، ٥.
- ٢٢ - الندوي، في مسيرة الحياة، ١/١٧١.
- ٢٣ - الندوي، نظرات في الأدب، ٦.
- ٢٤ - المرجع السابق، ٨.
- ٢٥ - الندوي، في مسيرة الحياة. ١/١٤٥.
- ٢٦ - الندوي، نظرات في الأدب، ٧، و أبو الحسن الندوي، كلمة الرئاسة للندوة العالمية للأدب الإسلامي، الأدب الإسلامي فكرته و منهاجه، (الهند، مطبعة ندوة العلماء، ط/١، ١٩٨٥م)، ٤٢ - ٤٣.
- ٢٧ - الندوي، في مسيرة الحياة. ٢/٢٢٢.
- ٢٨ - الندوي، روائع من أدب الدعوة في القرآن و السيرة، (الكويت: دار القلم للنشر و التوزيع، ط/٤، ١٩٩٤م)، ١٥.
- ٢٩ - الندوي، القراءة الراشدة، ١/١١.

- ٣٠ - عبد المنعم خفاجي، و السعدي فرهود، و عبد العزيز شرف، الاسلوبية و البيان العربي، (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ط١، ١٩٩٢م)، ١٣.
- ٣١ - قاله جورج يوفون، ينظر: صلاح فضل، علم الاسلوب، (بيروت: دار الافاق الجديدة، ١٩٨٥م)، ٣٦.
- ٣٢ - الندوي، المدخل إلى الدراسات القرآنية، (الهند: المجمع الإسلامي العلمي، ط/٢، ١٩٩٤م)، ٣٢.
- ٣٣ - المرجع نفسه، ٣٤ - ٣٥.
- ٣٤ - الندوي، روائع من أدب الدعوة، ١٤.
- ٣٥ - المرجع نفسه، ٢٠ - ٢١.
- ٣٦ - أبو الحسن الندوي، تأملات في القرآن الكريم، (ممشق: دار القلم، ط١، ١٩٩١م)، ١٢ - ١٣.
- ٣٧ - المرجع نفسه، ١١.
- ٣٨ - أحمد شيخ، موقع اللغويات في إسلامية المعرفة، (بحث مقدم للندوة العلمية بالجامعة الإسلامية بماليزيا، ١٩٩٦م)، ٣٣.
- ٣٩ - Richard. Longman Dicionary of Linguistics نقل عنه الدكتور أحمد شيخ عبد السلام، موقع اللغويات في إسلامية المعرفة، ص ٣٣.
- ٤٠ - الندوي، روائع من أدب الدعوة في الكتاب و السيرة، ٣١ - ٣٢.
- ٤١ - الندوي، روائع من أدب الدعوة، ٣٩ - ٤١. و للتفصيل يراجع من الكتاب، ٣٠ - ٤٣.
- ٤٢ - الندوي، نظرات في الأدب، ٣٦ - ٤١.
- ٤٣ - الندوي، نحو التربية الإسلامية الحرة، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط/٥، ١٩٨٧م)، ٩٤ - ٩٥.
- ٤٤ - المرجع نفسه، ١١٠.
- ٤٥ - الندوي، نظرات في الأدب، ١٠٥.
- ٤٦ - الندوي، مسيرة الحياة. ٢/٢٢٢.
- ٤٧ - الندوي، في مسيرة الحياة. ٢/٢٢٢.

- ٤٨ - إبراهيم مذكور، اللغة المثالية، ١٣.
- ٤٩ - الندوي، في مسيرة الحياة، ٢/٢٢٢ - ٢٢٣.
- ٥٠ - الندوي، نظرات في الأدب، ٣٢.
- ٥١ - بيت منسوب إلى الأخطل، وليس موجودا في ديوانه، ينظر: جماعة من العلماء، شرح العقيدة الطحاوية، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط ٨، ١٩٨١م)، ١٨٤.
- ٥٢ - أبو الحسن الندوي، ماذا خسر العالم يانحطاط المسلمين، (الرياض: الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية الإسلامية، ط ٢/٣، ١٩٨١م)، ٣٦٠.
- ٥٣ - المعجم الوسيط، مادة د. ف. ع (مصر: مجمع اللغة العربية، د. ط. د. ت).
- ٥٤ - الندوي، نظرات في الأدب، ٣٢.
- ٥٥ - المرجع نفسه، ٢١.



الأدب الإسلامي و نقده عند الشيخ أبي الحسن الندوي

بقلم: الأستاذ بن عيسى باطاهر

تمهيد:

يعدّ الأدب أحد الفنون المهمة التي تسهم في توجيه الثقافة و المعرفة لدى الشعوب، و في بناء الإنسان الفعال القادر على صناعة التاريخ، و المشاركة بإيجابية و عمق في الدفع الحضاري. و نظراً لهذه الأهمية المنوطة بوظيفة الأدب ربط كثير من الدارسين و المفكرين بين ازدهار الأدب و صحة الأمم و عافيتها، و بين انحراف الأدب و مرض الأمم و همارها، و ذلك لما للأدب من خصائص تتصل بنفوس الناس، و ترتبط بروح الأفراد و الجماعات، فضلاً عن كونه – و باطراد في جميع العصور – أحد عناصر التربية الضرورية لتوجيه الإنسان نحو الترقّي الحضاري.

وقد عرفت الحضارة الإسلامية منذ ميلاد فكرتها الأولى في غار حراء قيمة الكلمة أداة للتغيير، و مكانة الأدب مفجراً للطاقات، و موجهاً للأفراد و الجماعات، فكان الإعلان الأول كلمة تدعو للقراءة و المعرفة [اقرأ]، تبعتها كلمة أخرى تدعو للقيام و الحركة [قم]، ثم كان فيض القرآن بآياته و سوره في تلك الثوب البلاغي الرائع مانتهم، يقيمون عليه تصوراتهم و يستلهمون منه

و جهتهم، ثم كان الحديث النبوي الشريف بياناً للشريعة، و مصدراً للهداية و المعرفة، و منبعاً للأدب الجميل لا يستغنى عنه الأديب المسلم في تكوين فكرته و تحبيدها، و بناء رؤيته و تشكيلها.

و في إطار هذه الحضارة تشكل تراث متميز، و أدب حي عبر عن شخصية الأمة و ثقافتها، و دافع عبر العصور عن هويتها و عن خصوصيتها حين كانت تبرز في الأفاق من حين لآخر الأخطار و التحديات، و كان سلاحاً قوياً في أيدي المخلصين من أبناء الأمة يرتون به كيد الحاقدين، و تأويل الجاهلين و تحريف المشككين.

و لم يكن هذا الأدب الحي الذي شهده التاريخ الإسلامي وحده سائداً في الساحة الثقافية، فقد كان هناك أدب يناقشه في المبدأ و الاتجاه، بعضه يرغب فيه أهل الضلال و البدعة، و بعضه يحبه أهل التكلف و الصنعة، و بعضه مؤيد من أهل الرياسة و السلطة، و بعضه ممزوج بأفكار أهل الأهواء و الغفلة، مما أدى إلى إضعاف القاعدة الفكرية الداخلية، و القوة الروحية للأمة، و أسهم منذ البداية في ذلك السقوط الحضاري الذي عاشه المسلمون في سنوات الضعف.

و شهد العصر الحديث تحديات كثيرة، و أخطاراً متنوعة بسبب الاستعمار والتمزق و التخلف، و بسبب الصراع الحضاري بين الشرق و الغرب. و قد كانت الفرصة سانحة أمام كثير من بلاد العالم الإسلامي للنهضة و الإقلاع الحضاري و بخاصة بعد حصولها على استقلالها، و لكن بسبب فقدان الاستعداد النفسي، و غياب الرؤية الحضارية الواضحة، و بتأثير المناهج المستوردة التي سيطرت على الحياة الإسلامية بمستوياتها المختلفة و غير ذلك من الأسباب، لم نشهد أية نهضة حضارية تجلب احتراماً في عالم التمدن المتسارع، حتى قامت جهود

إسلامية مخلصنة لتعلن رفضها لمبدأ التغريب و البدء في بناء المشروع الحضاري الإسلامي لإعادة الأمة إلى استئناف حياتها الإسلامية الراشدة.

و قد كان للادب حيز من الاهتمام في العمل الإسلامي، فبذلت جهود لإعادة الأدب إلى دائرة الرؤية الإسلامية في التعبير عن الحياة و الكون و الإنسان، و ظهر مفكرون و أدباء دعوا في أعمالهم إلى ضرورة الاهتمام بالأدب الإسلامي، نذكر منهم الشهيدان: حسن البنا و سيد قطب رحمهما الله و الشيخ أبا الحسن الندوي، و الأستاذ محمد قطب، و رائد القصة الإسلامية الأديب الراحل نجيب الكيلاني رحمه الله.

و يعد الشيخ أبو الحسن الندوي رحمه الله أحد الرواد الأوائل الذين اهتموا في هذا العصر بالأدب الإسلامي، و قد كان له حضور متميز في مجال الكتابة و النقد و التنظير، و قد توجت جهوده في السنوات الأخيرة بإقامة رابطة عالمية للأدب الإسلامي. و هذا البحث قراءة نقدية سريعة لبعض جوانب فكره في ميدان أسلمة الأدب، مع التناول السريع لبعض آرائه في النقد الإسلامي.

حول الأدب الإسلامي

١ - مفهوم الأدب الإسلامي:

إن مصطلح الأدب الإسلامي – مذهباً أدبياً – قد استقر وجوده بين الدارسين و تلك بدهية تنطق بها نصوصه العديدة، و بحوثه المتجددة، و أصبح اتجاهات و حقيقة واقعة. و هو مصطلح ظهر في كتابات الشيخ أبي الحسن الندوي منذ الخمسينيات، و قد حدد مفهومه انطلاقاً من رؤية واضحة فقال: الأدب الطبيعي الجميل هو التعبير البليغ الذي يحرك النفوس، و يثير الإعجاب، و يوسع آفاق الفكر، و يغري بالتقليد و يبعث في النفس الثقة.

فهذا المفهوم يشمل مجموعة من الخصائص و المقومات الشكلية و القيمية و الجمالية التي إذا توافرت في الأدب الإسلامي منحته قوة الإقناع و الإمتاع، و أعطته صفة البقاء و الخلود. فالأدب من حيث المقومات الشكلية لابد أن يكون بعيداً عن الصناعة و التكلف، يأخذ من الأشكال أجملها و أقربها إلى الطبيعة الإنسانية السوية، و هو أدب بليغ هدفه توصيل المعنى إلى القلوب في أحسن صورة من الألفاظ: و هو من حيث المقومات القيمية أدب ملتزم برسالة في المجتمع بما يحمل من قيم إيجابية تقوم السلوك، و توسع المدارك، و تبعث في النفس الثقة و الفاعلية، و هو من حيث المقومات الجمالية أدب جميل يوظف الجمال في إبراز الأبعاد القيمية، لأن القيم في الرؤية الإسلامية هي المقياس الأول للجمال.

و يأتي تركيز الشيخ الندوي الشديد على الوظيفة المعرفية و التأثيرية للأدب الإسلامي فيقول: "الأدب الإسلامي في أوسع معانيه هو تعبير عن الحياة و عن الشعور و الوجدان في أسلوب مفهوم مؤثر لا غير".

و يرى الشيخ الندوي أن عنصرَي الإخلاص و الصدق في الأدب الإسلامي هما اللذان يهبانه هذا البعد الوظيفي لأنهما يمنحانه الروح و القوة و الحيوية، و يجعلانه معبراً عن حقيقة أبدية خالدة.

٢ - وظيفة الأدب الإسلامي:

إن الأدب بنحو عام رسالة في الحياة، و هو ليس عبثية أو فناً مطلقاً يقصد منه مجرد الفن كما هو رائج في كثير من المذاهب الأدبية الغربية. و نقاد الأدب المنصفون لا ينكرون أبداً قضية الالتزام في الأدب. و إذا نظرنا إلى الأدب الإسلامي وجدناه مرتبطاً برسالة سامية في المجتمع الإسلامي، و بهذه

الرسالة يكتسب مكانته و قيمته الحقيقية بوصفه راعياً لقيم الخير في المجتمع، و موجهاً للثقافة النافعة التي تسهم في البناء الحضاري. و من هنا حرص الشيخ الندوي على بيان هذا البعد الوظيفي للأدب الإسلامي فقال: "حاجتنا و حاجة هذا العهد، و حاجة العالم العربي بصفة خاصة، هي الأدب الهادف السليم، الدافق بالحيوية، المتدفق بالقوة، الذي يحمل رسالة سامية سماوية، إنسانية إسلامية علامية".

فهذا الأدب الملتزم بالرؤى الإسلامية، الحامل لقيم الحضارة، له وظيفته الخطيرة في المجتمع، لأنه ملتزم بحمل قضايا الفكر و المعرفة و الثقافة السليمة، و قيم الخير و العدل وفق ما جاء في الكتاب و السنة لمرزجها بقلوب الناس و عقولهم لبناء الفرد المسلم فالمجتمع المسلم.

و هذا الالتزام ليس قيماً على حرية الأديب، كما يعتقد دعاة التحرر في الفن و الأدب، بل هو ميزة الأدب الجاد، و روحه التي تهبه خصوصية المنشأ و الهدف، كما أن الالتزام – قضية – حقيقة مقررة، و خطة مسلم بها في عالم الفن و الأدب.

و يستدل الشيخ الندوي على أهمية هذا البعد الوظيفي للأدب الإسلامي بما تركه أباؤنا و كتابنا القدماء من أدب حي أسهم في ذلك الانقلاب الحضاري المتميز فقال: "كان هؤلاء الكتاب المؤمنون الذين ملكتهم فكرة أو عقيدة، أو يكتبون لأنفسهم، يكتبون إجابة لنداء ضميرهم و عقيدتهم مندفعين منبعثين، فتشتعل مواهبهم، و يفيض خاطرهم و يتحرق قلبهم، فتتهال عليهم المعاني، و تطاوعهم الألفاظ، و تؤثر كتاباتهم في نفوس قرائها، لأنها خرجت من القلب فلا تستقر إلا في القلب.

٣ - الأدب الإسلامي و التسلية:

الأدب الهادف و الجاد مناف للتسلية الرخيصة، و خاصة حين تصبح التسلية غاية أولى لقارئ الأدب، الباحث عن المتعة الزائلة قتلاً للوقت، و تسبة للنفس، دون إعطاء القيم الإيجابية في الأدب أي اعتبار. و هذا بلا شك مما يبعث السلبية و الركود في المجتمع، و يعطل الكثير من الطاقات الحية في الأمة. و قد أشار الشيخ الندوي إلى هذا المعنى فقال: "الأدب ليس أداة تسلية أو إزجاء وقت (أو قتل وقت كما يقول بعض الأدباء) فحسب، و إنما الأدب من أكبر الوسائل للوصول إلى الأهداف النبيلة و للتأثير في النفس الإنسانية". فالأدب الإسلامي في نظر الشيخ الندوي ينبغي ألا يكون هدفه الأول تسلية القارئ و مده من الوسائل و المضامين الإمتاعية فقط، بل هو أداة إيجابية لها أثر تغييري في الحياة لأنه وسيلة المهمة في البناء النفسي و الدفع الحضاري، و تغيير النفوس، و تمكينها من تجاوز السلبية و العجز، و خاصة حين يأخذ الأديب المسلم على عاتقه مسؤولية توجيه الثقافة نحو العمل الجاد، و مد المجتمع بالقيم الإيجابية الحضارية.

و نفي التسلية الرخيصة عن الأدب الإسلامي لا يقتضي بالضرورة القضاء على جانب المتعة فيه، لأن الإمتاع غاية لا يمكن إلغائها من الأدب، و إلا فقد تميزه الفني بوصفه أدبا، و القرآن الكريم نفسه أعطى هذا الجانب حقه من الاهتمام، حتى عُدَّ الإمتاع الوجداني من الغايات الأساسية التي يهدف إليها الأسلوب القرآني. إن الأدب الإسلامي أدب جاد يجمع بين الإمتاع و الإقناع، و تمتزج فيه المتعة بالمنفعة، و تنتفي عنه التسلية المؤدية، لأنه أدب نابع عن الرؤية الإسلامية التي تهدف إلى غرس الإيجابية في الحياة. يقول الشاعر الإسلامي الكبير محمد إقبال: "لا بارك الله في نسيم السحر إذ لم تستفد منه

الحقيقة إلا الفتور و الخمول، و الذوي و الذبول، إن غاية الإحسان في فن من فنون العلم و الأدب لوعة الحياة الدائمة. ما قيمة شرارة تلتهب سريعاً و تنطفئ سريعاً؟ و ما قيمة لؤلؤة كريمة أو صدفة لامعة لا تحدث اضطراباً في الامواج و لا اضطراباً في البحار؟ لا تنهض الامم إلا بمعجزة، لا خير في ادب و لا شعر إذا تجردا عن تأثير عصا موسى".

٤ - الادب الحي و الادب المزخرف:

إن الادب في تكوينه العام مرتبط بالنفس الإنسانية، لأنه تعبير صادر عن قواها الوجدانية و الفكرية، فهو يحيا بحياتها، و يجمد بجمودها، و تارة يكون كالكانن الحي بما فيه من قوة في العاطفة و العقيدة، و تارة يصبح جامداً لا حياة فيه بعد التجرد من إشعاع الروح و عمق التجربة.

و قد اهتم الشيخ الندوي اهتماماً كبيراً في كتاباته بهذا البعد الحيوي في الادب الإسلامي فقال: "إنني أتصور الادب كائناً حياً له قلب حنون، و له ضمير واع، و له نفس مرهفة الحس، و له عقيدة جازمة، و له هدف معين، يتألم بما يسبب الألم، و يفرح بما يثير السرور، فإذا لم يكن الادب كذلك فإنه ادب خشيب جامد، ادب ميت جامد، أشبه بالحركات البهلوانية و الرياضيات الجبرية".

هذا هو الادب الحي الذي يستطيع أن يبعث في النفوس روحاً جديدة بما يحمل من خبرة صادقة، و أفكار حية، و قيم نافعة، أما الادب الجامد، الذي يسميه الشيخ الادب المزخرف، فهو أدب فاقد للمنهج السليم، بعد ما التصقت به شروط و صفات و تقاليد أفسسته، و طمست نوره، فلا بد فيه من السجع و الصناعة، و لا بد فيه من الببيع و المحسنات اللفظية، و لا بد فيه من تقليد من يُعَدُّ في الطبقة الأولى من الأدباء..

عبد ممتاز

يذهب الشيخ الندوي إلى محنة الأدب العربي تكمن في تسلط أصحاب التصنع و التكلف على الأدب، أولئك الذين يتخنون حرفة و صناعة، و غايتهم الأولى إثبات البراعة في التنميق و التحبير، و إحراز الشهرة و المنفعة الشخصية، بعد التملق للأشخاص أو للهيئات، و أصبح هذا الأدب السائد بين الناس في هذا العصر كأنه تماثيل و صور لا حياة فيها.

و يستدل الشيخ الندوي على الأدب الإسلامي الحي بما وصل إلينا من كتابات علمية و دينية عن علمائنا القدماء، و قد كتبها أناس لم يحترفوا الأدب و لم يجعلوه صناعة، و قد كان لهذه الكتابات تأثير كبير في الناس على مر العصور، و مازال تأثيرها مستمراً إلى الآن، و السر وراء تأثيرها يكمن في قوتها و جمالها، و كونها كتبت عن عقيدة و عاطفة، هذا إلى جانب تحررها من السجع و الببيع و من التكلف و الزخرفة.

و يؤكد الشيخ أن الروح التي تبعث في الأدب الحياة و البقاء و الخلود كامنة في صدق التعبير عن العقيدة و العاطفة. فإذا كان الأديب متحلياً بالصدق و الإخلاص في التعبير عن فكره و عاطفته، فإن أدبه سيؤدي غايته من التأثير و الإقناع، لأن الكلام إذا خرج من القلب كان محله القلب، و هذا هو الأدب الحي الذي يستطيع أن يحرك النفوس و يبعث فيها الثقة و الرغبة في العمل الجاد المثمر.

و عن كيفية وصول الأديب المسلم إلى هذا المستوى الراقي من الأدب يقول الشيخ الندوي: "إن الإيمان و صفاء النفس، و الاشتغال بالله و العزوف عن الشهوات يمنح صاحبه صفاء الحس، و لطافة النفس، و عذوبة الروح، و نفوذاً إلى المعاني الحقيقية، و اقتداراً على التعبير البليغ، فتأتي كتابته كأنه قطعة من نفس صاحبها، و صورة لروحه".

إن الأدب الإسلامي الذي يسهم في التغيير الحضاري هو الأدب الحي الذي يدخل في النفوس فيمنحها القدرة على تجاوز السلبية و العجز، و يكسبها الفاعلية و النشاط و الإرادة لتفجير الطاقات المعطلة، و تزويد العقول و القلوب بالافكار الحية حتى تصل إلى المستوى الذي يؤهلها إلى التغيير الإلهي، قال الله تعالى: (إن الله لا يُغَيِّرُ ما بقوم حتى يُغَيِّرُوا ما بأنفسهم) [الرعد: ١١].

٥ - الأدب الإسلامي و قضايا الحضارة:

إن الأدب - لكونه أحد عناصر التربية في المجتمعات المتمننة - يسهم إسهاماً فعلياً في بناء الحضارات أو يكون سبباً في هدمها، فقد يكون الأدب مقوماً أساسياً في التربية و البناء و التوجيه، و يصبح قوة دافعة للشعوب نحو التغيير و تجاوز المعوقات و السلبيات، و قد يكون على النقيض من ذلك حين ينحرف عن مساره الإيجابي، و يصبح معولاً من معاول الهدم، يروج للقيم الهدامة، و الافكار القاتلة، و ينخر في الجسم السليم فيصيبه بالشلل، و التاريخ يدعم هذه الحقيقة بشواهد كثيرة، و خاصة تاريخ الحضارة الإسلامية.

و الحضارة الإسلامية في أيام عزها مثال يحتذى به في قيم الخير و العدل و الموازنة بين الحاجات الروحية و المادية، فقد أعطت الحضارة الإنسانية المفهوم السليم الذي ينبني على فكرة التوحيد، و مساواة البشر أمام الله، و احترام الإنسان المؤمن الفعال الذي يؤدي بسلوكه و عمله رسالة الحق و الخير و الجمال.

و قد كان الأدب الإسلامي وجهاً مشرقاً من وجوه الحضارة الإسلامية في أيام ازدهارها و قيادتها للعالم، و ذلك بمساهمته الحقيقية في توجيه الثقافة و شحذ الهمم، و بعث روح العمل و الفاعلية بين أبناء الأمة، و كان سلاحاً فعالاً

عدد ممتاز

في أيدي الدعاة و المخلصين، و في بث الدعوة، و قمع المنكر و البدعة. و حين بدأ إشعاع الحضارة الإسلامية بالافول، رأيت الادب يتجه اتجاهاً سلبياً غلبت عليه الصنعة و النفاق، و الشهوة و الانحراف، و بدأ يفقد شيئاً فشيئاً قيمته الروحية و الاجتماعية التي فيها حياة الامة بكاملها.

فالادب الإسلامي – أو الادب الحي كما يسميه الشيخ الندوي – مرتبط ارتباطاً وثيقاً بازدهار الحضارة و نهضة الامة، لأنه الروح التي تحيي الجسد و تبعث فيه الحركة و النشاط، و قد نقل الشيخ الندوي هذا المعنى عن الشاعر الإسلامي الكبير محمد إقبال الذي قال: "لا خير في نشيد شاعر، و لا في صوت مغن، إذا لم يفيض على المجتمع الحياة و الحماس".

و إذا كان الشيخ الندوي في تناوله لموضوع النهضة الإسلامية و شروطها الموضوعية قد اعطى تطوير العلوم و تنظيمها، و أسلمتها و استقلالها أهمية كبيرة، فإنه على غرار ذلك لا ينسى البعد الحضاري للادب و أهميته في البناء الحضاري. فكثيراً ما كان يكرر هذه الجملة : إننا نحتاج إلى ادب ينفخ في نفوسنا حياة جديدة. أي أن المجتمع الإسلامي بحاجة إلى ادب حي يحمل رسالة حضارية تغييرية، تهدف إلى تكوين الفرد المسلم فالمجتمع المسلم، و تغيير القيم و أنماط السلوك السلبية التي يعيشها العالم الإسلامي اليوم، و ذلك بإثارة الرغبة في النفوس للعمل الجاد، و ببث الفاعلية المتوقدة لصنع شيء له قيمة في الحياة، و بناء حضارة ترضى الله و رسوله صلى الله عليه و سلم و تجلب احترام الآخرين.

و قد لفت الشيخ الندوي أنظار المعنيين بالادب و الكتابة و دراسة الادب و تاريخه إلى ضرورة الاعتناء بهذا الجانب المهم في الادب، الذي يستطيع أن

يغير الاتجاه من السقيم إلى السليم، ومن سيطرة الأهواء و الفرائز إلى سيطرة الأخلاق و القيم النبيلة، و من الاستسلام للكسل و الكساد و الخمول إلى الحرص على الحركة و النشاط و الفاعلية، إذ الخروج من هذا المازق الحضاري يقتضي الاستعداد الروحي و الاستعداد الصناعي و الحربي و الاستقلال التعليمي، و وجود الرؤية الحضارية الواضحة، و البناء النفسي المتكامل، فليست القيادة بالهزل، إنما هي جد الجد، فتحتاج إلى جد و اجتهاد، و كفاح و جهاد، و استعداد أي استعداد.

٦ - ادب الرحلات:

أولى الشيخ أبو الحسن الندوي عناية خاصة بأدب الرحلات و مارسه كتابة و تنظيراً منذ الخمسينيات محاولاً التجديد فيه شكلاً و مضموناً، و قد وجه جل اهتمامه إلى ربطة بالرؤية الإسلامية، و إدخاله في دائرة الأدب الإسلامي بعد ما لاحظ أن كثير من الأدب لا ينطلق من مبادئ واضحة في الفكر و التصور، و لا يعبر بصورة جيدة عن عاطفة الأديب و عقيدته، مما يفقده طابعه الفني الذي يمنحه الحياة و الجمال، و يخرج به عن خطة الالتزام بوصفه تجربة إنسانية تستحق الذكر و التنويه. و آراء الشيخ النقدية في هذا الفن الأدبي تتمحور حول ثلاثة مقاصد.

أولاً: يركز الشيخ الندوي على أهمية النظرة الشاملة للمجتمع الذي يكتب عنه الرحالة، فقد لاحظ أن كثيراً من كتب الرحلات يغلب عليها الجانب الجغرافي، و تعتني بالآثار و المشاهد أكثر من أي شيء آخر، و لا تتناول في الغالب إلا جانباً من جوانب الحياة يتلاءم مع نوق الأديب. فإذا كان الرحالة أديباً مثلاً اقتصر على ذكر الأدباء المشهورين و تصوير الحياة الأدبية في تلك البلاد،

و إذا كان مؤرخاً اهتم بنكر الجوانب التاريخية و كل ما يمت بصلة إلى ماضي تلك البلاد. و هذا لا يعطي صورة متكاملة عن المجتمع و الحياة، و العلاقات و أنماط السلوك السائدة، و العادات و التقاليد وغيرها من الأمور المهمة في أدب الرحلة.

ثانياً: ينبه الشيخ الندوي أيضاً إلى ضرورة التسجيل المباشر للأحداث و المشاهدات من قبل الأديب لتبقى المشاعر و الانطباعات حية في الذاكرة. لأنه إذا مر عليها زمان و لم تسجل فستفقد حيويتها و صدقها، فالأحداث و المواقف أشبه بالظلال و الأمواج لا تنون و لا تبقى في الذهن، و لا يستطيع الأديب أن يستعرضها بدقة و عناية بعد مرور فترة من الزمن، و لا يستطيع أن يستعيد ما شعر به، و ما ترك الحادث فيه من أثر نفسي.

ثالثاً: و يؤكد الشيخ الندوي دائماً أهمية ظهور ذات الأديب و شخصيته في أدب الرحلة، فلا بد أن يعكس عاطفته و عقيدته في عمله، لأن هذا العمل إذا تجرد من العاطفة و العقيدة و المشاعر تحول إلى آلة تصوير باردة تؤثر في النفس، و لا تصلح للبقاء و سنقف الآن عند كتابين في أدب الرحلات طبق فيهما الشيخ هذه الآراء وفق رؤيته الإسلامية للأدب و هما كتاب مذكرات سائح في الشرق العربي، و كتاب أسبوعان في المغرب الأقصى.

١ - مذكرات سائح في الشرق العربي:

خرج الشيخ الندوي سنة ١٩٥١م في رحلة إلى بلدان المشرق العربي ليدرس أوضاع هذه البلدان الدينية و العلمية و الاجتماعية، و ليستفيد من تجارب علمائها و رجالاتها، و ليعرف ببلاده شبه القارة الهندية و تجربة الدعوة و الإصلاح فيها. و قد حرص في هذه الرحلة - كما نكر - على تسجيل كل حديث، و كل

انطباع في يومه غالباً، و أن يتحرى الدقة في النقل، و الصحة في الرواية، هذا فضلاً عن حرصه على تصوير المجتمع بنظرة متكاملة، و إبراز شخصيته و مشاعره و افكاره و ما يجول في خاطره حول كل حاث و موقف عاشه أثناء الرحلة، و قد تميز هذا الكتاب بجملة من الخصائص الفكرية و الأسلوبية تتمثل فيما يأتي:

أولاً: إن قارئ هذه المذكرات يدرك أن كاتبها حريص على رسم صورة متكاملة الجوانب للمجتمع الذي عايشه في تلك المرحلة من حياته. و يستطيع القارئ أن يأخذ فكرة واسعة عن الحياة الفكرية و الثقافية و السياسية و الاجتماعية، و أن يعرف التيارات الثقافية، و المستويات الحضارية لتلك المجتمعات المتنوعة، مما يعطي هذا العمل قيمة تاريخية و حضارية مهمة فضلاً عن القيمة الأدبية و الفكرية التي أكسبته طابعه المتميز.

و الدارس لهذه المذكرات يلاحظ اهتماماً كبيراً بالجوانب الدعوية و الأدبية، لعلاقتها المباشرة بشخصية الكاتب، فهو رجل يحمل رسالة فكرية حضارية و يعيش الهم الإسلامي، و يحس و يشعر بالأم المسلمين و مشكلاتهم في هذه البلدان التي زارها، و هو من ثم رجل فكرة و دعوة يريد التعبير عن مشاعره و تجسيد عقيدته بجلأ و وضوح في هذا العمل، و هو الأمر الذي طالما اكده في نظراته النقدية لأدب الرحلات.

و يمكن إجمال القضايا المعروضة في المذكرات هذه في فكرة واحدة و هي أن الشيخ الندوي يتألم للواقع الإسلامي المؤسف بمستوياته المختلفة، فهناك أزمة حضارية في البلاد العربية، و السبب يعود إلى تفسخ في الأخلاق، و استبداد في الحكومات، و الاستقصابات الحزبية في السياسة، و انصراف بالكلية عن الدين، و عبادة المادة.

عند ممتاز

ولا سبيل إلى التحضر إلا بوجود الشعور الديني الصحيح القوي في الشعب. ولا يكون هذا إلا عن طريق الدعوة العامة، والاتصال بالشعب وتربيته الدينية وإيجاد الوعي في طبقاته ثم في الجمع بين العلم الديني والمعارف العصرية.

ويؤكد الشيخ الندوي أن استعادة روح التحضر إلى المجتمعات الإسلامية لا يمكن أن تكون إلا بالجمع بين العاطفة القوية، والعقل الصحيح، أي بتحقيق شروط الإقتناع التام لقوى النفس المسلمة لتتولد لديها الإرادة الكافية للانطلاق نحو العمل والحركة والإبداع.

ومما يجنب الانتباه في هذه المنكرات اهتمام الشيخ الندوي بموضوع أسلمة الأدب، وضرورة قيام جبهة قوية ضد الأدب المنحرف الذي أثر تأثيراً سيئاً في الأمة وأسهم في إفساد الطبائع والأخلاق، وشارك مشاركة أكيدة في تردي الأمة الحضاري.

ثانياً: تميز أسلوب الكاتب في هذه المنكرات بوضوح العبارة، وسلامة الألفاظ، ودقة المعاني. فالكاتب كما يظهر يحب لاسترسال في الكتابة مع البعد عن التكلف والتصنع مما أكسب كتابه أسلوباً يجمع بين الفائدة والمتعة، وقد جاء الكتاب وكأنه قطعة من مؤلفه، فالأسلوب هو الرجل كما قرر النقاد، ويكفيك أن تقرأ هذا الكتاب لتعرف جوانب كثيرة من شخصية كاتبه، ومنهجه في الكتابة الأدبية.

ب - أسبوعان في المغرب الأقصى:

قام الشيخ أبو الحسن الندوي برحلة إلى المغرب الأقصى سنة ١٩٧٦م لحضور مؤتمر حول الجامعات الإسلامية، وكان أن قضى أياماً زار خلالها مناطق من هذا البلد الجميل، واطلع على آثاره ومكتباته، وتعرف على شعبه

و علمائه، و كتب هذه المذكرات معبراً فيها عن مشاعره و انطباعاته بأسلوب جميل بليغ.

يغلب على هذه المذكرات الطابع التاريخي، غير أن كاتبها حريص على تسجيل انطباعاته عند كل مشهد أو موقف يتعرض له، فجاء الكتاب مصوراً لجوانب من الحياة بمستوياتها المختلفة في هذا البلد الإسلامي، و معبراً عن شخصية الكاتب الذي ينطلق دائماً من فكره و عقيدته و عاطفته الإسلامية حين يتعامل مع الأشخاص أو الأفكار أو الأشياء.

و يرى كاتب هذه المذكرات أن أكبر ما يعانيه العالم الإسلامي من الفراغ و العوز و اشد ما يقاسيه من ازمات، هو الضعف الإيماني و الفساد الخلقي و التزعزع العقدي، يقول: "ألقى نظرة على العالم الإسلامي و انظر ماذا يعوزه، إنه غني بكل شيء، بعدد أفراد، و بوسائله و بثرواته، و بثقافته و بذكائه، ولكنه على الرغم من ذلك كله لا يملك ثقلًا في الميزان العالمي، و لا دوراً مؤثراً في اتجاهات العالم و أوضاعه و حوادثه، و الازمة الإيمانية هي سبب هذا التراجع الحضاري".

و يدعو الشيخ النحوي إلى ضرورة التمسك بقيم الحضارة الإسلامية، و طابع الأمة الخاص، و الاستفادة من الحضارة الغربية في مجالاتها الإيجابية و تجاربها المفيدة التي تتفق مع تعاليم الإسلام، كي يعود للأمة عزّها و مكانتها في العالم.

و يبقى أن نشير إلى أن هذه المذكرات كتب بأسلوب جميل مؤثر، على الرغم من ترجمتها من الأردية إلى العربية.

في النقد الأدبي

١ - التاصيل الإسلامي للنقد:

قبل الحديث عن آراء الشيخ الندوي النقدية التي شملت موضوعات أدبية متنوعة، لا بد من الحديث عن أهمية النقد في ظل المفهوم الإسلامي الشامل، وهي أهمية لها خصوصيتها ومذاقها المتميز من زاوية أن الإسلام وضع مقاييس لعملية الإبداع، كما أن وضع مقاييس لتقويم هذه العملية وفق التصور العام الذي تجتمع فيه قيم الخير و الحق و الجمال كما هو مفصل في كتاب الله، وكما بينته السنة النبوية الشريفة.

و لا نريد أن نقف عند تفسير المفاهيم الكثيرة حول كلمة نقد، و هل النقد علم أم فن؟ و يكفينا القول إن النقد وسيلة تقويمية للأدب و الفن، و سواء قام هذا التقويم على قواعد علمية أو على مجرد الذوق و التأثر و الانفعال، فإن الغاية من النقد هي التقويم الإيجابي لعملية الإبداع الأدبي، لأن العلاقة بين الأدب و النقد علاقة تكاملية، يوجد كل واحد منهما الآخر، و يسهم كل منهما في تطوير الآخر، و مع خصوصية كل من الأدب و النقد في الوسائل المستخدمة إلا أن الغايات و الأهداف قد تكون واحدة عند خطاب المتلقى، و بخاصة عند أولئك الذين يعدون النقد فناً يساهم في تربية الذوق السليم لدى الإنسان و تنميته، و الأخذ بيده نحو معرفة عناصر الكمال و الجمال في فنون الأدب على اختلاف أشكالها.

و النقد في أيامنا هذه أصبحت له قواعده و مناهجه الخاصة، و أصبح له جمهوره العريض. و قد تفنن الغربيون في تطوير نظرياته حتى أصبح ما أنجزوه في ذلك مثلاً أعلى عند بعض النقاد العرب و المسلمين يستمدون منه آراءهم،

و يقلبونه حذو الحافر بالحافر، مما ولد ظواهر نقدية غريبة في الساحة الثقافية.

وقد كان تلقيب هؤلاء النقاد بلقطاء الموائد الغربية عند بعض الدارسين نتيجة للأخطار التي يتعرض لها الأدب الإسلامي بفعل الأفكار التخريبية التي يروجها دعاة التغريب و التي ظهرت ملامحها منذ بدايات هذا القرن عند أدباء وكتاب من أمثال طه حسين و سلامة موسى و لويس عوض وغيرهم.

إن الآثار السلبية لمدارس النقد الغربي في النقد العربي الإسلامي امر جلي يلاحظه كل ممارس و متابع لاحوال الحركة النقدية في مسيرتها المعاصرة، و قد أشار إلى هذه الإشكالية بعض النقاد منهم سيد قطب و نجيب الكيلاني رحمهما الله، و قد تنبه أيضاً إلى ذلك الشيخ الندوي منذ وقت مبكر حين دعا دعوة صريحة إلى ضرورة التحرر من رق الفلسفات الغربية، و الحضارة العصرية و نظرياتها غير الدينية.

وما تنبغي الإشارة إليه أن النقد الغربي في عمومهِ أصبح لا يقيم وزناً للقيم الخلقية في الفن و الأدب، حيث أن الاهتمام بالقيم الجمالية سيطر على أغلب الرؤى النقدية، و لذلك أصبحت المعايير الخلقية و الدينية و المضامين الفكرية، غير ذات مغزى للعمل الفني، و أصبحت مهمة الناقد هي تفسير الاشكال الادبية بالدرجة الاولى، و ليس الحكم على المضمون بالجودة أو الرداءة. و مثل هذه الاحكام النقدية التي تأثر بها الكثير من أبنائنا و نقادنا، و بخاصة عند دعاة الحداثة بمفهومها التغربي كما هو رائج هذه الايام في أسواق الدعاية و الإعلام، قد ظهر خطرُها الجسيم على الفكر الإسلامي، و على الأدب الجاد، و على مستقبل الثقافة الذاتية التي هي الحصن الحصين الحافظ لهويتنا الإسلامية و وجودنا الحضاري.

عدد ممتاز

وقد ظهرت مثل هذه الدعوات النقدية الرامية إلى استبعاد القيم الخلقية عند طه حسين حين قال: "الكلام لا يكون أدباً حتى يكون فيه هذا الجمال الذي تجده فيما تنتجه الفنون الجميلة الأخرى، وليكن موضوع الأدب بعد ذلك ما يكون، وليكن موضوعه جميلاً أو قبيحاً، محبباً أو بغيضاً، فليس يعنيني من الأدب إلا ما يحدث في نفسي ما يحدثه الأثر الفني من الشعور بالجمال، فالجمال مقياس أساسي للحكم على الأدب، وحيثما وجد الجمال في الكلام كان الأدب، وحيثما خلا الكلام من هذا الجمال كان ما شئت أن يكون".

والمعايير الجمالية التي ينطلق منها النقاد الغربيون ومن سار في فلكهم من نقادنا المعاصرين في فهم الأعمال الأدبية و تنوعها معايير قلقة لا تثبت على مبدأ، ولا يمكن الاتفاق عليها دون الرجوع إلى ثوابت فكرية، إذ للجمال مقاييس مختلفة تحدها الديانات الإلهية، والفلسفات البشرية، والثقافات المتباينة. وعلى هذا الأساس من التنوع الجمالي تنشأ الأفكار كما يقول المفكر الإسلامي مالك بن نبي، وتتباين الثقافات التي تطبع كل حضارة من الحضارات بطابع مميز.

فالجمال لا بد له من مرجعية، وتتمثل مثل هذه المرجعية أساساً في قاعدة فكرية محددة. ومع أن الجمال أحد العناصر التي يقوم عليها الأدب، إلا أنه أيضاً أحد مرتكزات العملية النقدية التي تساعد على فهم النصوص الأدبية وتفسيرها، ولكن يبقى الجمال عنصراً حيويّاً من عناصر أخرى كثيرة لها حضورها الدائم في عملية الإبداع الأدبي وما قد يثار حولها من أحكام نقدية.

إن الحاجة إلى تأصيل النقد وفق هذه المعطيات أصبحت ضرورة ملحة في هذه الأيام، وذلك لبلورة نظرية نقدية إسلامية تقف في وجه النظريات

الغربية، وتسهم في تقويم الأدب المنحرف المنتشر في الساحة الفنية والأدبية، وتواكب مسيرة الأدب الإسلامي الذي خطا خطوات راسخة في الربع الأخير من هذا القرن. ومهما كانت قلة مصادر النقد الأدبي الإسلامي فإنها بلاشك ستسهم - بتوافرها في قادم الأيام - في إزالة الشبهات المترسبة في أذهان كثير من أبناء الأمة الإسلامية فتتضح الصورة الصافية للأدب الجاد، والنقد الملتزم.

وعلى الرغم من الجهود القيمة التي قدمها بعض المفكرين المعاصرين مثل سيد قطب، وأبي الحسن الندوي، ونجيب الكيلاني، وعماد الدين خليل وغيرهم، لتأصيل خصائص المذهب الإسلامي في الأدب والنقد، إلا أن الطريق مازال طويلاً، وهذا ما أشار إليه الشيخ الندوي في بعض كتبه حين دعا في عمق إيجاز إلى النقد الإيجابي الذي ينبغي أن يحرر الطبقة المثقفة في العالم الإسلامي من أفكار المستشرقين وغيرهم من أصحاب النظريات الغربية، قال: "أما بدون الجمع بين هذا العمل الإيجابي الذي يقتضي تأليف كتب تحليلية، وأبحاث عميقة حول المواضيع الإسلامية مع الإحالة إلى المصادر بضبط وإتقان، والفهارس المفصلة المفيدة المتنوعة، (وذلك كله مما يعد من خصائص المستشرقين)، والإفادة من مواد لم تستخدم بعد، وكتب ومطال لا يتبادر إليها الذهن، وليست في صميم الموضوع ولا من التاريخ الرسمي الذي يدور حول البلاط والأسر الحاكمة والحروب والحوادث الجسيمة، وكل ذلك مع تحرر للدقة والوجازة والبعد عن التعميق والاستطراد، وبين العمل العلمي وهو المحاسبة العلمية في أسلوب علمي نزيه، وكلام وقور رزين، ولفظ موزون، بعيد عن التهكم والتعنت، والتجني والافتراض، فإن كل ذلك يفقد النقد قيمته العلمية ووقعه النفسي، وبدون الجمع بين هذا وذاك لا تتحرر الطبقة المثقفة في العالم الإسلامي من تأثير المستشرقين المسمومة، وسيطرتهم العلمية".

فبمثل هذا العمل الإيجابي الجاد الذي يحرص الشيخ على أن يتبناه أهل الاختصاص، يمكن تأصيل الفن الإسلامي بعامة، و بلورة رؤية نقدية إسلامية تعيد للنقد أثره الإيجابي في الحياة، وتزيل الغشاوة والاضطراب اللذين أحدثهما النقد الغربي بمدارسه المتباينة، وبأفكار رواده المتناقضة، وبآراء مستشرقيه المشوشة. فمنطق الفكرة الإسلامية في ميدان الفنون قائم على أسس التصور الإسلامي الذي لا يعرف سوى الإيجابية والفاعلية في الحياة، وينأى عن العبث والفوضوية والعدمية والإفلاس وما إلى ذلك.

فالفن الإسلامي - كما أصله الدكتور عماد الدين خليل - يأبى الانحراف ممثلاً في تأليه الإنسان (كلاسيكياً)، وإغراقه الذاتي الأناني (رومانسياً)، وتمجيد لحظات الضعف البشري (واقعاً)، وتصوير الانحراف الفكري أو النفسي أو الأخلاقي (وجودياً)، فليس ثمة عبث ولا جدوى كما يرى ألبرت كامو، وليس ثمة لا معقولية للحياة والوجود كما يرى كافكا، وليس ثمة حرية أخلاقية مطلقة من كل قيد كما يرى سارتر، ذلك أن الفن الإسلامي يستمد تجاربه الباطنية من خلال الحقيقة لا الزيف، ومن الاستقامة لا الانحراف، فللوجود غاية [أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون] (المؤمنون: ١٥٥)، ولكدح الإنسان جدوى [يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه] (الانشقاق: ٦)، وللحياة معقولية لأنها صمرت عن إرادة الله التي لا ياتنها الباطل من بين يديها ولا من خلفها.

٢ - وظيفة النقد الإسلامي:

إن النقد في الرؤية الإسلامية الشاملة رسالة تعليمية وتوجيهية، وهو شريك الأدب والفن بنحو عام في بناء الذوق السليم وتربيته لدى الناس، وتزويدهم بالغذاء الفكري والروحي، وإشراكهم في المتعة النظيفة، وإخالهم

في عالم الافكار الموجهة للطاقت نحو الخير في المجتمع، و المفجرة للقوى المؤمنة برسالة الحق و الخير و الجمال، في سبيل تأدية وظيفتها الحضارية الإيمانية في زمن سيطرت فيه الفلسفات المادية، و المذنيات الوضعية.

فالنقد في الرؤية الإسلامية نقد ملتزم، و هذا الالتزام نابع من تصور الناقد المسلم و ثقافته و تميزه الحضاري. و النقد ليس غاية في حد ذاته، بل هو وسيلة يُلَجَّؤُ إليها لتقويم الأدب و الفن و جعلهما في خدمة الرسالة الإلهية. و النقد الإسلامي الملتزم يسعى – كالأدب الإسلامي – إلى أن تسود الإيجابية و الفاعلية في الحياة، و يعمل على تقويم السلوك الإنساني وفق التصور الإسلامي، و من هنا يأتي تميز المفهوم الإسلامي من المفاهيم النقدية الأخرى.

و مع وضوح الرؤية النقدية الإسلامية في مبادئها النظرية العامة، إلّا أن النقد التطبيقي الإسلامي الذي يتناول الأعمال الأدبية المتنوعة بهذه الرؤية هو الذي ينبغي أن يتحقق سريعاً و بقوة و كفاءة لإزالة الشبهات المطروحة في الطريق، و توضيح معالم النظرية النقدية الإسلامية، و كشف العيوب و المزالق التي تقدمها النظريات الغربية، بالمنهج العلمي المؤصل، و هذا ما أشار إليه الشيخ الندوي حين دعا إلى النقد الإسلامي العلمي الذي يحسن التعامل مع النظريات الغربية الخطيرة على العقيدة و السلوك، قال: "لقد مضى علينا قرن كامل و أوربا تغتصب شبابنا و عقولنا، و تنبت في عقولنا الشك و الإلحاد و النفاق، و عدم الثقة بالحقائق الإيمانية و الغيبية، و الإيمان بالفلسفات الجديدة الاقتصادية و السياسية، و نحن معرضون عن مقاومتها، معتمدون على ما عندنا من تراث، مضربون عن الإنتاج الجديد، معرضون عن فلسفتها و نظمها و محاسبتها محاسبة علمية، و نقدها و تشريحها كتشريح الأطباء الجراحين، متعللون بالبحوث السطحية المستعجلة، و بالزيادة في ثروتنا العلمية القيمة،

حتى فوجئنا في العصر الأخير بانھیار العالم الإسلامي في الإيمان و العقيدة، و ملك زمام الامور في البلاد الإسلامية جیل لا یؤمن بمبادئ الإسلام و عقیدته. و فضلاً عما ذكره الشيخ الندوي عن وظيفة النقد الإسلامي المنتظرة منه، فإن الرسالة الكبرى هي تصحيح الخطأ الذي وقع فيه النقد الحديث حين تحول في كثير من المواقف إلى نوع مقیت من الدعاية و الإعلام، و أصبح ميداناً للجدال المذموم، یبيح تشويه القيم، و انحراف السلوك. و قد غلبت عليه هذه الصفات السلبية حتى ضاع الكثير من القيم الجمالية و الاخلاقية من جراء الصداقات و التشرنم، و سيطرة القيم المادية في مجالات الادب المختلفة و بخاصة في السينما و المسرح.

٣ - صفات الناقد المسلم:

نكر في السابق ان النقد الإسلامي رسالة تعليمية و توجيهية، و هو في تكامله مع الادب الإسلامي ضرورة حياتية في المجتمع الإسلامي، فهما مثل الروافد المائية النظيفة التي تمد النهر بالغذاء و الماء و الاستمرارية. و لتحقيق هذه الغاية السامية لا بد من وجود الادیب المسلم بالدرجة الأولى، ثم الناقد الامین الذي يستطيع أن يقوم بواجبه، و يؤدي وظيفته حارساً لقيم المجتمع المسلم، و یزوق طعمها الطيب في حضارة الاجداد، و تقديمه للرؤی ایمانية المقومة للسلوك المعوج، و منح الإنسان التوازن الروحي و المادي، و التصور الصحيح عن حقيقة وجوده و مهمته في الحياة.

و لنتساءل: ما الشروط التي من شأنها إيجاد هذا النوع من النقاد، و تشكيل هذه الرؤیة الإيجابية لیه؟ و هذا هو الجانب الذي نبه إليه الشيخ الندوي في بعض كتبه، إذ حدّد شروطاً واضحةً لناقد الادب تجمع بين

الخصائص الذاتية و المهارات الموضوعية. فالناقد الأدبي في حاجة إلى الشجاعة و الصبر و الاحتمال، فضلاً عن رحابة الصدر، وسعة النظر. و فضلاً عن ذلك كله ينبغي ألا يكون ضيق التفكير جامداً متعصباً لفهمه للأدب متعصباً لبلد أو لطبقة أو لعصر، بل يجب أن يكون حر التفكير، واسع الأفق، بعيد النظر، متطلعاً إلى الدراسة و التجربة، واسع الاطلاع على الكنوز القيمة.

و مثل هذه الصفات التي يركز عليها الشيخ الندوي في غاية الأهمية في النقد الإسلامي، و لعل الشيخ – في حدود علمنا – هو أول من أشار إلى هذه الصفات الجامعة بين الاستعدادات الذاتية – مثل الشجاعة و الصبر و رحابة الصدر – و الموضوعية العلمية مثل سعة الاطلاع، و حرية التفكير، و عدم التعصب، و التجربة، و هي صفات من شأنها – إن توافرت في ناقد موهوب – بلورة رؤية نقدية سليمة تسهم في بناء الأدب و تطويره، و تشكيل النوق السليم لدى المتلقي، و ذلك يمدّه بما يحتاج من قيم جمالية و فكرية و اخلاقية.

و قد جرت العادة عند نقاد الأدب – كما هو شائع بين الدراسين – على في التركيز على الصفات المتعلقة بعملية النقد، و ذلك بالإشارة إلى التجرد التام من الالتزام، و التعامل مع العمل الأدبي في شكله بالدرجة الأولى، ثم مضمونه، دون أن يكون للناقد أي أثر في فهم هذا المضمون و توجيهه وفق المبادئ التي يؤمن بها، إذ الالتزام – كما يزعمون – يقيّد حرية الأديب و الناقد على حد سواء.

و إيمان الشيخ العميق برسالة الناقد المسلم يندرج ضمن إيمانه بالرسالة الكبرى التي تنتظر المسلم في الحياة، و هي رسالة الدعوة إلى الله التي صداها في جل كتابات الشيخ، فقد ملأت قلبه و روحه، و أخذت مساحة كبيرة من فكره و عقله. فكثيراً ما عبر عن الحاجة إلى رجال ينقطعون إلى الدعوة، و يقفون لها

علمهم و مواهبهم و كفايتهم، و لا يطمعون في منصب أو جاه أو وظيفة أو حكومة، و لا يحملون لأحد حقداً، ينفعون و لا ينتفعون، و يعطون و لا ياخذون.

٤ - النقد وسيلة و ليس غاية:

إن إزالة اللبس و الخلط اللذين قد يقع فيهما كثير من دارسي الأدب و النقد في تحديد هوية فن أو علم من حيث هو وسيلة أو غاية، قضية ذات أهمية كبيرة، و خاصة في الرؤية الإسلامية التي تفرق في نظرتها المطردة بين الوسائل و الغايات، و تتعدّ التفريق بينهما ضرورياً و مهماً منذ البداية لوجود الضوابط الشرعية و العقيدية التي تُعني بهذا الأمر عند الحديث عن أية حركة أو سلوك إنساني في الحياة. و لذلك كان من واجب الأدباء و النقاد و المفكرين المسلمين تحديد هوية النقد الإسلامي بقده وسيلة فنية و علمية يُلجأ إليها لأداء غايات سامية في المجتمع، و يردون بذلك على أولئك الداعين إلى النقد غاية في حد ذاته، و اعتباره فناً من الفنون التي يأتي التعبير عنا بحرية مطلقة لتكون إحدى غايات الإبداع.

و قد أشار الشيخ النووي - و هو الأديب المسلم، و الناقد الملتزم - إلى هذه القضية معتبراً أن الفنون جميعها وسائل ينبغي أن يكون هدفها بعث الحياة و الروح المتجددة في النفوس الخاملة، و القلوب الجامدة، و هي غاية حضارية تميز رغبة الشيخ و طموحه الغامر بالتفاؤل، الحريص دائماً على إعادة الأمة الإسلامية إلى مركز القيادة و السيادة كما نكر في كتابه الطريق إلى السعادة و القيادة للدول و المجتمعات الإسلامية الحرة، فقد قال بجلاء و وضوح: "الحقيقة أن الأدب و الشعر، و الفنون الجميلة، و الحكمة و الفلسفة، و التأليف و التصنيف، ليس من وراء كل ذلك إلا غرض واحد، و هو أن تتولد في صاحبه

حياة جديدة، و إيمان جديد، و بالتالي في الأمة الإسلامية التي هو عضو فيها، و المجتمع الذي هو جزء منه".

و تُعدُّ نظرية "الفن للفن" الرائجة في النقد الغربي المعاصر من أبرز النظريات التي تجعل الإبداع الفني و النقد مستقلين عن الغايات العلمية، و القيم الخلقية، و لذلك قال كروتشه (Croce): "إن القيم الأخلاقية أيضا يجب ألا تكون لها أهمية عند تقويمنا للعمل الفني و تذوقنا له، فنحن في نقدنا للعمل الفني لا نعيب على الموضوع ذاته، بل الطريقة التي يعالج بها الكاتب ذلك الموضوع، و إذا كان التعبير الفني كاملاً فلا يهملنا الموضوع".

فالفن عندهم ليس له غاية، و لا اعتبار بعد ذلك للقيم الأخلاقية و الاجتماعية و العملية إذا كان الهدف هو التقويم الصحيح للعمل الفني، و هذا مخالف تماماً للنظرية النقدية الإسلامية التي تجعل الفنون و الآداب و الأبحاث النقدية وسائل في خدمة الأفكار و التصورات و المبادئ الدينية و الأخلاقية.

٥ - القيم و أثرها في النقد الإسلامي:

عند الحديث عن القيم و مسألة حضورها في النقد بنحو عام، و في النقد الإسلامي على وجه الخصوص، لابد من الإشارة إلى أن هذا الموضوع له وجود قوي في الأفكار و الفلسفات المتعلقة بتطور المجتمعات عند كثير من المفكرين الغربيين و المسلمين، ذلك أن قضية القيم ذات علاقة مباشرة بالمجالات الروحية و الثقافية و السياسية و الاقتصادية، وغيرها من مجالات الحياة الحيوية. و لا نريد في هذا المقام التفصيل في هذا الموضوع، إذ نحن ملتزمون بالحديث عن نظرية النقد الإسلامية كما جاءت ملامحها في كتابات الشيخ النحوي، و لكن نشير إلى أن الإشكالية التي يعرض لها بعض المفكرين

الغربيين خاصة، و المتمثلة في وحدة منظومة الحضارة الغربية، و أنه لا يمكن رفض فكرها المادي و قيمها الخلقية النفعية و الأخذ بتقنياتها العلمية فقط، و أنه إذا المسلمون التقدم العلمي و الصناعي من منظومة الحضارة الغربية، فلا بد لهم من الانخلاع عن شخصيتهم الحضارية، و قيمهم الروحية و الخلقية، و الانسماج كلياً في بوتقة الحضارة الغربية، إذ ليس بإمكانهم القيام بعملية انتقائية، لأن غياب القيم التي ولدت العلم و الصناعة المتقدمة سيحول دون الإنجاز المطلوب.

و في مجال النقد النظري رفض علماء اجتماع كبار منهم ماكس فيبر فكرة وجود علاقة مباشرة بين البنية الاقتصادية التحتية و البنية الثقافية الفوقية، و ليس هذا فحسب بل رفض فكرة وجوه هذه العلاقة. و هو يشير إلى أن الطبيعة الوراثية للمؤسسات السياسية الإسلامية هي التي أعاقَت ظهور المقدمات الضرورية للرأسمالية، و بالأخص القانون العقلاني، و سوق العمالة الحرة، و الممن المستقلة، و الاقتصاد النقدي، و الطبيعة البرجوازية.

فالقيم الإسلامية – في نظر فيبر وغيره – هي المعوقات الأساسية للنمو الحضاري في البلاد الإسلامية، و خاصة في الجوانب المادية و الاقتصادية، و هذا أمر يرفضه الواقع التاريخي للأمة الإسلامية، و ترفضه تجارب العصر الحاضر، عند بعض الدول كاليابان و دول شرق آسيا الناهضة، و هي متمسكة بقيمها الأخلاقية و الثقافية، و لعل الانقسام بين الأمة و القيم الإسلامية هو أبرز عوامل التخلف كما يرى المفكرون المسلمون المنصفون، و منهم الشيخ النحوي الذي تناول هذا الموضوع في جل كتاباته، و ما من مناسبة أو حديث إلّا و تجد له دفاعاً قوياً عن القيم و الأخلاق و المبادئ الإسلامية التي هي جوهر المسلم و شخصيته و تميّزه الحضاري.

يقول الشيخ الندوي عن أثر النظام التعليمي الغربي بمناهجه المضللة، و افكاره المقصية للقيم الإيجابية، وقد طُبق في الأقطار الإسلامية: "قد اتفقت كلمة العقلاء و أهل التجربة، على أن خسر الأمة و البلاد في هذا النظام التعليمي، و في هذه المعاهد و دور التعليم الحديث كانت أكبر من ربحها، فقد استنفدت دعاة التعليم العصري الحديث جهودهم و أموال المسلمين في إنشاء هذه المدارس و إقامتها، و استخلصوا لها أفلاذ أكباد المسلمين و خيرة شبابهم، فكان غاية ذلك بعد مدة قليلة فوضى فكرية هائلة، و اضطراب و تناقض في الافكار و الآراء، و شك و ارتياب في الدين و استخفاف بفرائضه و واجباته، و ثورة على الآداب و الأخلاق، و ضعف و انحطاط في الأخلاق و السيرة، و تقليد للأجانب في القشور و الظواهر".

و مسألة المناهج التربوية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالنقد و وظيفته الضرورية في تمحيص المواد، و اختبار النصوص، و بلورة المفاهيم و تقويمها وفق المنهج الإسلامي، و نقدها بميزان القيم الروحية و المبادئ الأخلاقية المشكّلة لثقافة الأمة. و هذا ما جعل الشيخ الندوي يشير إلى ضرورة وضع مناهج للتعليم الإسلامي تقوم على النقد الإسلامي للعلوم و الكتب الذي شاد بنيانه علماء المسلمين، و يجب أن تدوّن هذه العلوم من جديد تدويناً إسلامياً، و تؤلف فيها كتب مبتكرة، و تشبع بالروح الدينية، و تستخرج منها نتائج لا تعارض الدين.

و يقول عن وظيفة النقد المؤصل في التربية و التعليم: "و الحاصل أننا في البلاد الإسلامية في حاجة ملحة إلى نظام تعليمي إسلامي في الروح و الوضع، و السبك و الترتيب، لا يخلو كتاب من الكتب التي تعلم مبادئ اللغة إلى آخر كتاب يدرس في العلوم الطبيعية أو الآداب الإنجليزية من روح الدين

عبد ممتاز

و الإيمان، هذا إذا أردنا أن ينشأ جيل جديد يفكر بالعقل الإسلامي، و يكتب بقلم مسلم".

و حين تحدث عن الإسلام و الحضارة الإنسانية دعا إلى القيام بدراسة نقدية عميقة لتاريخ الشعوب و الأمم و البلاد و المجتمعات، و ذلك لمعرفة خصائص الحضارة الإسلامية، للاهتمام بها في تغيير العقيدة و إصلاحها، و القضاء على آثار الجاهلية و الفلسفات و الوثنية و التقاليد الموروثة، و تحويل تيارات الفكر من وجهة إلى وجهة، و التغيير الثوري في القيم و المثل.

أما عن الوظيفة المنتظرة من الأمة الإسلامية للتأثير في الحضارة الإنسانية و توجيهها اليوم فلن يتحقق إلا بالإيمان العميق بالشخصية المميزة للحضارة الإسلامية، و رسالتها المستمدة من الهداية الربانية التي جاء بها الوحي، و التعاليم النبوية المستفادة من السنة، ثم بالابتعاد عن قيم الحضارة الغربية التي تتحكم فيها المادية، و يسود في روحها العداء للدين، و الثورة على الأخلاق و القيم.

ثم يستشهد بموقف الشاعر الإسلامي الكبير العلامة محمد إقبال من الحضارة الغربية حيث قال: "إن روح هذه المدنية ما عادت عفيفة طاهرة".

ولن تتحقق هذه الوظيفة أو المهمة إلا بالقضاء على الازمة الروحية و الأخلاقية داخل جسم الأمة الإسلامية، و قد عبر عن ذلك في كتابه ربانية لارهبانية حيث قال: "انظر إلى بلاد ضعفت فيها الدعوة إلى الله و الربانية، و تزكية النفوس من زمان، و ندر فيها وجود الدعاة إلى الله، و تجديد الصلة بالله و إصلاح الباطن، بنفوذ الحضارة الغربية أو للقرب من مركزها، أو بفعل عوامل أخرى، إنك تشعر فيها بفراغ هائل لا يملؤه التبحر في العلم، و لا التعمق في

التفكير، ولا فضل من نكاء، ولا غنى من أئب، ولا نسب قريب بلغة الكتاب والسنة، ولا نعمة، من استقلال، إنها أزمة روحية و خلقية لا علاج لها، ومشكلة من أدق مشكلات المجتمع لا حل لها... ولا علاج لكل ذلك إلا في التزكية النبوية التي نطق بها القرآن، و بعث لها الرسول، و في الربانيّة التي طوّل بها علماء[و لكن كونوا ربّانيين بما كنتم تعلّمون الكتاب و بما كنتم تدرسون] (آل عمران: ٧٩).

إن اهتمام الشيخ الندوي بالقيم الأخلاقية و المبادئ الإسلامية لكونها تحمل أبعاداً واسعة في حياة الفرد المسلم بالدرجة الأولى، و في حياة الأمة الإسلامية الشاهدة على الناس بحضارتها، و بقيمتها و مبادئها الطاهرة، ثم في حياة الإنسانية المتعطشة إلى القيم الروحية، و المثل و الأخلاق، و إلى المبادئ التي تساهم في تقويم البناء المتصدع في صرح الحضارة الحديثة.

و يمتد هذا الاهتمام ليشمل قضايا الأدب و النقد، و هما نشاطان لا ينفصلان عن نشاط المسلم و حركته في الحياة، فالأدب تعبير عن الحياة و الشعور و الوجدان و الأفكار و التصورات و القيم و المبادئ، و النقد هو تقويم الأدب و توجيهه فنياً و جمالياً و فكرياً و خلقياً نحو التطور و البناء و أداء الغاية المنشودة منه في الحياة. و كما أن الأدب لا يمكن تجريده من القيم و المثل و المبادئ التي يؤمن بها الأديب سواء كان هذا الأدب إسلامياً أو غير ذلك من الآداب العالمية، فإن النقد لا يمكن تجريده من القيم و الأخلاق العملية، بدعوى الموضوعية و الحرية، و بحجة أن الناقد فنّان وظيفته الأساسية هي البحث عن الجمال المتجسد في الأشكال الفنية للأعمال الأدبية، أما نقد المضمون فليس من وظيفة النقد في شيء مادام الجمال ماثلاً في الشكل و طريقة التعبير، كما يزعم أصحاب هذا الموقف.

ولعل اهتمام الشيخ الندوي بالابعاد القيمية في سلوك الفرد المسلم، وفي فاعلية المجتمع الإسلامي ونشاطه ومساهماته في المد الحضاري، هو الحكم العام الذي ينبغي أن ينسحب على حركة المسلم في نشاطه الإيجابي في الحياة، وممارسته العملية النقدية والفنية هي من النشاطات الضرورية التي تمنح البقاء والاستمرارية والفاعلية للثقافة الإسلامية، وهي عمل شاق يحتاج إلى القدرة الفنية، وقوة الشخصية لدى الناقد، فضلاً عن الإيمان العميق بالمبادئ والقيم والتصورات الإسلامية التي لا بد أن يكون لها حضور قوي يمنح النقد الإسلامي تميزه وأصالته.

و تتجلى رؤية الشيخ في هذه القضية في المبدأ الواضح الذي يرى فيه أن الإيمان وصفاء النفس، والاشتغال بالله، والعزوف عن الشهوات، يمنح صاحبه صفاء حس، ولطفة نفس، وعذوبة روح، ونفوذاً إلى المعاني الحقيقية، واقتداراً على التعبير البليغ، أي أن القيم الروحية والاخلاقية يحتاجها الأدب الجاد كما يحتاجها النقد الهادف السليم، لحمل الرسالة السماوية السامية، وهي رسالة الإسلام إلى الإنسانية.

وينبّه الشيخ إلى تلك العناصر المهمة التي يجب أن تشغل بال النقاد دائماً وهي أساس المبادئ الخلقية فيقول: "إن أهم عناصر الأدب الإخلاص والصدق، وهما اللذان ظل يتغافل عنهما معظم نقاد الأدب، واللذان يهبان الأدب روحاً وقوة وحيوية، ويجعلانه حقيقة أبدية خالد.

إن هذه القيم التي تشكل العناصر الحيوية في النقد يتغافل عنها كثير من النقاد المتأثرين بالرؤية الغربية في الفن – وخاصة مذهب الفن للفن – التي ترى أن قيمة الفن توجد في ممارستنا له، وليس فيما يقال عن تأثيره في

السلوك، و هذا ما اكّده الاديب الإسلامي الكبير نجيب الكيلاني – رحمه الله – حين قال: "معظم النقاد الجماليين يزعمون أن المعايير الخلقية و الدينية و الفلسفية هي غير ذات مغزى تجاه قيمة العمل الفني، و إذا كان للمحتوي (المضمون) من أهمية فهي في خلود ما يساهم فيه في إطار الانطباع الجمالي العام".

و الرؤية النقدية الإسلامية تؤكد دائماً أن الفن الصحيح هو الذي يهيئ اللقاء الكامل بين الجمال و الحق، فالجمال حقيقة في هذا الكون، و الحق هو ذروة الجمال، و من هنا يلتقيان في القمة التي تلتقي عندهما كل حقائق الوجود.

و هي ترى أيضاً أن القيم هي مقياس الجمال في نظر المسلم، و أن الفكرة الجميلة هي عماد العمل الأدبي، و أن إلغاء مبدأ القيم من حقل الممارسة النقدية يعني السقوط في شراك المذاهب النقدية الغربية التي تحرص دائماً على إبعاد مبدأ القيمة عن العملية النقدية.

و يرى الشيخ النووي أن الجمال و قوة التأثير في العمل الأدبي الناجح يعودان إلى قوة العقيدة و العاطفة، و الالتزام و الإيجابية، فقد اتسمت بعض الكتابات العلمية و الدينية لدى علمائنا القماء بالجمال و البراعة و التأثير، و السبب الكبير في ذلك هو أنها قد كتبت عن عقيدة و عاطفة، و عن فكرة و اقتناع، و عن حماسة و عزم، فضلاً عن تحررها من السجع و البديع. و هذا كله يؤكد الموقف الواضح من مسألة القيم الدينية و المبادئ الأخلاقية التي يجب أن يكون أثرها قوياً في النقد الإسلامي.

نظرات نقدية تطبيقية في الشعر و النثر

أ - في عالم الشعر:

إن الكلمة لمن روح القدس كما يقول المفكر الإسلامي مالك بن نبي رحمه الله، فهي حين تدخل إلى سويداء قلب الإنسان تحوله إلى إنسان ذي مبدأ ورسالة. وقد التزم الشيخ الندوي في حياته الحافلة في مجال الدعوة بقاعدة الجمع بين الإيمان والعمل والعلم، وكان ينظر إلى الكلمة الطيبة – أو ما كان يسميه بالأدب الحي – بوصفها الروح الباعثة للحياة في جسم الأمة الإسلامية، وكانت نظراته الحضارية الإسلامية العميقة في فكره وثقافته هي مقياس التقويم لديه في كل شأن من الشؤون التي تهم المسلمين في هذا العصر.

وقد تميز الشيخ بمواقف نقدية جريئة، ونظرات جديدة إلى الأدب، وخالف كثيراً من النقاد والدارسين الذين اعتادوا أن لا ينظروا إلى الأدب إلا من زاوية الصناعة والفن، ولا يعدون – في غالب الأحوال – إلا أداة تسلية أو آلة طرب، أو طريقة إظهار براعة، أو وسيلة تحقيق مأرب، فالأدب عنده من أكبر الوسائل للوصول إلى الأهداف النبيلة، والتأثير في النفس الإنسانية، والإسهام في بناء الحضارة.

ومن هذا المفهوم الإيجابي للأدب انطلق الشيخ في الدراسة والبحث عن هذا النوع من الأدب الحي في تاريخنا القديم والحديث، فعثر على نماذج رائعة في مجال النشر الفني كان يمكن أن تكون في المكانة الأولى في دراستنا الأدبية، ولكنها أفلتت من نظر المؤلفين والناقدين لأنها لم تدخل في رحاب الأدب المصنوع. وأما في مجال الشعر فقدّم لنا نمونجين أثراً تأثيراً كبيراً في حياته كما يبدو. أما النموذج الأول فهو شعر جلال الدين الرومي، وهو يمثل الجانب التراثي، وأما الثاني فهو شعر محمد إقبال، وهو من الشعراء الذين عاصروهم

و عرف الكثير عنهم. و قد كان للشيخ نظرات نقدية في دراسته لهذين النمونجين كشفت عن ملامح و أهداف إنسانية دقيقة لها قيمة كبيرة في الأدب سنقف عند بعضها في هذا العرض.

مع جلال الدين الرومي

١ - الحب في شعر جلال الدين الرومي:

إن الاهتمام بالتعبير الصادق عن الحب و العاطفة في الأدب، و خاصة في الشعر قد جعل الشيخ الندوي يطلق حُكْمَه النقدي السافر الذي يتحلى في أن الأدب إذا تجرد من العاطفة القوية كان محاكاة أو مضاهاة، فقوة العاطفة هي التي تضيف على الأدب القوة و الخلود و صلاحية الانتشار و الحلول في قرارة النفوس.

والحب من الملامح الإنسانية الرائعة، و هو في تساميه و تجرده من الرغبات و الأهواء البشرية قيمة تدل على الغنى و السمو و الكرامة، و قد حفل شعر جلال الدين الرومي بالحديث عن الحب و عجائبه و تصرفاته و قيمته عند من يعرفه و يدرك معناه، و تبدو نظراته إلى هذه العاطفة الإنسانية – كما فصلها و حدد ملامحها الشيخ الندوي – بكونه جالباً للمعجزات، و قاهراً للاستقام و العلات، و منقذاً لأصحابه من بحر الحياة، و عالماً ماموناً من الآفات و العاهات.

فهو كما يقول الرومي: "يحول المرّ حلواً، و التراب تبراً، و الكد صفاء، و الألم شفاء، و السجن روضة، و السقم نعمة، و القهر رحمة، و هو الذي يلين الحديد، و يذيب الحجر، و يبعث الميت و ينفخ فيه الحياة، و يسود العبد.

و هذا الشعور قد لا يمر بنفوس الغارقين في عالم المادة، لأن ملكهم و دولتهم غير دولة الشاعر: "بارك الله لعبيد المادة و عباد الجسم في ملكهم و أموالهم، لا ننازعهم في شيء، أما نحن فأسارى دولة الحب التي لا تزال و لا تحول".

و الحب سفينة نجاة في بحر الحياة الهائج، فقد رأى شاعرنا ان كثيراً ممن لا يحسنون السباحة قد غرقوا في هذا البحر اللجي، و لكننا ما رأينا سفينة الإيمان و الحب تفرق".

و يكشف الشيخ من هذا النابض بالمشاعر الملتهبة، و الصور الدقيقة، عالم القلب الحي الفائض بالحياة و الحرارة الذي لا بد أن يحتضن هذا الحب ليعيد للإنسان كرامته، أما العقول الباردة، و الغرائز الفانية، فتعجز عن أداء هذه الوظيفة، فقد ذكر الرومي حديث القلب و ماله من مكانة و كرامة في حياة الإنسان، و ما يحويه من عجائب و كنوز، و ذكر أن الإنسان يحمل في جسمه روضة أكلها دائم، و ربيعها قائم، و انه يحمل في نفسه الصغيرة عالماً أوسع من هذا العالم المادي.

٢ - قيمة الإنسان في شعر جلال الدين الرومي:

هذه قضية كبيرة في الآداب العالمية اليوم، و هي تأخذ حيزاً كبيراً من اهتمام الأدباء و النقاد المدافعين عن كرامة الإنسان. و يرى الشيخ الندوي أن قضية التعبير عن قيمة الإنسان و شرفه جاءت بسبب ما أصيب به الإنسان من استهانة بقيمته من قبل الحكومات المستبدة، و الفلسفات الخاطئة، و الأديان المحرفة، و ما نتج عن ذلك من فساد في المجتمع، و مقت شديد للحياة، و قنوط من المستقبل، و رغبة في الفناء، و قد نشأ عن ذلك أدب متشائم ينظر

إلى العالم و إلى الحياة بمنظار أسود، و أصبح الإنسان يستنكف من إنسانيته، و يعتقد أن رقيه في الثورة على الإنسانية.

و في هذا المجتمع العاق و المتبرم من ابنه الشرعي الإنسان، قام جلال الدين الرومي ممثلاً الفكرة الإسلامية الصحيحة ليثير كرامة الإنسان المطمورة في أنقاض الأدب المتشائم، و الشعر المتراجع المنهزم، و بدأ يتغنى بكرامة الإنسانية في حماسة و إيمان و بلاغة حتى دب في المجتمع دبيب الحياة، أصبح الإنسان يشعر بكرامته و حقيقة وجوده، و انطلقت في عالم التصوف موجة جديدة تستحق أن تسمى (الاعتزاز بالإنسانية).

و قد اختار الشيخ الندوي من شعر الرومي نماذج رائعة عرضها في أسلوب جميل، تترجم نظرتة لإيجابية إلى الإنسان، و الذي يرى فيه خلاصة هذا الكون، و مجموع أوصاف العالم، و هو غاية هذا الخلق، لأجله خلق العالم، و هو القطب الذي تدور حوله رحى الكون، تجسيده الكائنات، و قد فرض الله طاعته على جميع الموجودات، و دعاه إلى الاعتراف بقيمته، و الاعتزاز بوجوده، و لا يبيع نفسه رخيصة إلا لأكرم المشتريين، و هو الله تعالت قدرته.

إن الأثر الإيجابي لهذه الأفكار في حياة الإنسان المؤمن بالله تمتد إلى آفاق عريضة، فشعوره أولاً بذاته و قيمة نفسه، ثم الاعتزاز بالإنسباب إلى الله، و الارتباط بكل ما في الوجود، يجعله يحيا عزيز النفس، عالي الرأس، أبيض للضيم، عصياً على النل و الهوان، بعيداً عن الشعور بالتفاهة و العدم و الفراغ، يشعر بأثره و رسالته في الحياة، و أنه يملك شيئاً ذا قيمة يمكن أن يقدمه للآخرين.

وقفه مع إقبال:

كان محمد إقبال - شاعر الإسلام - من أعظم رجال الفكر و الدعوة و الأدب في هذا العصر، فقد جمع في شخصيته بين الفكر الثاقب، و العلم الواسع، و القلب الواعي، و العقيدة القوية الصادقة، و الرؤية الحضارية العميقة.

و قد لا يوجد شاعر معاصر أثراً تأثيراً كبيراً في الشيخ النحوي كما أثر إقبال، بل إن الشيخ نفسه يرى أنه ما من شاعر أو أديب أو كاتب في شبه القارة الهندية إلا و قد تأثر به في قليل أو كثير، و ليس لأحد أن يدعي أنه قد تحرر من هذا الأثر، حتى الذين كان اتجاههم غير اتجاهه أو عكس اتجاهه تماماً، فكّلهم قد خضعوا له من حيث يشعرون، و من حيث لا يشعرون.

و يرى الشيخ أنه ما نال شاعر أوربي في اللغات الحية مثل اللغة الإنجليزية، و الألمانية، و الفرنسية، و الفارسية، و العربية مثل هذا الاهتمام سواء في سيرته أو شاعريته أو مدرسته راجع إلى قوة شخصيته أولاً، و قوة العقيدة ثانياً، و قوة العاطفة ثالثاً.

و يحلل الشيخ هذه العناصر التي منحت القوة و الجاذبية و الجمال لأدب إقبال فيرى أنها في قوة العقيدة عنده، و هي إيمانه العميق بصلاحية الإسلام للخلود، و أنه هو الرسالة الخاتمة المختارة التي تملك إنقاذ الإنسان من برائث الجاهلية، و عبادة الإنسان، و عبادة الشهوات و الأوثان، ثم في إعجابه القوي بشخصية الرسول صلى الله عليه و سلم الفلسفية الواسعة العميقة من التعبير الوجداني المتدفق عن حبه و مبادئه و آماله.

١ - نظرة إقبال إلى الشعر و الأدب:

كان إقبال يعتقد أن الأدب لا يصل إلى حد الإعجاز حتى يستمد حياته وقوته من أعماق القلب، فغاية الأدب أن يبعث في الذات القوة، و يثير فيها الحرارة و العشق و النزوع إلى عالم الروح، و يفيض على المجتمع الحياة و الحماس و قد قال: "لا خير في نشيد شاعر، و لا في صوت مغن إذا لم يفيضا على المجتمع الحياة و الحماس، و لا خير في أدب و لا شعر إذا تجردا عن تأثير عصا موسى".

و كان إقبال ينفر بطبعه من الأدب و الفن الذي تكون غايته الأولى المتعة و التسلية و قتل الوقت، يقول:

الدين و الفن و التبدير و الخطب و الشعر و النثر و التحرير و الكتب

إن تحفظ (الذات) هذي فالحياة بها أو لم تطق ذاك فهي السحر و الكذب

و كان يعتقد اعتقاداً جازماً أن الفن وسيلة لفهم حقائق الحياة، و هو رسالة عظيمة في الحياة، يقول:

الشعر فيه من الحياة رسالة أبدية لا تقبل التبديلاً

إن كان من جبريل فيه نعمة أو كان فيه نفخ إسرافيل

و يرى الشيخ النحوي أن نظرة إقبال هذه إلى الشعر و الأدب كانت في الحقيقة ثورة في تاريخ الأدب و في تاريخ الشعر، و ذلك بما أحدثه من تأثير عميق في الأدب الحديث، و بما قام به من تأثير في بلورة مدرسة جديدة في الشعر و الأدب في شبه القارة الهندية.

٢ - الرؤية الحضارية في شعره:

كان إقبال - كما ذكر سابقاً - يؤمن إيماناً عميقاً بصلاحية الإسلام للخلود، وبقدرته على حل مشكلات الإنسانية، وقد انعكست هذه الرؤية الواضحة في شعره، يقول:

كم اصاب الإنسان في هذه الأرض من اسكندر و من جنكيز
و يقول التاريخ في كل عصر خطر فرط قوة لعزير
و هي سم بغير دين، و بالدين دواء لكل سم نجيز

و عن هذه الرؤية الواضحة يقول الشيخ الندوي: "إن محمد إقبال له فضل كبير في أنه استخدم شاعريته الموهوبة السليقية لصالح الإنسانية، و استخدمها لصالح الإسلام، إنه كان يستطيع أن يتصتر دست الأبناء و الشعراء فيسلمون له الزعامة و الرئاسة، و قد نال ذلك كثير من إخوانه المعاصرين، ولكنه أبى إلا أن يستخدم كل شاعريته، و كل مواهبه الشعرية و الأدبية لخدمة الإسلام و الإنسانية، فأعاد بذلك الإيمان و الثقة بالإسلام و الحب للرسول صلى الله عليه و سلم".

و كان إقبال يعتقد أن البعث الإسلامي القادم سيكون على أيدي المسلمين المؤمنين بمبادئهم و قيمهم، العاملين في ميادين الحضارة و العلم و الكفاح بهمة و عزم و نشاط.

و لقد كان إقبال كما يرى الشيخ الندوي النموذج الطيب لقيادة حركة البعث الإسلامي بشعره الإسلامي البليغ، و رؤيته الحضارية الواضحة، و هو النموذج الذي ينبغي أن يرزق العالم العربي بمثله للقيام بدور القيادة و الثورة في عالم الأدب و الشعر.

ب - في مجال النثر

صفحات من النثر الفني:

تجلى الإبداع النقدي عند الشيخ الندوي في اكتشافه لصفحات مشرقة رائعة من النثر في الإبداع العربي، هذه الصفحات التي غفل عنها النقاد ودارسو الأدب لقصور نظرهم، و ضيق فهمهم، و ذلك بعنايتهم بالأدب الصناعي المنمق الموجود في دواوين الشعراء و كتب الرسائل و المقامات وغيرها من أنواع الأدب الذي يتخذ في الغالب صناعة و حرفة.

و قد استعرض الشيخ مكتبة الأدب العربي من جديد، فلاحظ أن هناك نوعاً من الأدب النثري الطبعي الجميل لم يحظ بدراسة الأدباء و الباحثين و عنايتهم مثل ما حظي به الأدب الصناعي، مع أنه يملك خصائص كثيرة منها: الكثرة، و فضل السبق، و عبقرية اللغة العربية و أسرارها، و البعد عن الصناعة التكلف. و يتجسد هذا الأدب على وجه الخصوص في كتب الحديث و السيرة و في بعض الكتب العلمية و الدينية، و في كتب الطبقات و التراجم و الرحلات.

و يرى الشيخ أن هذا الأدب ثورة أدبية زاخرة تكاد تكون ضائعة، ٨٥ و ذلك بما يمتاز به هذا الأدب من خصائص فكرية و جمالية تفتق القريحة، و تنشط الذهن، و تقوي الذوق السليم، و تعلم الكتابة الحقيقية.

و السر في فضل هذه الكتابات العلمية و الدينية و قوتها و جمالها ليس في التحرر من الصناعة و التكلف فحسب، بل في كونها كتبت عن التزام و إيمان بالعقيدة، و عن عاطفة متدفقة بالحماس و العزم. لقد كان هؤلاء الكتاب المؤمنون الذين ملكتهم فكرة أو عقيدة، يكتبون لأنفسهم لنداء ضميرهم و عقيدتهم مندفعين منبعثين، فتشتعل مواهبهم و يفيض خواطرهم و تترحق

قلوبهم، فتنهال عليهم المعاني و تطاوعهم الالفاظ، و تؤثر كتاباتهم في نفوس قرائها، لأنها خرجت من القلب فلا تستقر إلا في القلب.

و يقدم الشيخ الندوي أدلة تطبيقية كثيرة على رأيه، فيذكر نصوصاً من كتب الحديث و السيرة و التاريخ و المعاجم، ثم يقف منها وقفات نقدية دقيقة ليكشف عن أسرار الجمال و الإبداع فيها في ميزان الرؤية الإسلامية في الأدب و الفن.

و قد قام الشيخ بمراجعات نقدية رائعة لأدب التراجم و التقديرات و أدب الرحلات، أضافت الكثير من العناصر التأصيلية إلى النقد الإسلامي، الذي يسعى إلى بلورة نظرية متكاملة في النقد تنقف في وجه النظريات الغربية الوافدة.

الافاق العالمية للأدب و النقد الإسلاميين:

عرف الشيخ الندوي – و هو الأدب الإسلامي العالمي – بأفقه الواسع، و نظرته العالمية إلى الأدب و النقد الإسلاميين، و قد ترجمت جهوده في دراسات و أبحاث و محاضرات امتدت لأكثر من خمسين سنة، و قام بتأسيس رابطة عالمية تُعنى بشؤون الأدب الإسلامي إبداعاً و دراسةً و نقداً، و هي أول رابطة تجمع الأدباء و الباحثين الإسلاميين على اختلاف جنسياتهم و لغاتهم لإعادة الأدب و النقد إلى الدائرة الإسلامية، و بلورة النظريات وفق الرؤية المنبثقة من كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه و سلم.

و قد عرض الشيخ في بعض كتبه جوانب مشرقة عن المدرسة الأدبية الإسلامية في الهند، و هي مدرسة حافظت على أصالتها الإسلامية، و مشاعرها الحينية، و عبرت عن القضايا الإسلامية المختلفة باللغة الأردية و الفارسية، مما يؤكد العالمية التي يسير نحوها الأدب الإسلامي، على الرغم من الاختلافات

القومية و العرقية التي حاول الاستعمار الغربي غرسها في النفوس، لتترسب الانانية والفرقة بين أبناء الأمة الواحدة.

إن تآثر الشيخ و إيمانه الكبير بالإسلام و مبادئه و حضارته المتميزة، و حبه الكبير لشاعر الإسلام محمد إقبال الذي علمه الطموح و الحب و الإيمان، جعله ينظر إلى الفكر الإسلامي بالدرجة الأولى، و إلى الأدب الإسلامي و نقده اللذين هما وليدا هذا الفكر، برؤية إنسانية واسعة، و بأفق إسلامي عالمي، تجتمع فيه الإنسانية، و قيم الحق و الخير و الجمال، بعد التحرر التام من جميع النزعات الوطنية و القومية و الأقلية الضيقة.

الخاتمة:

يعد الشيخ أبو الحسن الندوي – حفظه الله – أحد الرواد الأوائل الذين أسهموا في صورة المشروع الحضاري الإسلامي و تأسيسه في النصف الثاني من هذا القرن، فشارك في مسيرته بفكر عميق، و رأي سديد، و عزيمة ماضية، في تزويد هذا المشروع الحضاري بالأدب الحي الذي يبعث الحماس و الحيوية و الفاعلية في الأمة.

و قد دأب الشيخ على الدعوة إلى بناء أدب إسلامي متميز و تشكيله، ليقف في وجه الأدب المنحرف الذي أصبح معادياً للقيم، و مجانباً للأخلاق، و مثبطاً للهمم، و حدد الشيخ الأطر العامة لهذا الأدب الذي لا بد أن يطلق من الرؤية الإسلامية، و يعبر عن المشاعر و الأفكار بصق و إخلاص حتى يحقق غايته من التأثير و الإقناع.

و اهتم الشيخ بالنقد، و دعا إلى تأصيله و بلورة نظرياته، ليؤدي وظيفته في حراسة القيم و المبادئ و الأخلاق، و يحفظ المجتمع الإسلامي من التحيزات

عبد ممتاز

و الهجمات العلمانية الهادفة إلى قتل الروح الدينية لدى الأمة، و عزل شبابها عن الإيمان و القيم و المبادئ التي تميزهم إسلامياً و حضارياً.

و قد كانت له نظرات نقدية جديدة في الأدب فتحت أبواباً أمام الدارسين، و لفتت أنظارهم إلى الكثير من القضايا و المقاييس و القواعد في الأدب الإسلامي و نقده.

و يمثل الشيخ الندوي - و هو من رواد الأدب الإسلامي الأوائل - النموذج الحي في مسيرة أسلمة الأدب الإسلامي و تأصيله في النصف الثاني من هذا القرن، فجزاه الله عن الإسلام و المسلمين خير ما يجازي به عباده المؤمنين المجاهدين.



أسلوب

سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسيني الندوي

للدراستات القرآنية

بقلم: البروفيسور ضياء الحسن الندوي

لقد كثرت المذاهب و الآراء في البحث عن أفضل طريق و أحسن أسلوب لتفهم كتاب و تنقب أثر من الآثار العلمية في هذا العصر، عصر التقدم العلمي و الرقى المدهش، عصر الكمبيوتر و الإنترنت و ما إلى ذلك، و إذا كان هذا الكتاب كتاباً سماوياً نزل به الروح الأمين على أفضل خلق الله محمد صلى الله عليه وسلم - القرآن الكريم الذي ظل منذ نزوله على صاحبه عليه الصلاة و السلام جارياً على لسان و قلب المؤمن به فإن كثرة المذاهب و تعدد الآراء في تفقد طريق أفضل و أسلوب أحسن ليس مما يبعث على الحيرة أو الإستغراب.

و بما أن القرآن حاجة البشرية جمعاء بكونه دستوراً للحياة النبيلة في هذه المعمورة لابد أن يسعى إلى فهمه و إدراك معانيه كل عضو من أعضاء الأسرة الإنسانية و يكد ذهنه و يبذل جهده في التوصل إلى رسالته الخالدة.

هناك أساليب عديدة لفهم القرآن و تفهيمه في الهند و في شبه القارة بل الأصح أن يقال في كل قطر يقطنه المسلمون خارج العالم العربي، فهناك من يفضل كتب الشرح و التفسير قبل دراسة القرآن مباشرة. و آخر يؤثر مطالعة الفلسفة و الكلام على مطالعة القرآن رأساً. و البعض لا تحرف أبداً إلى قراءة

عبد ممتاز

وفهم كتاب الله إجلالاً له وتعظيماً، بل يكتفى بمواعظ الواعظين وخطب المدرسين و تلاوة أئمة الصلاة على أنه ليس من ما يتعسر فهمه و يصعب إدراك تعليماته لأنه من كلام رب العالمين المنزل على رحمة للعالمين، و لكن مشكلة الشعب غير العربي مشكلة اللغة، لا يعرف معظم أفراد الشعب اللغة العربية التي هي بمثابة مفتاح للكتاب و السنة النبوية.

ولذا أكد القائمون على دار العلوم التابعة لندوة العلماء منذ تأسيسها على تعليم اللغة العربية كلغة حية و على تمرين الطلبة و تدريبهم على التعبير كتابة و خطابة و نقاشاً و محاوره عما في الضمير، و وضعوا من أجله منهجاً دراسياً عصرياً تحل فيه دراسة اللغة العربية و الأدب العربي مكاناً لائقاً لأنها كما ذكر هي المفتاح و الأداة القوية للتعمق في المعاني السامية و التعاليم و التوجيهات الراشدة التي جاء بها القرآن الكريم في صالح البشر.

لا تزال دار العلوم لندوة العلماء تجرب هذا المنهج الدراسي. و لها شرف السباق في هذا المضمار. منذ حوالي قرن كامل بنجاح تام، فقد أثمرت هذه التجربة بتخريج جماعة كبيرة من المدرسين و العلماء و المثقفين الذين يدرسون المتون القرآنية و يدرسونها قبل أن يستعينوا بأي شرح أو تفسير و ذلك ما يساعد الطلبة و المدرسين في تفهم المعاني القرآنية فهماً خالصاً غير مشوب باكدار التفلسف و تعقيدات المنطق، تقدمت ندوة العلماء لفكرة خاصة و نظرية تكاد تكون نادرة حين بدءها، نظرية الإنتفاع بكل قديم نافع و جديد صالح، و لم تتمسك بفضل هذه الفكرة بالمناهج القديمة يقدمها كما لم تنتصر بفضل تلك الفكرة الخصبة مرة أخرى من كل حيث لحدائتها بل اختارت قصد السبيل و اتخنت جادة العدل و الاعتدال و التزمت موقف الدعوة بالحكمة و الموعظة الحسنة، و اعتبرت الحكمة ضالّتها لتكون أحق بها حيث وجدتها،

هكذا فتحت ندوة العلماء لأول مرة في بلادها النائية عن مهد العروبة و الإسلام، فتحت باباً عريضاً ومخلاً كريماً إلى دراسة القرآن و دلت على مبادئ تدبر القرآن و الإنتفاع به و سلطت أضواء على وجوه الإعجاز و العلوم القرآنية. فإن كتاب الله تعالى يتحدث عن نفسه و يصف ذاته و ذلك ليضيئ لنا شتى جنبات القرآن و مختلف مزاياه و اعتباراته و تتجلى به جوانب شتى من جلال القرآن و عظمته و اعجازه، كانت تخفى عن الاعين و تبقى وراء الستار فتتبدى للأنظار اجلى ما تكون فإذا جمعنا هذه الآيات المنثورة في المواضع المختلفة من القرآن الكريم و قمنا بالتأمل و إمعان النظر فيها، وجدنا إيانا أمام باب جديد إلى معرفة القرآن و فهمه و إدراك معانيه، من قطعية دلالاته و عدم تعرضه للشكوك و ذلك من أكبر خصائصه و أبين مزاياه المعجزة، يقول:-

"ذلك الكتاب لا ريب فيه" و تفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين" و آية لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد"، تفرد القرآن بهذه الميزة لا يشاركها أي كلام بشري و لا يساميه أبداً أي كتاب صادر من إنسان، لأن مصدر القرآن هو العلم الإلهي و الوحي الإلهي الذي لا يعترضه شيء من عوارض الإنسان و إن صفة علم الله عز و جل كصفاته الأخرى كلها أزلية أبدية:

"هو الأول و الآخر و الظاهر و الباطن و هو بكل شيء عليم"

يكمن سر نجاح هذا الأسلوب المباشر لفهم القرآن في التشديد على اختيار اللغة العربية وسيلة للحوار و التبادل العلمي و تعليمها كلفة حية حتى لا يحتاج القارئ و السامع إلى معاجم أثناء الحوار و الإستماع أو أثناء المطالعة و القراءة. و في ضوء هذه الأسس سماحة الشيخ الندوي في تأملاته القرآنية خير مثال لهذا الفهم التلقائي و الإدراك المباشر لمفاهيم الكتاب الإلهي. فلنقم بجولة

قصيرة مع الأستاذ السيد أبي الحسن علي الحسيني الندوي رحمه الله، نقوم بجولة مع الأستاذ في كتاباته القيمة حول القرآن الكريم.

إنه يتأمل جمال سورة الفاتحة و جامعيتها و تأثيرها في الحياة فيقول: "هي الدرّة الفريدة في المعجزات السماوية و قطعة رائعة من القطع القرآنية البيانية.... و قد افتتحت بالحمد و هي الكلمة الجامعة بين الشكر و الثناء، و من الكلمات البليغة المعجزة التي لا يمكن ترجمتها في لسان آخر... ثم يقرر المصلي أن الربّ الذي يحمده و يستعين به و يعبده هو ليس ربّ قبيلة أو شعب أو أسرة أو فصيلة أو بلد أو وطن، إنما هو ربّ العالمين". و هذه عقيدة غريبة و ثائرة، ثارت على جميع التقسيمات الزائفة المزورة التي جنت على الإنسانية أكبر جناية.

هكذا يعلن المسلم وحتين و هما الدغامتان اللتان يقوم عليهما الأمن و السلام و عليهما قام الإسلام في كل زمان و مكان و هما وحدة الربوبية، و الوحدة البشرية، وحدة نسل بني آدم من غير فرق بين بلد أو وطن أو لون أو دم. فالإنسان أخو الإنسان من جهتين و الإنسان أخو الإنسان مرتين، مرة – و هي الأساس – لأن الربّ واحد، و ثانية لأن الأب واحد، ثم يذكر المصلي من صفات الربّ الكريم، الكثيرة ... صفة الرحمة التي هي اليق الصفات بموقف المسلم و هو عابد خاشع داعٍ مبتهل، محتاج تائب آنب و المقام مقام الرجاء لا اليأس، و مقام التفاؤل لا التشاؤم.

ثم ينكر و يتنكر يوم الدين، يوم الجزاء و العقاب الذي يتجلى فيه ملك الله و ملكوته في أروع مظهر، لا ينازعه فيه ملك زائف، ثم يعلن بكل تأكيد عرفته لغة العرب "إياك نعبد و إياك نستعين"، و ما الحياة إلّا عبادة و استعانة. ثم يدعوه للهداية للصراط المستقيم التي هي أعظم حاجاته و أعز مطالبه و هي

التي بعثت لها الانبياء و أنزلت لها الصحف و قامت عليها سوق الجنة، و هي التي لا قيمة لشيء إذا فقدت و لا نقص في الحياة و السعادة إذا وجدت.

"إهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم

و لا الضالين".

و يقول الأستاذ أبو الحسن: "هنا يتجلى اعجاز القرآن ثم يفيض سماحة الشيخ الندوي إن في بيان هذا الإعجاز القرآن بتفصيل كما ذكر كتابه "تأملات في دراسة القرآن" إن الكلمة الواحدة التي جاءت في القرآن الكريم تصف أبناء المسيحية، تكفي سببا في إيمان دارس منصف بالقرآن و إعجازه. ما أروع الحقيقة التاريخية التي نطق بها القرآن على لسان نبيه الأمي. وُلد في الصحراء و عاش فيها و التي يصدقها التاريخ في أن جنم، و يدهش المؤرخون عندما يفكرون في مدى صدق هذا التعبير: كلمة "الضلالة" كيف أجرى الله على لسانه الحقيقة الكبرى الصادقة حيث قال بالنسبة لليهود: "المغضوب عليهم" بينما قال بالنسبة للمسيحيين "الضالين" إن الله سبحانه أراد فرقا واضحا بينهم و بين اليهود إذ أطلق على اليهود: المغضوبية فمن قرأ تاريخهم شهد على صدق هذا التعبير.

و لندرس المحنة العظيمة و التوبة الكريمة في ابتلاء كعب بن مالك حيث أمره رسول الله صلى الله عليه و سلم بأن يعتزل إمراته فيفعل و يلحقها بأهلها، "و في هذه اللحظات العسيرة يدعوه ملك غسان الكبير ليواسيه و يكرمه و كان أشد محنة امتحن بها محب يجفو الحبيب القريب و ينبذه المجتمع و تقصيه البيئة، خلال هذه الضائقة و الجفوة يطالبه ملك و يرسل إليه كتابا بأخبار برّه و قدّه و عطاياه الواسعة فيرفض ذلك في إباء و كراهية و تحقير، إنها معجزة نيرة للإيمان و التربية و سلطان العقيدة".

ثم تاب الله عليهم توبة كريمة، شرف بها قدرهم و غسل عنهم عارهم و خلد ذكرهم و بيض وجوههم بقوله "و على الثلاثة الذين خَلَفُوا، الخ

و هكذا نشاهد حليا في دراسة سورة إبراهيم الواعية الرشيدة لسماحة الشيخ، وجدنا دعاء والد لولده أو جدّ و سيد أسرة لذريته و فصيلته شيء طبيعي جرت عليه العادة و لكن دعاء إبراهيم الخليل أسلوب من الدعاء لا يظهر له في التاريخ و لا مثيل له في مجموعات الأدب كما أن إبراهيم طراز خاص من البشر و أمة وحدة. "و إذ قال إبراهيم ربّ اجعل هذا البلد آمنا و اجنّبي و بنيّ أن نعبد الأصنام" الخ كانت حياة إبراهيم تحدياً للمادية المسارحة الشائعة في عصره و عبادة الأسباب و اتخاذها أرباباً من دون الله و مثالا للإيمان بالله و قدرة المطلقة. و إن إرادته فوق كل شيء، هكذا كانت سنة الله معه، يخضع له الأسباب و يخلق له ما تحار فيه العيون و الالباب.

كما نشهد مع الأستاذ أبي الحسن قيام الليل و عناية كبار العلماء و الأئمة به في سورة المزمل، و مراحل الإيمان و الهداية و الدعوة و الثبات في سورة الكهف، و النور الإلهي المشرق السماوات و الأرض و قصور عقلاء العرب في سورة النمل و حكمة لقمان و موعظته لإبنه في سورة لقمان على نبينا و عليه السلام و كفران النعمة و حب العسير الشاق لدى الطبائع المعوجة المريضة في سورة سبأ و حكم الله و نعمته على رسوله العظيم في فترة الوحي من خلال سورة الضحى و الخلاصة الوافية و العرض الجميل للسيرة النبوية الطاهرة في سورة الانشراح حيث شرح صدره و وضع عنه وزره الذي أنقض ظهره و رفع له ذكره صلى الله عليه و سلم من جانب الخالق سبحانه و تعالى كما نشهد سمو الإنسان و انتكاسه في ضوء سورة التين. و كنود الإنسان و سببة و عبرة من الحيوان الأعجم إذا تأملنا في سورة العاديات التي اشتملت على بيان المرض و هو قوله عز و جل "إن الإنسان لكنود" و على علته "و إنه لحب الخير لشديد"

و على علاجه " ا فلا يعلم إذا بُعثر ما في القبور و حصل ما في الصدور إن ربهم بهم يومئذ لخبير " فإن الإيمان بالآخرة و تذاكر الموت يكشف الغطاء عن العين و يفيقه من سكرة الدنيا قال النبي صلى الله عليه و سلم و أكثروا ذكر هارم اللذات.

دعنا نشهد الصراع بين الإيمان و المادية بتأملنا في سورة الكهف التي نشأ على قراءتها و تلاوتها كل يوم الجمعة الأستاذ أبو الحسن الندوي لأن ذلك يعصم من الدجال فقد استعاذ من فتنته النبي صلى الله عليه و سلم كثيراً و حث أمته على الاستعاذة منها حثاً شديداً و التي هي الفتنة الكبرى الأخيرة التي قال عنها: " ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر أكبر من الدجال " ما هي الصلة المعنوية بين هذه السورة و بين هذه العصمة؟ التي أخبر بها الرسول صلى الله عليه و سلم يقول الأستاذ أبو الحسن رداً على هذا السؤال:

"اقتنعت اجمالاً بأن هذه السورة، هي السورة القرآنية الفريدة التي تحتوي على أكبر مادة و أغزرها فيما يتصل لفتن العهد الأخير التي يتزعمها الدجال و يتولى كبرها و يحمل رأيتها، و تحتوي على أكبر مقدار من الترياق الذي يدفع سموم الدجال و يبرء منها.... و إن في هذه السورة الكريمة من التوجيهات و الإرشادات و الامثال و الحكايات ما يبين الدجال و يشخصه في كل زمان و مكان و ما يوضح الأساس الذي تقوم عليه فتنته و دعوته و تهيء العقول و النفوس لمحاربة هذه الفتنة و مقاومتها".

إن هذه السورة خاضعة لموضوع واحد و هو كما يعينه الأستاذ أبو الحسن "بين الإيمان و المادية" أو "بين القوة المصرفة لهذا الكون (هو الله) و بين الطبيعة أو الأسباب" و إن لهذه السورة إتصلاً وثيقاً بالمسيحية و اليهودية فقد تعرضت للعقيدة المسيحية في بدايتها و ينذر الذين قالوا إتخذ الله ولداً. ما لهم

به من علم و لا لآباءهم كبرت كلمة "تخرج من افواههم إن يقولون إلا كذبا".

و إن هذه السورة تشدد الإنكار أو التشنيع على عبّاد الحياة الدنيا و منكري الآخرة أو الغافلين عنها: "قل هل ننبئكم بالآخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا و هم يحسبون أنهم يحسنون صنعا".

و اخذ سماحة شيخنا يتأمل سورة الكهف التي على أربع قصص و هي أولاً قصة أصحاب الكهف و الرقيم و هي قصة الإيمان و النبوة و الثبات و التضحية و الجهاد، التي تتكرر في تاريخ الإنسانية، و في تاريخ الحق و العقيدة و دليل على ان الاسباب كلها خاضعة للإرادة الإلهية، و هي دعوة سورة الكهف و دعوة الإيمان و القرآن، "و لا تمتنّ عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه و رزق ربك خير و أبقي". تدور سورة الكهف حول هذه النقطة و تشير إليها بكل مناسبة.

ثانياً قصة صاحب الجنتين، و هي أكثر وقوعاً في الحياة اليومية و الحياة العادية من القصة الأولى. فإذا تمثلت قصة أصحاب الكهف في عقود من السنين فقصة صاحب الجنتين تتمثل في كل مكان و حين. و إنها قصة رجل توفرت له أسباب السعادة و الهناء و الرخاء و له جنتان من أعناب بينهما الزروع الكريمة، و هي غاية السعادة و الغبطة في الحياة المتوسطة. اقترب الرجل ديناً لا يغتفر و نسب سعادته إلى علمه و جهوده و نكاهه كما فعل قارون من قبل فقال "إنما أوتيته على علم عندي" قال الرجل و هو يفاخر صديقه الذي لا يساويه في هذه الرخاء و الغنى قال في صراحة بل وقاحة " أنا أكثر منك مالاً و أعزّ نفراً" و أعلن بعد ما "دخل جنته و هو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبديد هذه أبداً، و ما أظن الساعة قائمة، ولئن رُسيت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً".

ثالثاً: قصة موسى و الخضر، هذه قصة حياتنا اليومية التي تثبت في صورة واضحة صريحة رائعة أن وراء المعلومات و المكشوفات في هذا العالم و في هذه الحياة مجهولات كثيرة و أن ما يجهله الإنسان. أعظم إنسان في عصره، موسى عليه السلام - أكثر بكثير مما يعلمه. هذه القصة تتحدى التفكير المادي الذي يصر على أن الحياة هي التي فهمها الإنسان. و على أن هذا الكون هو الذي احاط به علماً و أن ليست الحقيقة إلّا ما تتراءى للعيون و أن الظواهر هي التي يصح عليها الحكم.

القصة الرابعة قصة ذى القرنين، و هي الأخيرة، قصة رجل جمع بين الإيمان و الصلاح و القوة الفائقة و تسخير القوى و الكائنات و الطاقات الموجودة الميسورة للإنسان و استخدام كافة الوسائل الموجودة في عصره و استخدم كل ذلك - يُعكس الطغاة المفسدين و الفاتحين الظالمين - في صالح الإنسان، و في خدمة البشرية، و بناء المدينة الصالحة.

و ينهج سماحة الشيخ أبو الحسن علي الحسيني الندوي رحمه الله في دعوته القرآنية بهذا المنهج الرائع بعرض نماذج بديعة من دعوة الأنبياء و الرسل عليهم السلام الذين ذكرت آثارهم الدعوية في القرآن الكريم للعظة و الاعتبار، و هما يشكلان لبنة أساسية في دعوة الإسلام التي يدعو إليها سماحة شيخنا في دراساته القرآنية و في دعوته إلى الإسلام و القرآن للناس جميعاً، و هذه هي الميزة المميزة لأسلوب سماحة الشيخ الندوي قل أن يوجد نظيره في الدعوة و الدراسات الإسلامية المعاصرة.



موجز من منهج التراجم و معالم التجديد عند الشيخ أبي الحسن الندوي

بقلم: الدكتور الحسين العربي رحمون

يحاول هذا العرض توضيح العلاقة بين منهج الترجمة عند أبي الحسن الندوي، و معالم التجديد فيه، و بين مناهج المترجمين و المصنفين القنماء، منذ ظهور كتب الطبقات: طبقات الصحابة، و اللغويين، و النحاة، و الاطباء، و منذ انتشار تراجم الرجال، و طبقات الادباء، و الشعراء، و المتصوفة، و الفقهاء و سير المصلحين و العلماء..

فقد نشأ أبو الحسن الندوي في "بيئة كانت هوايتها التاريخ و التراجم و السير.. و ولد في أسرة كان فيها مؤرخون و مؤلفون، و كان أكثر اشتغالهم بالتأليف في تراجم الرجال" (١)، فقرأ كتب التراجم، و عرف أنواعها و ضروبها، و خبر مناهجها و أساليبها، و عاين أهدافها و مراميها، ثم عمل على إثراء هذا الفن و إغنائه و تجديده و الإضافة إليه.

لذلك يمكن أن نتحدث عن مظاهر كثيرة للتجديد في أدب التراجم لدى الشيخ أبي الحسن الندوي:

١ - إن كتابة التراجم لديه هو بعث جديد للأساليب الأصلية لهذا الفن، و قد كان الغرض من أدب التراجم هو المحافظة على موروث الاجيال السابقة من

العلوم و الاداب و الفنون، و رغم اختلاف مناحي مصنفات التراجم، و اختلاف مفاهيمها و مدارسها منذ ظهور: يتيمة الدهر – للثعالبي، و تاريخ علماء الاندلس – لابن الفرضي، مروراً بوفيات الاعيان – لابن خلكان، و المغرب – لابن سعيد المغربي، و الليل و التكملة – لابن عبد الملك المراكشي، و فوات الوفيات – لابن العساكر الكتبي، و الوافي بالوفيات – للصالح الصفدي، و الدر الكامنة – لابن حجر العسقلاني، وصولاً إلى ما كتب من التراجم في القرون الأخيرة، و التي شكلت دائماً ميداناً قائماً بنفسه بعيداً عن الكتابة المعجمية المحضة، أو الكتابة التاريخية الصرفة، أو السيرة الذاتية، أو فن الرحلة.

و كان المصنفون و المترجمون يعتمدون أغلب عناصر الترجمة المكونة من اسم المترجم و نسبه، و أصله، و كنيته، و ذكر مشايخه، و تلاميذه، و كتبه و مؤلفاته، و منزلته العلمية، و مركزه الاجتماعي، و عناصر شخصيته، و بعض أحداث عصره، و مآثراته الشعرية و النثرية، و ذكر تاريخ ميلاده و وفاته.

و يعتمد الشيخ الندوي بعض هذه العناصر، ولكنه يركز على المنزلة العلمية للمترجم، و يبرز جوانب شخصيته المؤثرة، ليجعل منه قدوة تتبع، و نبراساً يحتذى، و بذلك ينقل هدف التراجم من تحقيق الهدف التعليمي، و الحفاظ على التراث التاريخي للأمة – كما هو عند المصنفين السابقين – إلى هدف آخر يتجلى في الجانب التربوي.

٢ - من هنا يظهر لنا أن ترجمته لعالم من العلماء، أو رائد من رواد الأمة الإسلامية، و مجدي دعوتها، في القديم و الحديث، لا يتم تقديمه كشخص يعرف به مجرد التعريف، أو ينقل أخباره و آثاره فقط، ولكن يقدمه للقارئ كموضوع للمعرفة، و مجال للتعلم، و مدرسة لها تأثيرها في حركة الدعوة الإسلامية المتجددة.

٢ - و من معالم التجديد ايضاً ربط تراجم الرجال بهذه الحركة التجديدية الإسلامية العامة، و التي مافتئ علماء المسلمين يدعون إليها، لفهم الأسس القويمة و القيم الصحيحة لبناء المجتمع الإسلامي المعاصر، فهو لا يعتمد في تراجمه على كل الفئات و الطوائف من الكتاب و الشعراء و الفقهاء، و المتصوفة المشهورين و المغمورين، كما ألفنا ذلك في كتب التراجم، و لكنه يختار من الرجال نوي التأثير العلمي و الأخلاقي و الديني، و لو تباعدت بينهم الحقب و العصور، لأن الهدف الأساسي هو تكوين خلية متماسكة قوية يكون لها التأثير السحري للدفع بحركة الدعوة الإسلامية الجديدة إلى الامام.

٤ - إن أدب التراجم عند أبي الحسن الندوي يكتسي طابعاً شمولياً من حيث المساحة الزمانية و المساحة المكانية.

فهو يترجم لعمر بن الخطاب أو عمر بن عبد العزيز، كما يترجم للسيد قطب الذي استشهد عام ١٩٦٦م أو للمرحوم مصطفى السباعي المتوفي عام ١٩٦٤م دون التزام بالتسلسل التاريخي، لأن الترجمة عنده تكتسي بعداً آخر أسمى و أجل من ذكر تواريخ الرجال، و يتعدى ذلك إلى جعل هذا الفن من الكتابة رافداً من الروافد المتعددة للدعوة إلى التجديد و الإصلاح.

و من حيث الحيز المكاني، فهو يشمل كل العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه، و ينقل إلى قراء العربية مآثر العلماء المسلمين في شبه القارة الهندية، ناهيك عن الاقطار الإسلامية الأخرى.

٥ - من عناصر التجديد في كتابة التراجم جانب الأسلوب، فهو أسلوب واضح رقيق، سهل ممتع، ينقل القارئ عبر المناطق، و المدن و الأماكن و الاقطار في جولات سياحية لا تمل، و يحبب إليه صور الإيمان، و صفاء الخلق

و الإباء، و علو الهمة، و يجعله يعيش متعة روحية من خلال الشخصوس التي يقدمها، و يترجم لها بطريقة تنفذ إلى أعماق النفس الإنسانية، بعيداً عن أساليب السجع و التأنق اللفظي، و بعيداً عن الأخبار و الأحداث و الأشخاص ممن لم يشغفوا بحب تعاليم الإسلام، و نشر الدعوة الإسلامية.

٦ - إن هذا النوع من كتابة التراجم عند أبي الحسن الندوي يجعلنا نطرح سؤالاً دقيقاً و حذراً في نفس الوقت، مؤداه: هل يكفي أن نعتبر هذه المظاهر التجديدية في فن التراجم أمراً طبيعياً يضاف إلى كتابة الترجمة، كما عهدناه عند المصنفين القدامى، أم لا بد من البحث عن مصطلح آخر ينضاف إلى فنون الكتابة في هذا المضمار؟

(١) شخصيات و كتب: أبو الحسن الندوي، دار القلم: ص/٧.



سماحة العلامة السيد أبي الحسن علي الحسيني الندوي و نماذج من أسلوبه الدعوي المتميز في أدب السياحة

بقلم: الأستاذ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي

في مستهل العام الحادي و الخمسين و تسع مائة و ألف الميلادي، المصادف عام سبعين و ثلاث مائة و ألف الهجري، قام سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسيني الندوي بجولة دعوية و سياحة علمية أدبية لبلدان الشرق العربي، و في مقدمتها مصر القاهرة، بلد الكنانة، و مقر الفراعنة، و مصر ذات النيل الأزرق، و الأهرام الشامخة، مصر ذات الأزهر العتيق، و قبلة اللغة العربية و آدابها، و موئل الأدباء و الكتاب و المؤلفين، و مركز الإشعاع الديني بمراكزها الدينية و علمائها البارعين في العلوم الإسلامية، و قادتها المخلصين، و زعمائها البارزين، و حكامها العادلين.

لقد وفق العلامة الندوي إلى زيارة مصر التي كانت قد سبقت إليها معرفته كداعية مخلص، و مفكر إسلامي كبير، و كاتب باللغة العربية قدير، فقد كان كتابه الجليل الشهير: "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟" ظهر، و نزل في المكتبات و الأسواق، و نال إعجاباً كبيراً من قرائه العلماء و الدعاة و الأدباء

و الشباب، فصادف ذلك رحلته إلى مصر، و كان الناس متطلعين إلى لقاء هذا المؤلف العظيم الذي سد فراغاً كبيراً في الكتاب الإسلامي، و مكتبة الفكر و الدعوة، فلما وصل إلى القاهرة نال ترحيباً كبيراً من كل جانب، و التف حوله الشباب و الدعاة، و العلماء و الأدباء، و انفسح المجال الواسع للتبادل الفكري و الثقافي، و سنحت فرص اللقاءات و الزيارات و البحث و النقاش، و التعارف و الاطلاع، و كل ذلك في مصلحة الدعوة و الفكر الإسلامي الخالص، لا للاستجمام و طلب الراحة أو الاطلاع على الآثار التاريخية و الجغرافية، و التفرج على جمال الطبيعة و التنشق من الأجواء اللطيفة، و قضاء الوقت في نزهة سياحية أو متعة نفسية.

تميزت سياحته لبلدان الشرق العربي، و العواصم العربية بطابع دعوي فكري، و لون توجيهي تربوي، يتطلع فيها صاحبها نحو التعرف على الأعمال الدينية و الحركات الفكرية، و التطورات العقلية التي يعيشها الشعب المسلم في مجالات الحياة المختلفة بتأثير الحضارات المادية الغربية، و العقل الأوربي الذي كان يقود الحياة الاجتماعية في هذه البلدان، و الاقطار إلى امد طويل، و كانت مخلفاته باقية في المجتمع المسلم، و لم يكن اهله قد تحرروا من آثاره بالكلية في أنماط حياتهم و نشاطاتهم، و حتى في طريق تفكيرهم، إن السائح العبقري الجليل أدرك بذكائه، و في ضوء مشاهداته أن أمة الإسلام في هذه الديار تعيش مرحلة الانتقال من عهد الاستعمار و الاستعباد إلى عهد الاستقلال و الانفتاح، فهي بأمس حاجة لأن تُعاد ثقافتها الكاملة بالإسلام إلى نفسها من جديد، و تُنقى أفكارها من شوائب الحضارة الغربية، و إغراءاتها المادية التي لا تزال ملتصقة بغضون نفسها، و تُسبب لها إثارة شبهات حول صلاحية الإسلام في عصر التقدم العلمي و التطور الحضاري.

كان العلامة الندوي قد أعد العدة قبل أن يبدأ رحلته، و يقوم بهذه السياحة العلمية و الفكرية، إنه كان قد درس أوضاع العالم الإسلامي، و اطلع على جميع ما يجري فيه من ظروف سياسية و حضارية، و قد شاهد بعين قلبه كل ما وجد فيه من اتجاهات دينية، و ميول فكرية، و من إبداعات في الأساليب الدعوية، و من حركات قوية نابعة من الفكر الإيماني الخالص في سبيل الدعوة و الفكر الاصيل، و ما جدّ منه من تطرفات فكرية تدعو إلى تطوير الشريعة الإسلامية و صوغها في قوالب الحاجات المادية، و الظروف الحضارية، إنه كان قد عرف نفسية الشعب الإسلامي العربي، و واقعيته في مجال العلم و الدين و الحضارة.

كما أنه كان و طيد الصلة بالمراكز العلمية و الدينية في العالم الإسلامي، و يعرف مدى تأثيرها في نفوس الشعب و علاقتها به، و كان كثير القراءة للمؤلفات و الكتب و المجالات التي تصدر من العالم العربي، و مكنتات القاهرة، و دور نشرها، بأقلام رجال من العلم و الأدب و الدعوة و الإصلاح، ممن كانوا يتزعمون البلاد دينياً و علمياً، و أدبياً و فكرياً، فلما وفقه الله تعالى لزيارة الشرق العربي، و مصر الكنانة وجد نفسه مطمئناً لأداء المسئولية التي توخاها في هذه الرحلة، و إبلاغ دعوته النقية الصافية إلى طبقة العلماء و الأدباء و الدعاة و أصحاب الفكر، و الإشارة إلى مواضع الضعف و مكامن الداء في النفس و الفكر، فكان صريحاً في حوارهِ و آرائهِ و نقاشهِ، و مبيناً الطريق الواضح النير لتصحيح الأفكار، و الخروج من زوايا الغموض إلى ساحة الوضوح و الاقتناع، فكان عمله أقرب إلى غربة فكرية مصحوبة بالبراهين التاريخية، و الدلائل العلمية، بالنسبة إلى دعوة مجردة، و دعاية خالصة لا يدعمها دليل أو شهادة تاريخية.

خرج المفكر الإسلامي الكبير العلامة الندوي لسياحة الشرق العربي، و زيارة عواصمه الكبيرة، و بدأ رحلته من جدة إلى السويس على متن سفينة

اوندا، الإيطالية برفقة من تلاميذه و أصدقائه، و كان سائق الشوق يحذو به إلى زيارة هذا البلد العزيز، و النزول بأرضه، و الاطلاع على معالمه، و مراكزه و رجاله و أبنائه، و كان جد حنين لكي يثبت أشواقه و آماله و آلامه، إلى أصحاب الامتيازات و المسئوليات، و قادة الفكر، و يحقق أمنيته التي طالما راودته لزيارة هذا البلد العريق في العلم و الأدب و الدين، إنه تحدث عن هدف هذه السياحة، و الغرض الذي أراده من خلال هذه الرحلة المهمة في مقدمة مذكراته التي جمعها في كتاب: "مذكرات سائح في الشرق العربي"، يقول:

"خرج مؤلف هذا الكتاب: "مذكرات سائح في الشرق العربي" في رحلة إلى عواصم الشرق العربي ليدرس وضع هذه الأقطار، الديني و العلمي و الاجتماعي، و يتعرف برجالاتها، و قادة الفكر فيها، و يتذاكر معهم في الشؤون الدينية و العلمية، و القضايا الإسلامية، و المناهج الإسلامية، و المشاريع التعليمية، و يعرفهم ببلاده شبه القارة الهندية.. و يستفيد بما جدّ في العالم العربي، من آراء و نظريات، و نشأ من حركات و دعوات، و نبغ من رجال و شخصيات، و قام من مدارس فكرية و مؤسسات، و ظهر من أساليب، و ثار من مشاكل، و قد أراد الله أن ينشأ قبل أن يزور هذا البلد، نشأة علمية، دينية أدبية، يتنوق الشعر و الأدب و التاريخ و الاجتماع، و الحضارة و فلسفة الحياة، و قد مارس الحياة العلمية، و عمل في حقل الإصلاح و الدعوة، و باشر مهنة التعليم، و عالج الكتابة و التأليف، و عرف الأساليب الأدبية، و المدارس الفكرية و الاتجاهات المتعارضة في مصر و الشام، فزار هذه البلاد على بصيرة و بينة من الأمر، و بعد أن لم يكن ينقصه إلا اللقاء".

أول كلمة:

و هنا أول كلمة ارتجلها في اجتماع ضمّ أعضاء البعثة التركية إلى

الازهر، وطلبة سوريا و فلسطين، فكانت كلمة فياضة بليغة تعبر عن مدى فكره النير نحو الإسلام في عصر العلم و الحضارة، جاء فيها:

"إن الإسلام رسالة خالدة ليس فيها قديم و جديد، إنما القديم و الجديد في الحضارات و الأدب و غيرها، و كل جماعة تنمج نفسها و شخصيتها في هذه الرسالة، و تربط حياتها بها يكتب لها الخلود و البقاء، و تخرج من سلطان الأزمنة و الأمكنة الخاضعة لناموس التغير و الانقلاب، و تنتصر على القوى المادية، و على جميع المعارضات و المنافسات، و كان هذا سر انتصار الصحابة - رضي الله عنهم - و سر عظمتهم فقد قدروا قواهم و مواهبهم تقديراً صحيحاً، و وزنوها وزناً دقيقاً فرأوا أنهم لا يستطيعون أن يجاوروا الفرس و الرومان في مدنيّتهم و ماديتهم و قوتهم الحربية، فأدمجوا أنفسهم في هذه الرسالة الخالدة التي جاء بها محمد صلى الله عليه و سلم، و التي قضى الله بظهورها و انتصارها و ذيوعها في العالم، و أخلصوا لها، و ربطوا حياتهم و مستقبلهم بها، بحيث أصبحوا و الإسلام شيئاً واحداً، لا يعيش إلّا بهم و لا يعيشون إلّا به، فلما كان ذلك و امتحن الله قلوبهم للتقوى استحقوا النصر من الله، و قضى الله بظهورهم و غلبتهم و تمكينهم في الأرض، و كذلك إذا أخلصتم يا طلبة الازهر لرسالة الإسلام، و أدمجتم أنفسكم فيها، و ربطتم حياتكم و مستقبلكم بالقيام بها، و الدعوة لها، و قامت هذه الرسالة بكم و قمتم بها لانتصرتم، و خضع لكم الزمان و أطاعكم".

لقاؤه مع فضيلة شيخ الازهر:

أثناء وجوده في مصر قابل الأستاذ الأكبر فضيلة الشيخ عبد المجيد سليم، شيخ الازهر، و كانت معه جماعة من كبار الاساتذة و العلماء الازهريين،

و رجال الوزارة، من بينهم الشيخ عبد اللطيف دراز، مدير الأزهر، ولما علم شيخ الأزهر صلة سماحته بنودة العلماء رحب به ترحيباً كبيراً، و انفتح معه في الحديث، و سألته عن الوضع التعليمي الديني في الهند، فتحدثت سماحته عن المدارس الدينية الإسلامية في الهند، و ما مثلته من دور في تخريج علماء متشبعين بالهمة العالية، و روح المقاومة و الجهاد و التطوع و الاحتساب، و تحدثت عن ندوة العلماء، و شرح له تلك الفكرة العالية، و الاهداف السامية التي قامت عليها، و ذكر له ما قامت به من إنجازات، و ما قيمته من آثار و نتائج موفقة في مجال التعليم و التربية، و الدعوة و الإصلاح، و التأليف و التدوين، و تمثيل فكرة الإسلام النقية الواضحة".

رأى العلامة الندوي عن الادب الخليع المكشوف:

دار الحديث في دار الأرقم مركز شباب سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم حول الادب الخليع، و الصحافة الماجنة، و ذلك مع الاستاذ حسين يوسف، رئيس شباب سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم، الذي كان يكتب في موضوعات إسلامية بقلم قوي مؤمن و إيمان صادق، و إنكار صارخ على الإلحاد و الإباحية و المجون، فتكلم معه سماحة العلامة الندوي بصراحة، و بيّن له ما لهذه الصحافة الخليعة من دور سيئ في إفساد الشباب المسلم، و إقصائه عن الاخلاق، و القيم المثلى، و قال فيما قال:

" لابد من تكوين جبهة قوية و معسكر ضد هذا الادب المكشوف، و هذه الخلاعة و الاستهتار، و إنه لا يخلو من فائدة".

و قد وافق الاستاذ حسين يوسف رأي سماحته، و تحدث عما كان له من تأثير إيجابي للإنكار على الصحف و المجالات الخليعة و تهديدها: و ذكر أمثلة لذلك.

ثم سأله سماحة العلامة الندوي، وقال: كيف يُوجه الأدب التوجيه الديني؟

قال: الأدب يتجه إلى الدين بوجود حركة دينية، و حياة إسلامية، فإن الأدباء و المؤلفين يُنتجون ما يروج في السوق، و ما يقبل عليه الناس، فإذا كان في الناس إقبال على الدين، انتجوا ما ينال إعجابهم و تقديرهم".

محاضرته القيمة حول رسالة المسلمين في العهد الحاضر:

لقاها في جمعية الشبان المسلمين، و ملخصها كما يلي:

إن الحياة الإنسانية تشتمل على ناحيتين الناحية الطبيعية، و هي التي تفرض على كل إنسان أن يأكل و يشرب و يتكسب و يحصل القوت و إذا مرض فيتعالج إلى غير ذلك من طبائع الحياة الإنسانية، و الناحية الثانية: هي الناحية الإيمانية و هو تلقى الإنسان الأحكام من خالقه و العمل بها، فيعرف ماذا يحل أكله، و ماذا يحرم، و من أين يكسب، و ما هي الطريق المشروعة للكسب، و تحصيل القوت، و جمع الأموال، و ما هي الطرق المحظورة، و ما غاية هذه الحياة و ما مصير هذا العالم، و ماذا يرضى الله، و ماذا يُسخطه، و الأنبياء عليهم السلام لم يُبعثوا لبيان الناحية الأولى، فهي ناحية فطرية يهتدي إليها الإنسان بسائق فطرته: [و أوحى ربك إلى النحل * أن اتخذي من الجبال بيوتاً] الآية، و لم يبعثوا ليزيدوا في نشاطها، و يحثوا على زيادة العناية بها فإن العالم لم يزل يعاني طغيان هذه الناحية، و ثورتها على الناحية الإيمانية، و طالما تضخمت هذه الناحية، و كبرت على حساب الناحية الإيمانية، و إنما بُعثوا لينصفوا لها من الناحية المادية الطاغية، و يوجدوا التوازن الصحيح بين الناحيتين، و إذا أردتم أن تعرفوا رسالة المسلمين، فارجعوا إلى العصر الذي بعث فيه النبي الكريم صلى الله عليه و سلم و تلمسوها، فإذا وجدتم أن الناحية

الطبيعية كانت كاملة غنية بل طافحة بالجوانب المادية، ولم يكن فيها نقص او عوز، بل كانت قد طغت على الجانب الإيماني في حياة الإنسان، وقضت عليه حتى أصبح نسياً منسياً، وقد جدد النبي الكريم صلى الله عليه وسلم الجانب الإيماني، وإحياءه ودعا إليه، وعلى أساسه أوجد أمة لا تزال تقوم بالدعوة إليه، والمحافظة عليه، والاعتناء به، فاعلموا أنها هي رسالة المسلمين في كل عصر، وهي رسالتهم في هذا العصر، وإلى ذلك أشار النبي الكريم صلى الله عليه وسلم عليه وسلم يوم بدر في دعائه للمسلمين وشفاعته لهم: "اللهم إن تُهلك هذه العصابة لن تُعبد" فذكر الغرض الحقيقي الذي بعث له المسلمون، والذي يقوم بهم وخدمهم.

ولقد كان لسماحته خلال هذه السياحة العلمية و الدينية أحاديث ومحاضرات كثيرة كلها تدور حول الدعوة و الفكر الإسلامي، وبأسلوب دعوي متميز.

و من بين من لقيه من كبار العلماء و الادباء و الدعاة عدا أولئك الذين مضى ذكرهم كثيرون، منهم: الأستاذ أحمد الشرباصي، و الأستاذ صاوي شعلان، و الأستاذ عبد العزيز كامل، و الدكتور محمد يوسف موسى، و الأستاذ أحمد لطفي السيد، و الشيخ حسنين محمد مخلوف، مفتي الديار المصرية، و الشيخ محمد الشربيني، و رئيس جبهة علماء الأزهر، و الشيخ محمد عبد اللطيف دراز، مدير المعاهد الدينية بالأزهر، و الدكتور فهمي، و الأستاذ مصطفى مؤمن، و الأستاذ عبد الرحمن عزام باشا، و الأستاذ عبد المنعم خلاف، و الشيخ السيد الشرباصي، و الشيخ علي رفاعي، و الشيخ أحمد ماضي أبو العزائم، و الشيخ محمد صائق المجدي، و الأستاذ لقمان الهندي، شيخ رواق الهندود، و القائمة طويلة جداً.

أما المحاضرات و الأحاديث المهمة التي القاها سماحته، فنذكر منها ما يأتي:

محاضرة عن الدكتور محمد إقبال في دار العلوم، حديث إلى الطلبة الأتراك، دور الشباب في توجيه البلاد الإسلامي، و حديث مهم جداً مع سماحة المفتي السيد أمين الحسيني - رحمه الله -، حديث مع الأستاذ سيد قطب في منهاج الدعوة الإسلامية، حديث مع الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت.

لقد كان سماحته في جميع هذه الأحاديث و المحاضرات و اللقاءات و الكلمات معتمداً على التعبير العربي الجميل، و الكلام المؤثر القوي يتجلى فيه أسلوبه الدعوي و الفكري المتميز، و قد وفق بذلك إلى إنشاء مدرسة أدبية تخرج منها جيل من الأدباء، و الكتاب الإسلاميين ممن عُرفوا بأسلوب دعوي مبدع، و تلك هي المدرسة الأدبية التي كان لمؤسسها سبق في توجيه الأدب إلى الدين و الأخلاق الفاضلة، و إخضاع الأقلام للفكر الإسلامي النقي، و ليست رابطة الأدب الإسلامي العالمية التي أنشئت تحت فكرة سماحته الأدبية الإسلامية العالمية، و التي تعقد لها ندوات علمية و أدبية في عواصم البلدان الإسلامية، و قد عقدت ندوة تكريم في العاصمة التركية العريقة في الإسلام لصاحب هذه المدرسة الأدبية، ليس كل ذلك إلا نفحة أدبية من نفحات هذا الرجل العظيم.



أدب الرحلة في كتابات الشيخ أبي الحسن علي الندوي بين العربية و الأردية

بقلم: د/ سمير عبد الحميد إبراهيم

[يتناول البحث الموسوم بأدب الرحلة في كتابات الشيخ أبي الحسن علي الندوي نبذة مختصرة عن حياة الشيخ: مولده و تعليمه، و حياته العملية و أسفاره بالإضافة إلى دراسة أدب الرحلة في كتاباته الأردية و العربية]

فقد بدأ الشيخ أبو الحسن علي الندوي أسفاره و هو في مقبل حياته، فسافر إلى معظم مدن شبه القارة الهندية (قبل التقسيم)، سافر إلى لاهور حيث التقى بالمفكر الشاعر العظيم محمد إقبال، و عدي من علماء لاهور، كما سافر إلى ديوبند و غيرها، و اتصل بجامعة علي كره الإسلامية، و ألقى محاضرات بالجامعة المليية الإسلامية، ثم سافر بعد ذلك إلى معظم البلاد الإسلامية و بلدان العالم الأخرى.

أثرى الشيخ أبو الحسن علي الندوي الأدب الأردّي و الأدب العربي على السواء بكتاباتّه التي ظهرت باللغتين الأردية و العربية، و ينطبق هذا على أدب الرحلة عنده، و على سبيل المثال ظهر كتابه من نهر كابل إلى نهر اليرموك في بيروت عام ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م و كانت طبعته الأردية قد ظهرت قبلاً، و تختلف الطبعتان، فالطبعة العربية تخلو من الأشعار الفارسية الموجودة في الطبعة

الأردنية، و اكتفى المؤلف في الطبعة العربية بما أورده من أشعار عربية، و صر
للشيخ أبي الحسن الندوي نوع عليه أن نطلق عليه أدب الرسائل، و إن كان يدخل
ضمناً في أدب الرحلات و لنطالع كتابه كيف ينظر المسلمون إلى الحجاز
و الجزيرة العربية الذي صدرت طبعته بعد سنتين من صدور الطبعة العربية،
و كان عنوانه بالأردنية: "حجاز مقدس اور جزيره عرب اميدون اور انديشون كى
درميان" (أي الأراضي الحجازية المقدسة و جزيرة العرب بين الأهال
و المخاوف).

و إذا قلنا إن الرحلة في حياة الشيخ أبي الحسن الندوي هي الدافع لمعظم
كتاباتة فربما لا يُجانبنا الصواب في هذا القول، فالندوي عالم جليل، عالم متبحر
في التاريخ الإسلامي و الحضارة الإسلامية، حرص على أن يضيء مشعل
الحضارة الإسلامية في الهند، بنور التعليمات الإسلامية الأصيلة و المضي على
درب سنة الرسول صلى الله عليه و سلم، و لهذا اهتم كثيراً ببيان هذا الهدف في
رحلاته خارج البلاد و كان دائماً يضع نتائج رحلاته في كتاب يتضمن رحلته،
و قد تناول البحث أمثلة على ذلك كثيرة.

و الشيخ الجليل أبو الحسن الندوي عشق السفر لا للسياحة، ذلك لأن
الإسلام الدين الحنيف يدعو إلى السفر طلباً للمعرفة، و طلباً للعلم، و نشرأ للدين
الحنيف بين الناس، و هكذا جعل الإسلام السفر تراثاً يتصل بالتاريخ الإسلامي
لدى جميع الشعوب الإسلامية، و التاريخ الإسلامي له مكانة خاصة لدى شيخنا
أبي الحسن علي الندوي، و من هنا كان السفر و الارتحال جزءاً أصيلاً من فكره،
و كان السفر و الارتحال هو الدافع لمعظم كتاباته بلا مبالغة، و إذا كانت كتب
الرحلات تقدم قصصاً و حكايات، قد يكون بعضها حقيقياً، و بعضها من نسيج
الخيال، إلا أن الأمر يختلف عند شيخنا، فهو لا يقدم حكاية و لا قصة، بل يقدم
رسالة سامية تحمل هدفاً سامياً و هو الدعوة إلى الله و رفعة شأن المسلمين.

و إذا بحثنا عن أسباب الرحلة عند الشيخ أبي الحسن وجدنا أن طلب العلم كان – في البداية – من الأسباب الرئيسية التي دفعته للرحلة خارج و داخل شبه القارة كما كانت رحلة الحج رحلة تاق إليها قلبه منذ صغره، كما يتضح من البحث، و إذا كان قد ارتحل لاداء مهمة عمل بجامعة أو مؤسسة فإنه يُحوّل هذه المهمة إلى هدفه الأساسي و هو الدعوة إلى الدين، و هذا واضح من خلال الكتب التي صدرت له بعد كل رحلة. و كان الشيخ يتجول أحيانا عبر التاريخ يغمض عينيه، و تتراءى أمامه صور الماضي، عظمة الإسلام فيظل يطالع هذا التاريخ حتى ينتبه الواقع، و قد أورد الباحث في بحثه نمونجا لرحلة الخيال عند الشيخ عبر التاريخ. ركزت رحلات الشيخ أبي الحسن الندوي كلها على هدف واحد، و هو الدعوة الإسلامية، و يتضح هذا من بيانه للأمور التي اعتنى بها و المنهج الذي سلكه في تدوين الرحلة، فهو لم يهتم بالأمور الجغرافية أو الاقتصادية إقليلا، و ركز على الأمور الثقافية و الاجتماعية و الحضارية، فنراه يذكر الأحوال العلمية في البلاد التي زارها و يذكر العلماء و الأدباء و المدارس و حلقات الدرس و الأدب و الجامعات و المؤسسات التعليمية و الثقافية و ما إلى ذلك.

أما عن لغة الرحلة سواء ما كتب بالعربية أو الأربية فيكفي أن نشير إلى أن الشيخ أبا الحسن الندوي أديب يشهد له الجميع إذا ما كتب بالأربية أو العربية، و قد ساد الطابع الأدبي كتاباته و زخرت مادة رحلاته بالعناصر الأدبية مما يجعلنا نطلق على كتاباته "أدب الرحلة" بحق، فرحلاته صدرت على مستوى أدبي رفيع، ضمنها الأشعار و الأمثال و الحكم، و زين سطورها بآيات القرآن الكريم و الأحاديث النبوية التي ربما احتاج إليها للتعليق على موقف أو الفصل في قضية ما، و كانت المشاعر الفياضة تغلب على شيخنا فتفيض

على أسلوبه فتأتى لغته العربية أو الأردية رفيعة المستوى عظيمة التأثير و الإمتاع مما يجعل لرحلاته قيمة أدبية، نظراً إلى روعة الأسلوب الذي يصل بها إلى مستوى الخيال الفني في معظم الأحيان.

و لم نر ضرورة لتقسيم رحلات الشيخ أبي الحسن الندوي طبقاً للموضوع لأن موضوع رحلاته كان رغم اختلاف الوسيلة هو الدعوة إلى الله و الدعوة إلى استعادة الأمجاد القديمة، و لهذا نتبع الترتيب التاريخي قدر الإمكان لعرض رحلات الشيخ أبي الحسن الندوي و إذا استعرضنا رحلات الشيخ الندوي فقسمها إلى خمسة أدوار:-

الدور الأول: الرحلة إلى البلدان العربية، مصر و السودان و الشام و فلسطين مع بيان الانطباع و الأخير للشيخ عن سلسلة رحلاته إلى البلاد العربية.

الدور الثاني: وتشتمل الرحلة على البلدان العربية و تركيا في فترة لاحقة.

الدور الثالث: الرحلات إلى بورما و الكويت و الجزيرة العربية و أيضاً رحلاته إلى أوروبا بما في ذلك الرحلة الاندلسية.

الدور الرابع: الرحلات المتعددة إلى السعودية و الكويت و دول غرب آسيا (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م - ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).

الدور الخامس: رحلات ما بعد عام ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م حين سافر الشيخ إلى الأردن و اليمن و السعودية و شهدت هذه الفترة تأسيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية، و شمل هذا الدور أيضاً رحلات الشيخ إلى باكستان و الجزائر و تركيا

حيث حضر الجلسة الاستشارية الثانية لرابطة الابد الإسلامي العالمية (١٩٨٦م)
و ارتحل إلى ماليزيا و الإمارات العربية المتحدة.

رحلات الشيخ إلى أوروبا في أعوام ١٩٨٥م/١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م/١٤٠٧هـ -
١٩٨٧م/١٤٠٨هـ.



بعض الأساليب الأدبية العلمية لسماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسيني الندوي

بقلم: الأستاذ عميد الزمان الكيرانوي

يسعدني، و أنا أحاول أن أكتب، لأول مرة، حول بعض الأساليب الأدبية العلمية لسماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسيني الندوي – رحمه الله – في ضوء كتبه: "روائع إقبال" و "إذا هبت ريح الإيمان" و "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين"، أن استهل الحديث بالإشارة إلى أن أول مرة تشرفت فيها بزيارة سماحته كانت في الخامس من شهر ذي القعدة سنة ١٣٨٠هـ، أي قبل أكثر من أربعين عاماً... وقصة ذلك هي أنني كنت طالباً في دار العلوم ديوبند. و كنا قد أصدرنا أنا و بعض أصدقائي و زملائي في الدراسة من الطلاب جريدة سمينها "اليَقْظَة". و كانت هذه جريدة مطبوعة باللغة العربية صدرت من قبل طلاب دار العلوم ديوبند دون رعايتها الرسمية و كان زميلي الأستاذ أرشد المدني، أحد كبار أساتذة دارالعلوم حالياً، سكرتير تحرير الجريدة، بينما أسندت إلي رئاسة تحريرها. و كنا نهتم بقراءة ما يتوفر لنا من جرائد و مجلات صادرة باللغة العربية، و منها مجلة البعث الإسلامي. و كنت من المعجبين بسماحة الشيخ الندوي نتيجة اهتمامي بقراءة مقالاته المنشورة في هذه المجلة. و كنا نشاق لزيارته. و قد تناهي إلى علمنا ذات يوم أن سماحته موجود في مدينة ميرت

فسافرنا إليها أنا و صديقى الأستاذ عبد الله السورتى (أحد كبار علماء كوجرات، مدير مدرسة فلاح دارين بتركيسر) و قد استقبلنا سماحته ببشر و لطف و حفاوة، و أبدى ارتياحاً كبيراً لإصدارنا جريدة "اليقظة"، و شجعنا كثيراً على مواصلة العمل لتطويرها. كما تفضل سماحته بكتابة كلمة قصيرة تضمنت انطباعاته عن الجريدة، و قد نشرناها بعدد اغسطس ١٩٦١م من "اليقظة"، و هذا نصها:

"بسم الله الرحمن الرحيم"

"و بعد! فإن صور صحف و مجلات عربية من مؤسسات علمية و أوساط دينية في الهند رمز لإقبال الشعب الإسلامى الهندي على اللغة العربية من جديد، و شدة عنايته بها. و قد صدرت مجلات مختلفة في أزمان مختلفة في بيئات مختلفة يطول الحديث عنها، و لكن صور صحيفة باللغة العربية من دار العلوم ديوبند حادث يسترعى الانتباه و يثير الاهتمام، و يستحق التهنئة و التشجيع، و تُعقد به آمال كبار، لذلك نهني القائمين على شؤون هذه المجلة على نشاطهم و يقظتهم، و نتمنى لهم التوفيق و النجاح".

"إن الأعداد القليلة التي وقعت إليّ و كُتب لي الاطلاع عليها تدل - و لا شك - على جدارة منشئها، و على أنها نواة صحيفة أوسع و عمل أبرع. و قد أعجبت بخطها العربي الجميل و حسن الترتيب و سهولة اللغة. و كل ذلك يبشر بمستقبل أدبي زاهر، إن استمر العمل و تهيأت الأسباب، فلتقبل أسرة "اليقظة" تحياتي و تهنئاتي. وفقها الله و سدد خطاها.

أبو الحسن علي الحسينى الندوي

١٣٨٠/١١/٥هـ.

كانت هذه هي المرة الأولى التي تشرفت فيها بزيارة سماحته، و قد أعقبتها عدة لقاءات أتاحت لي فرصها بفترات غير متباعدة. ثم مرت فترة طويلة لم تسنح لي فيها مثل هذه الفرصة السعيدة، حيث شغلتنى شواغل، و طالت فترة الحرمان، فإله من حرمان و خُسران لا يُعوّضان.

عندما يريد أحد أن يكتب شيئاً عن شخصية علمية و أساليب كتابته. يحتار و يستصعب ذلك، إذا كانت آثاره العلمية قليلة جداً، غير أن الأمر يزداد صعوبة و استعصاء إذا كانت مؤلفاته كثيرة و متنوعة. و هذه هي المشكلة التي واجهتني لدى اعتزامي كتابة هذه السطور. فمن حق أي مفكر مؤلف غزير الانتاج مثل سماحته أن يَكْتُبَ عن أساليبه الأدبية إلا من درس مؤلفاته دراسة فاحصة تُمكن المنتبِع من الاستنتاج و التعقيب و الاستشهاد، على نحو أفضل و أمثل حين قيامه بالكتابة.

و قرأت فعلاً كتاب سماحته: "روائع إقبال"، فأعجبت بأسلوبه الأدبي الرائع إعجاباً كبيراً. و إن أي شخص أوتي نصيباً من الفكر و الذوق للأدب العربي لن يتردد في القول بأنه لم يكن من الممكن تفسير كلام الشاعر الدكتور محمد إقبال و نقله إلى العربية بأسلوب أروع و أقوى، و على نحو أبلغ و أرقى مما نقله به سماحة الشيخ أبو الحسن علي الحسيني الندوي نقلاً أميناً مقروناً بالشرح و الإيضاح.

فقد وصف إقبال، الذي كان شديد الانتقاد لنظام التعليم الحديث، الجيل الذي نهل من مناهل هذا النظام، و نقله إلى العربية شيخنا الأديب الأريب الندوي، فجاء تصويره على النحو التالي:

"إن الشباب المثقف فارغ الأكواب، ظمآن الشفتين، مصقول الوجه مظلم الروح، مستنير العقل، كليل البصر، ضعيف اليقين، كثير اليأس، لم يشاهد في

هذا العالم شيئاً. هؤلاء الشبان أشباه الرجال، و لا رجال، ينكرون نفوسهم و يؤمنون بغيرهم. يبني الأجانب من ترابهم الإسلامي كنائس و أديارا. شباب ناعم، رُخو رقيق في الشباب كالحرير، يموت الأمل في مهده في صدورهم، و لا يستطيعون أن يفكروا في الحرية". (ص: ٦٠)

و لا يخفى ما في هذه العبارة المسبوكة بجمل و تراكيب متساوقة متناسقة، من روعة البيان و قوة التأثير. و يمضى شيخنا الأديب الندوي في نقل كلام شاعر الإسلام فيقول:

"إن الأفرنج قد قتلوه (أى الشباب المثقف بالثقافة العصرية) من غير حرب و ضرب، عقول وقحة، و قلوب قاسية، و عيون لا تَعَفّ عن المحارم، و قلوب لا تزوب بالقوارع. كل ما عندهم من علم و فن، و دين و سياسة، و عقل و قلب يطوف حول الماديات قلوبهم لا تتلقى الخواطر المتجددة. أفعارهم لا تساوى شيئاً. حياتهم جامدة واقفة متعطلة". (ص: ٦١)

يتبين لمتأمل في العبارة أن الكلمات التي ينتقياها الشيخ الأديب المفكر الندوي هي من أحسن ما يمكن انتقاؤه للتعبير عن مثل هذا المعنى، و عندما يستخدمها في صياغة العبارة يضعها في مواضعها وضع صانع ماهر مصفوفة متراسة، إذا أدخل عليها تعديل أو تصرف فيها متصرف، فقدت ترابطها و تلاشت فصاحتها.

و فيما يلي نموذج آخر من النثر الأدبي الرائع للشيخ الأديب الندوي يعبر فيه عن فكر إقبال قائلًا: "يتمنى الدكتور محمد إقبال للإسلام جيلاً جديداً، شبابه طاهر نقي، و ضربه موجع قوى. إذا كانت الحرب فهو في صولته كاسد الشري، و إن كان الصلح فهو في وداعته كغزالي الحمي، يجمع بين حلاوة العسل و مرارة

الحنظل. هذا مع الاعداء وذاك مع الاولياء. إذا نكلم كان رقيقاً رفيقاً. وإذا جد في الطلب كان شديداً حفيظاً. وكان في حالتي الحرب و الصلح عفيفاً نزيهاً. أماله قليلة. ومقاصده جليلة، غني القلب في الفقر، فقير الجسم و البيت في الغنى، غيور في العسر، رؤوف كريم عند اليسر. يظما أن أبدى له الماء مئة. ويموت جوعاً إن رأى في الرزق ذلةً. إذا كان بين الأصدقاء كان حريراً في النعومة. وإن كان بين الاعداء كان حديداً في الصلابة. كان طلاً و ندىً، تتفتح به الأزهار، و ترف به الأشجار. و كان طوفاناً تصطرع به الأمواج و ترتعد له البحار. إذا عارض في سيره صخوراً و جبلاً كان شلاً. و إن مر في طريقه بحائق كان ماءً سلسلاً." (ص: ٧٠)

نتميز هذه العبارة بأسلوب أدبي قوى حيث أفرغت فيها المعاني الجزلة في قالب من جمل و تراكيب تناسبها ضخامة و جلجلة و فصاحة، كما أن المعاني الرقيقة المستملحة قد أفرغت في قالب من ألفاظ تلائمها رقة و عنوبة و سلاسة. فإن جملاً و تراكيب مثل: "كان طوفاناً تصطرع به الأمواج، و ترتعد له البحار" و مثل: "و إذا عارض في سيره صخوراً و جبلاً كان شلاً" تنطوى على كلمات لها رنين وطنين. أما التراكيب مثل "كان طلاً و ندى تتفتح به الأزهار، و ترف به الأشجار" و "ماء سلسال" و "حرير في النعومة"، و "غزال في الوداعة" و "حلاوة العسل" كلها تراكيب و ألفاظ تفيض روعة و سكينة و حلاوة تلائم المعاني المستملحة اللطيفة.

و مما جاء تحت عنوان "حديث الربيع": خيم سلطان الربيع. و انتشرت جنوده في رحاب الصحراء و أودية الجبال. و قامت دولة الزهور و الرياحين. و دبت الحياة إلى الصخرات و الحجارة، حتى كانت تنطق و تنطلق. و غشيت العالم سحابة من المرح و السرور، حتى أبت الطيور أن تستقر في أوكارها

مرحاً. و انطلقت عيون الجبال تميمس و تنساب كالحيات في الصعيد، تدب احياناً و تجري برفق و هدوء، و تتدفق أخرى و تجري بقوة و سرعة، و إذا حبسها حابس فلقت الصخور و الهضبات، و شقت طريقها إلى الامام. و إنها بحزيرها الدائم تغنى نشيد الحياة و ترصد حقائقها". (روائع إقبال ص: ١٦٣)

تمثل هذه الفقرة أيضاً الأسلوب الادبي البارع القوي لسماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسيني الندوي، فهي تحتوي على جمل و تراكيب في غاية من الروعة و البراعة و قوة التأثير. إذا أنها تصور منظرأ طبيعياً خلاقاً تصويراً يكاد يجسد هذا المنظر و يُخيل إلى القارئ و كأنه أمام منظر واقعي جميل ساحر فيتجاوب مع نغمات الطيور التي أبت أن تستقر في أوكارها مرحاً، و يتفاعل مع نشوة الزهور و الرياحين و تدب الحياة في كل ما حوله من صحراء و أودية و جبال و صخور و هضاب و نجاد و وهاد، و عيون تتدفق منها المياه فتتحول شلالاً في أماكن، و تنساب انسياباً هائلاً في أماكن أخرى. و يتمتع القارئ الذي يشعر و كأنه المشاهد للمنظر و يسري النشاط في أحشائه، و تجيش عاطفته و تخطر على باله خواطر، و تفيض قريحته إذا كان كاتباً، و تهيج شاعريته إذا كان شاعراً.

إن أي كاتب يملك قدرة هائلة على استخدام تعبيرات قوية متنوعة بحكم غزارة مادته من العلم و الفكر و اللغة التي تطيعه تعبيراتها و كلماتها و تأتيه تنترى متدفقة من معجم ذاكرته للمفردات، مثل سماحة الشيخ أبي الحسن علي الندوي، لا يستريح لقيود تحد من حريته مثل قيود تفرضها الأمانة في الترجمة و الدقة في نقل الكلام من لغة صاحبه إلى لغة أخرى، لذلك يلاحظ قارئ كتاب "روائع إقبال" أن ما كتبه سماحته – و هو يغطي جزءاً كبيراً من الكتاب – للتعريف بالشاعر و التمهيد لشعره أو التعقيب عليه لشرحه و تفسيره لا يعادل

أسلوبه الأدبي القوى المؤثر فيما نقله من كلام الشاعر إلى القالب العربي فحسب بل يفوقه أحياناً بما فيه من تعبيرات و تراكيب أروع و أقوى استخدمها و هو طليق حر غير مصفد بقيود لا تتمش مع فيضان قريحته و هو يكتب عن فكر شاعر أحبه لأنه رآه يوافق هواه، و يعبر عن ضميره و خواطره و ينسجم مع عقيدته و تفكيره و يتناغم مع عواطفه و مشاعره.

فيقول سماحته مثلاً: (و قد لا أكون موفقاً في الاختبار حيث يمكن اختيار ما هو الأروع إذا أُعيت قراءة الكتاب) إن إقبال تخرج من مدرستين: مدرسة الثقافة العصرية و الدراسات الغربية، و مدرسة القلب و الوجدان، و يتحدث عن هذه المدرسة قائلاً: "إنها مدرسة ما خاب من تعلم فيها و ما ضاع من تخرج منها.. إنها مدرسة لم تخرج إلا أنمة الفن المجتهدين، و واضعي العلوم المبتكرين، و قادة الفكر و الإصلاح المجددين، الذين يشغلون المدارس و رجالها بتفهم ما قالوا، و دراسة ما كتبوا، و شرح ما خلفوا، و تحليل ما ألفوا و تأييد ما أثبتوا، و تفصيل ما أجملوا، فيتكون من كلمتهم كتاب و من كتابهم مكتبة... إنها مدرسة ما تُعَلَّم التاريخ بل تلد التاريخ، و ما تشرح الفكرة، و ما تنتخب الآثار بل تنتج الآثار، إنها مدرسة توجد في كل زمان.... إنها تولد مع الإنسان، و يحملها الإنسان في كل مكان، هي مدرسة القلب و الوجدان، هي مدرسة تُشرف عليها التربية الالهية و تمدها القوة الروحية". (روائع اقبال ص: ٣٧)

و يقول سماحته و هو يتحدث عن عوامل ساهمت في تكوين سيرة إقبال و عقليته و شخصيته:

"كانت هذه المعرفة من كبار أنصار شخصيته و رسالته، و مما انتفع به الإسلام انتفاعاً عظيماً، و قد عصمت الشاعر من التيه الفكري و الهيام الأدبي

الذين يصاب بهما أدباؤنا و شعراؤنا و كتابنا و علماؤنا! فينتجعون كل كلا، و يهيمنون في كل واد، و يكتبون في كل موضوع وافق عقيدتهم أم لا، و يمدحون كل شخص" (ص: ٥١)

و يقول سماحته في مقدمة الكتاب: وجدته شاعر "الطموح و الحب و الإيمان".... كلما قرأت شعره جاش خاطري و ثارت عواطفي، و شعرت بدبيب المعاني و الاحاسيس في نفسي و بحركة للحماسة الإسلامية في عروقي.

و يمر القارئ بتجربة غريبة أثناء قراءة هذا الكتاب فهو يتأثر منذ البداية بالمكانة الفكرية و الأدبية لشخصيتين معاً.. شخصية الشاعر و شخصية المترجم و الشارح لشعره و كلما يتقدم في القراءة كلما يزداد هذا الشعور بالتأثر، و يُخيل إليه و كأنهما يتجاوبانه و يحاول كل منهما أن يفرض عليه سلطانه و يستأثر بإعجابه، عن غير عمد في صراع غير متعمد، منشود محمود، غريب من نوعه.

و ما أصدق ما قاله فضيلة الشيخ محمد رابع الحسني الندوي عن هذا الأثر الأدبي في كلمته التي تتصدر الكتاب من أن سماحته يعرض فكر شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال خير عرض و أصدق. كما أنه يقدم نماذج شعره منقولة إلى العربية نثراً بأدق ترجمة و أروعها يتبينها المطلع على اللغة العربية و اللغة التي عبر فيها الشاعر عن تأملاته و أفكاره، فإنه سيرى فيها الدقة و القدرة على النقل الأمين و الروعة البيانية و ذلك لأن المؤلف كان يقرأ الشعر أولاً بإمعان و ينفعل معه انفعالاً فكرياً و أدبياً ثم كان يصوغه بقالب مشابه لأصله دقةً و بياناً، فأصبح الكتاب بذلك نموذجاً رائعاً جداً للتعريب... لم يعد به الكتاب استعراضاً لفكر الشاعر وحده بل صار نقلاً لبيانته الشعري أيضاً و نصوصاً أدبية بذاتها في اللغة العربية.

و إنني إذاؤكد هذا الرأي الذي يتوافق مع رأيي و انطباعاتي عن "روائع إقبال" أقول إن هذا الكتاب إذا كان يحتوي على روائع شعر إقبال المعبر عما جبل عليه المؤلف من "الطموح و الحب و الإيمان" فإنه يحتوي في الوقت نفسه على روائع أدبية (و فكرية كذلك) لسماحة الشيخ أبي الحسن علي الندوي، غير أن روائعه الأدبية و الفكرية ليست مقصورة على هذا الكتاب – و ينطبق ذلك أيضا على روائع الشاعر – فحسب بل أنها منبثة في مؤلفاته الكثيرة القيمة.

إن كل موضوع يقتضى أن يعالج بأسلوب خاص به. و ليس بإمكان كل كاتب أن يراعى هذا الأمر فينصف موضوعا يختاره وافيًا بهتطلباته. أما الكاتب القدير مطاع اللفظ و الأسلوب فإنه يتبع في كل موضوع ما يلائمه من أسلوب من بين أساليب أدبية متنوعة تختلف حسب اختلاف ما للمعاني من العمق و القوة و الجزالة أو اللطف و الجمال و الاستملاح. و لا يأتى أي أسلوب للكتابة إلا من خلال ما يستعمله الكاتب من تعبيرات و تراكييب فهي قوام كل أسلوب. و من ذلك نجد من الأساليب ما هو أسلوب أدبي ساحر يفتن القارئ و يبعث النفس على النشاط و السرور، و يحرك العواطف و الخواطر. و يمثل كتاب "روائع إقبال" أحد النماذج الرفيعة المستوى لهذا الأسلوب.

و من الأساليب ما هو رصين رزين يغلب عليه طابع التاريخ إذا كان الموضوع المعالج به مما يتصل بالأحداث و الوقائع التاريخية. و هو ما نجد مثاله، بل خير مثال لذلك، في كتاب سماحة الشيخ الندوي: "إذا هبت ريح الإيمان" فقد انتهج سماحته فيه أسلوباً رفيعاً يختلف عن أسلوبه في "روائع إقبال". فيلاحظ القارئ أن هذا الأسلوب يتميز بغاية من الرصانة الرزانة فتندر فيه تراكييب مؤلفة من كلمات لها جلجلة و فخفة و يوجد في معظمه من الاتزان و الهدوء و التسلسل ما يتلاءم مع الموضوع الذي يعالج تاريخ الدعوة

و الجهاد في الهند في القرن الثالث عشر الهجري. و قد ألقى فيه المؤلف الكبير
أضواء على حياة قائد هذه الدعوة و الجهاد و الإمام السيد أحمد بن عرفان
الشهيد و سيرة أصحابه و رفاقه في أمانة تاريخية.

غير أن الأسلوب المتبع في هذا الكتاب ليس أسلوباً جافاً خشيباً نجده في
كتب التاريخ لأنه ليس كتاب تاريخ عام و إنما هو كتاب تاريخ للحركة و الدعوة
و الجهاد في سبيل الإسلام (و الوطن). و لذلك قلّلت إنه أسلوب كتابة التاريخ بئد
أنه في الوقت نفسه أسلوب يختلف نوعاً يقتضيه تاريخ الدعوة و الجهاد و ما
ينطوي عليه هذا التاريخ من أمجاد و بطولات و تضحيات... و هي مما ينفعل
معه المؤلف انفعالاً إيمانياً دعوياً، فإن نفسه كانت مطبوعة – باعتراف منه –
على "الطموح و الحب و الإيمان" تندفع اندفاعاً قوياً إلى كل ما من شأنه سيادة
الإسلام و تسخير هذا الكون لصالحه. و من هنا فإننا نلاحظ أن أسلوب سماحته
في هذا الكتاب رغم تميزه بالرصانة أو الصبغة التاريخية تتجلى فيه أيضاً
مسحات من قوة البيان و حماسة الإيمان. و لا أستطيع أن استشهد على ذلك
بإيراد مقتطفات من الكتاب لا يتسع لها المكان فاكتمى بالإشارة إلى قبسات
قصيرة.

من المعلوم أن كل موضوع له تشعبات و بعضها بمثابة ثنايا طريق من
الطرق بالنسبة لصلب الموضوع. و يغير الكاتب القدير أسلوبه عندما يعالج
تشعباً من هذه التشعبات، فإذا احتاج إلى وصف مكان و موقعه و ما في طريقه
من وعورة و وعثاء استخدم أسلوباً يلائمه. و تظهر هذه البراعة في كل ما كتبه
شيخنا الكاتب القدير، و مما يدل عليه قوله مثلاً: و يمرون بشعوب و قبائل لا
يفهمون لغتها و لا تفهم لغتهم. و قد لا يجدون إلا أباراً قد غار ماؤها و مَلَحَ ملوحة
شديدة لا يجدون غيره يبلّون به غلتهم، و يُسْقُونه ماشينهم. و قد يضطرون إلى

حفر آبار و حُفّر في أنهار مألحة يفيض ماؤها بسرعة. و يمرون في طريقهم الطويل الذي يمتد على مئات من الأميال برمال وعاء و أرض تكثر فيها الوهاد و النجاد، و تلال من الرَّمْل يتعب الإنسان فيها إذا مشى خطوات قليلة. (٦١)

و عندما نقرأ مثل هذه العبارات يخيل إلينا و كأننا نقرأ كتاباً من أجود كتب الجغرافيا وضعها كتاب من ذوى الخبرة و التخصص في الموضوع.

أما أسلوب المفكر العلامة الندوي في كتابه: "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين"، باكورة مؤلفاته فإنه أيضاً يتميز و يتكيف بالمباحث فيتنغير لأن موضوع الكتاب هو تاريخ و تفكير و تحليل و استنتاج. و تنعكس هذه العناصر على الأسلوب مجتمعة تارة، و على أفراد تارة أخرى، و فوق ذلك كله هناك عنصر هام آخر يُكسب هذا الأسلوب صفة متميزة، و ذلك العنصر يتمثل في حرص المؤلف على سيادة الإسلام و الإيمان بخلود رسالته. فهو يدرس التاريخ دراسة موضوعية ثم يحلل حصاد دراسته تحليل باحث إسلامي و يستنتج من زاوية نظره الإسلامية النزينة بأسلوب علمي متميز لا تحامل فيه و لا تعصب.

و لا حاجة بنا إلى أن نستشهد على ذلك بإيراد مقتطفات من هذا الكتاب الشهير فهو غني عن التعريف به، كما لا يسعه المقام، لذلك أرى الاكتفاء بنقل جزء من مقتطفات أوردتها المرحوم الأستاذ سيد قطب في "ظلال القرآن" ضمن تفسير لسورة العصر قبسها من الكتاب في البحث قائلاً:

"يقول الأستاذ أبو الحسن الندوي في كتابه القيم: "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين"... عن هذه القيادة الخيرة الفذة في التاريخ كله، و تحت عنوان "عهد القيادة الإسلامية": الأئمة المسلمون و خصائصهم: ظهر المسلمون و تزعموا العالم. و عزلوا الأمم المزيفة من زعامة الإنسانية التي

استغللتها و أساءت عملها و ساروا بالإنسانية سيراً حثيثاً مترناً عادلاً. و قد توفرت فيهم الصفات التي تؤهلهم لقيادة الأمم و تضمن سعادتها و فلاحها في ظلهم و تحت قيادتهم..

و أحنف جزءاً طويلاً مما نقله الأستاذ سيد قطب مكتفياً بالجزء الأخير منه:

"إن الإنسان جسم و روح، و هو نو قلب و عقل و عواطف و جوارح، لا يسعد و لا يفلح و لا يرقى رقىاً مترناً عادلاً حتى تنمو فيه هذه القوى كلها نمواً متناسباً لائقاً بها، و يتغذى بها غذاء صالحاً. و لا يمكن أن توجد المدنية الصالحة البتة إلا إذا ساد وسط ديني خلقي عقلي جسدي يمكن فيه للإنسان بسهولة أن يبلغ كماله الإنساني. و قد أثبتت التجربة أنه لا يكون ذلك كانت إلا إذا كانت قيادة الحياة و إدارة دفة المدينة بيد الذين يؤمنون بالروح و المادة، و يكونون أمثلة كاملة في الحياة الدينية و الخلقية. و أصحاب عقول سليمة راجحة و علوم صحيحة نافعة". (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص: ١١٩)

صحيح أن الكتابة حول أي موضوع تتطلب اتباع أسلوب خاص به، و لا يقسنى مراعاة ذلك إلا للكاتب قدير مثل سماحة الشيخ النووي. فقد تميزت أساليبه عن بعضها البعض من كتاب إلى آخر حسب موضوعه، و لكنها ليست متباينة و إنما هي متميزة بعضها عن بعض تميزاً يمتشى مع الموضوع. و لابد من أن يؤخذ بعين الاعتبار أن هناك روحاً جوهرية تلازم هذه الأساليب و لا تفارقها و إذا فارقتها فلا يطول فراقها.. و لعل هذه الروح الجوهرية تتمثل فيما تفيض به مؤلفاته و كتبه من حيوية و حماسة للإسلام لأنه يكتب – كما أشار إليه الأستاذ فاروق حماده في التنويه بأساليبه سماعته – بمداد الفؤاد و نور اليقين الذي حلا أقطار قلبه.

ويقول الدكتور شكرى فيصل عضو المجمع العلمي العربي بدمشق (و أستاذ جامعة دمشق و المدينة المنورة) بصد حديثه عن مميزات كتاب "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين": إن سماحته يستثمر التراكيب القرآنية و العربية استثماراً واسعاً و يختار العناوين و يلونها اختياراً و تلويها طريفيين. و اعتقد أن هذه ملاحظة هامة تعبر عن ظاهرة ليست مقصورة على هذا الكتاب و إنما هي ظاهرة عامة من أسلوب سماحته.

و من المعلوم أن كتب سماحة الشيخ النووي كثيرة و متنوعة و هي على كثرتها و تنوعها إسلامية علمية فهي تمثل ركناً هاماً من المكتبة الإسلامية. و من حقه - كما قلت في البداية - أن لا يكتب عن أساليب الأدبية إلا من اطلع على جميع مؤلفاته و سبر غورها.

أما بالنسبة لي فإن مؤلفات سماحته تمثل مدرسة بكاملها. و أنا اعتبر نفسي طالبا مبتدئاً منها. فلم يكن بإمكان طالب مثلي أن ينصف مثل هذا الموضوع الهام. و لكن محاولتي هذه للإسهام فيما كُتب حول مؤلفاته ستكون شهادة تثبت التحاقي رسمياً بهذه المدرسة، و إذا قدر لي التخرج من هذه المدرسة الفكرية العلمية الأدبية فإنني قد أتمكن - بإذن الله - من ابداء آراء و ملاحظات يمكن أن يحسب لها حساب.



أبو الحسن الندوي

نظرة في كتابه

(ماذا خسر العالم بالانحطاط المسلمين)

بقلم: الدكتور محمد رجب البيومي

روع العالم الإسلامي بوفاة الداعية الكبير الأستاذ أبي الحسن الندوي، وقد كتبت عنه ترجمة مفصلة ستنتشر في مجلة الأزهر، ولكني الآن أفرد هذا المقال للحديث عن كتابه الشهير "ماذا خسر العالم بالانحطاط المسلمين".

فما أنكر أن كتاباً ملك عليّ مشاعري و استثار الأعماق الدفينة من وجداني كهذا الكتاب فقد كنت أقرأ مبهور الأنفاس مضطرم المشاعر و كنت أقطع القراءة لحظات لأصعد أمة مكظومة أو أجفف دموع حائرة في الجفن إذ أنّ الكاتب الكبير. و كان حينئذ في صدر شبابه. قد ملك من الأسلوب المنطقي المؤيد بالحجج ما دلّ على رسوخ كبير في موضوعه و هو موضوع العالم جميعه قديماً و حديثاً، شرقاً و غرباً، لأن الشمول المحيط بتاريخ العالم قبل الإسلام و بعده قد فتح أمامي صفحات واسعة أرى فيها تسلسل التاريخ المطرد من مصبه إلى منبعه و كيف كان الإسلام ضوءاً مشعاً غمر العالم كله بنوره بعد أن كان يموج في ظلمات دامسة ما لها من انقشاع هذا في عهد ازدهاره، أما في عهد (انحطاط المسلمين) و الانحطاط لفظ اختاره الكاتب ليعبر عن المأساة الاليمة الموجهة

التي يحملها في نفسه من جراء تأخر المسلمين، وقد أزعجني هذا اللفظ على صحة معناه و موافقته للواقع الملموس، فكنت أؤثر أن يخفف من وقع مدلوله فيكون عنوان الكتاب ماذا خسر العالم بانحدار المسلمين، أو بتأخرهم، و أخال الرجل العظيم كان صريحاً في إيضاح الحقائق المؤلمة من تأثيرها باستبدال لفظ مكان لفظ، أقول أما في عهد الانحدار و توثب أوربا لقيادة العالم، فقد أراح الكاتب عنا معشر المسلمين ما نشعر به من مركب النقص إزاء أوربا لأن أبواقها في الشرق و الغرب قد جعلت مدنيتهما المثل الأعلى للتقدم البشري، و أهاب النيول لدينا نبأ أن نخضع لتأثيرها الكلي في كل اتجاهات الحياة، و لا يعنون مجاراة أوربا في النهوض الصناعي و الإكتشاف العلمي في شتى فروعته المختلفة، فهذا ما نريده، و لا نراه وقفنا على أوربا و حدها، فإنها كما نعلم و كما أشار الكاتب قد اقتبست عناصر نهضتها من مدنية الشرق، و نقلت عنه آدابه و علومه حين كانت تغوص في بحر الظلمات، ثم نام العرب بخاصة و الشرق بعامة عن واجبهم العلمي حين أفاقوا أوربا من سكرتها، فسبقت سبقها الظافر مادياً لا معنوياً لأن السبق المعنوي الظافر لم ينتج لامة في الشرق و الغرب غير أمة الإسلام التي جعلت الأحمر و الأبيض و الأسود سواء في شريعة الله و لا فضل لعربي على أعجمي إلا بتقوى الله، هذا المستوى الحضاري الرائد لم تبلغه أوربا الهاجمة إلا بدباباتها و طائراتها و قذائفها النارية و غازاتها السامة، على شعوب الضعفاء في افريقيا السوداء و آسيا الجريحة لتنهب ما في ثرواتها من ركاز و ما تضمه أراضيها من كنوز دون أن ترقى بهذه الشعوب المسكينة، لأنها تؤمن بالطبقات الفاصلة بين قارة و قارة، و أمة و أمة، أما المسلمون فينظرون إلى مآسى الدول الغاشمة المتجبرة و يرمون في أسف قول القائل:

ملكنا فكان العفو منا سجية

فلما ملكتم سال بالدم أبطح

و قد كنت أتهم نفسي في شدة إعجابي بهذا الكتاب المبدع، و لولا أن الإعجاز وقف على كتاب الله وحده، لقلت إنه الكتاب المعجز، و لكني رأيت كبار الكتاب المنصفين يقولون ما أقوله، و في طليعتهم أستاذي الكبير الدكتور محمد يوسف موسى الذي قال في مقدمة الطبعة الثانية من هذا الكتاب: "أشهد لقد قرأت هذا الكتاب حين ظهرت طبعته الأولى في أقل من يوم، و أغرمت به غراماً شبيداً حتى لقد كتبت في آخر نسختي و قد فرغت منه إن قراءة هذا الكتاب فرض على كل مسلم يعمل لإعادة مجد الإسلام، و كل هذا قبل أن أعرف المؤلف الفاضل، فلما سعدت بمعرفته و الحديث معه مرات عديدة عرفت أن مرد هذا كله. فوق ما فيه من ثمرات التوفر على البحث و نشدان الحق إلى معرفة الكاتب بالإسلام معرفة حقة، و أخذ نفسه في حياته به، و الإخلاص في الدعوة الصحيحة له، و أزيد على قول الدكتور محمد يوسف موسى فأقول: "إن التوفيق لم يرجع إلى معرفة الكاتب بالإسلام معرفة حقة فقط، بل يرجع مع ذلك إلى معرفة بالبلاء الثقيل الذي عم العالم بمجافاته الإسلام، و الذي مكّن الغرب أن يتحكم بقوته الباطشة في الشعوب، و في أثناء الازدهار الباهر الذي غشى العيون متأثرة بمبذية الغرب كان المؤلف الشاب يلوح الدودة الكامنة في جذع الشجرة، و السوس السارب في ساقها و فروعها رغم ما يلوح من اخضرارها الزائف، و قد عملت هذه المهلكات المبيدة عملها في الشجرة الممتدة حتى ارتمت على الأرض طريحة حين قامت الحرب العالمية الثانية فأكلت أوربا أول ما أكلت، و الله لا يهدي القوم الظالمين.

بدأ المؤلف حديثه بالكارثة العظمى التي حلت بالعالم حين انحدار المسلمون، إذ لو قتر العالم جميعه هول هذه الكارثة لاتخذ اليوم الذي وقعت فيه

يوم رثاء و حداد، ولكن الحادث وقع تدريجيا فلم يفتن به إلا بعد أن تفاقم الهول، لان المسلمين لم يكونوا في دولتهم المزدهرة كغيرهم من الامم المتسلطة بل كانوا العافية لجسم الإنسان، فهم روح الجسم البشري و حملة رسالة الانبياء، ولتأكيد هذه الحقيقة بدأ المؤلف الكبير يتحدث عن العالم قبل الإسلام، فلم يقتصر على ما كان في دولتي الفرس و الروم و الجزيرة العربية كما تعلمنا في كتب التاريخ، ولكنه امتد بنظرته إلى العالم جميعه.. و إلى الطوائف الدينية من يهود و مسيحيين و هندوس و بونيين حتى انتهى إلى قوله إنه لم تكن على ظهر الأرض أمة صالحة المراج، و لا مجتمع يقوم على الفضيلة، و لا دين صحيح يتصل بالسماء دون انحراف... و كان الخلاص من هذا البلاء على يد الإسلام... إذ كانت دعوته عالمية و إن نشأت في محيط الجزيرة العربية، كان خطاب رسول الله صلى الله عليه و سلم لنفس البشرية أيا كان موقعها، و كانت أمته العربية لانحطاطها أحق الامم بأن تواجه الإصلاح العظيم... و هي على ما اكتنفها من شرور أصلح الامم للقيادة الجديدة لأن شرورها أهون من شرور غيرها، و إن كان المثل يقول ليس في الشر خيار، لقد كانت الديانات قبل الإسلام سطحية تافهة، يسجد فيها الإنسان لصنم يصنعه، و لكن الإسلام جاء المعجزة الكبرى و هي (الإيمان) هذا الإيمان الذي علم المسلمين و خز الضمير و محاسبة النفس، و عدم الخضوع لكائن بشري مهما كان ملكه لأن الله فوق كل شيء، و بذلك نقلهم الإيمان من الانانية إلى العبودية الخاصة بخالق الكون وحده، أما رسول الله صلى الله عليه و سلم فقد حول خامات الجاهلية إلى عجائب الإنسانية حتى لقد انطبق عليهم قول الله (أفمن كان ميتاً فأحييناه و جعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها) و من عجائب هذه الإنسانية عمر بن الخطاب الذي كان يرعى الإبل لأبيه الخطاب غافلاً عما حوله، فإذا به بعد الإسلام يلقي الدروس الخلقية على أمم التكبر و الاستعلاء من فرس و روم، و خالد يصبح سيفاً

من سيوف اللّٰه يقهر أعظم القواد في فارس و الروم معاً أبو عبيدة و سعد و عمرو بن العاص وغيرهم كثير كثير، يقول المؤلف (لقد صنع النبي صلى اللّٰه عليه و سلم من هؤلاء كتلة لم يشاهد التاريخ البشري أفضل منها، و هم كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفاها، و سر نجاحهم مهم أنهم لم يكونوا قادة و حكاماً بغير أصول خلقية رد تبتع من القرآن، و لم يكونوا خدمة جنس و شعب يسعون لرفاهيته وحده كمستعمري الغرب، و قد علموا أن الإنسان جسم و روح، و عقل و قلب و عواطف و جوارح و لا بد أن تنمو هذه القوى على نحو مناسب لا يطفئ فيه الجسد على الروح، و لا العقل على القلب، و قد كان من أثر الإسلام أنه أصلح المسيحية نفسها على يد من درسوا حقائق الإسلام، إذ رفض بعض النصارى عقيدة التثليث، و نشزوا عن الاعتراف الكهنّي، و دعوا إلى احترام المرأة تشبهاً بالإسلام و لكن زمام القيادة الإسلامية بعد عهد الخلافة الراشدة لم يسر في طريقه الطبيعي، إذ كان من المؤسف أن يتولى قيادة المسلمين رجال لم يحملوا عناصر القيادة الصحيحة، و تتابع الأمر.. و لكن إشراقات مضيئة ظهرت على يد عماد زكي و نور الدين زكي و صلاح الدين الأيوبي ممن قاوموا الصليبيين، و قد افتقد الإسلام أمثال هؤلاء القواد في محنته الحاضرة التي أصابته على أيدي الصليبيين الجدد في منتصف القرن التاسع عشر و ما يليه.

و قد خصص المؤلف فصلاً هاماً ليقارن فيه بين الحضارة الإسلامية و الحضارة الغربية الحديثة، فقال: إن الحضارة الغربية لها جنور أصيلة من حضارة الإغريق و الرومان و المادية هي سمتها الأولى، إذ أن الكسب و الابتزاز و الاستعمار هو هدفها الأول، و جاءت الشيوعية لتؤكد هذا النظر المادي، كما تغفل هذا النظر لدى الطبيعيين من أشياخ داروين الذين ينظرون إلى الكون على أنه تفاعلات متصلة و لا علة فيه سوى سنن الطبيعة، أما اللّٰه فغائب غير موجود، و بذلك ضاعت مبادئ الأخلاق و استراح القوم من وخز الضمير و زاد البلاء بظهور

القومية التي جعلت كل دولة تعتقد أنها أفضل الدول، وللأسف سرت هذه العدوى إلى الاقطار الإسلامية، عدوى التعصب للقومية متجالهة روح الدعوة الإسلامية التي أخت بين المسلمين، وكان من نتائج هذه النعرات القومية في الغرب أن أصبحت أوروبا معسكراً واحداً ضد الشرق كله، وقد ساعد الكشف العلمي الواثق إلى انتحار أورباء، لأن المخترعات الحديثة لم تتجه الوجهة الأخلاقية، بل اتجهت إلى التدمير والاستئصال.. وقد قدم أبو الحسن الندوي إحصاءاً دقيقاً يقرر أن جميع الغزوات والحروب في عهد رسول الله قد اتت على ١٠١٨ نفساً منهم ٢٥٩ مسلماً، أما المصابون في حرب سنة ١٩١٤م فقد بلغ عددهم ٢١ مليون نسمة والمصابون في حرب سنة ١٩٣٩م قد بلغ عددهم ٥٠ مليوناً، ولم تات هذه الالهوال إلا بسبب المخترعات المبيدة من آلات جهنمية تقشعر منها الابدان، لقد فقدت أوروبا الدين ففقدت التعادل بين القوة والأخلاق، والتوازن بين العلم والدين، فلم تنزل القوة والعلم في ارتفاع، والدين والأخلاق في انحطاط لأن البذرة العلمية التي القيت في تربة أوروبا في نهضتها لم تات عليها قرون حتى نبتت منها دوحة (خبيثة) ثمارها حلوة، ولكنها سامة، أزهارها جميلة لكنها شائكة، فروعها مخضرة ولكنها تنفث غازاً ساماً، لا يرى ولكنه يسمم البشر، ولا صلاح لأوروبا إلا باجتثاث هذه الشجرة من أصلها.

لقد تجدد رجاء الإسلام بظهور العثمانيين على مسرح الأحداث وفتحهم القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية، وتفرد الشعب التركي تحت حكم العثمانيين بالحماسة والطموح وتحلى بروح الجهاد، وسلم من الأدواء الاجتماعية، ولو تقدم الأتراك في فنون العلم لسبقوا أوروبا جميعها في قيادة العالم، ولكن أوروبا هي التي تيقظت من سباتها، ولم تضع الوقت الذي أضاعه المسلمون، ومع أخطاء الدولة العثمانية فقد كانت حصناً منيعاً للإسلام، وأخفقت كل محاولات اليهود معها لتكون فلسطين أرضاً يهودية، ولو لا سانس

الغرب ما قام العداء بين تركيا و العرب على الوجه المعروف مما أدى إلى بعثرة الشمل الإسلامي.

عاد النظام الجاهل بعد سيطرة أوربا، فأحدث دويه الإلحادي في الأمم العربية، وسرت شكوك الملحدين إلى العقائد الدينية، و أصبحت الدنيا سوقاً للبيع و الشراء فحسب، و تضخمت معدة الحرص في الإنسان حتى أصبحت لا تشبع و تدمورت الأخلاق إلى حد المجاهرة بالانحلال و البغاء، و أصبح ذهن العربي واقعاً تحت نفوذ العقل الأوربي بما يتيه الغليظة، و طرحت في أوربا كل تعاليم المسيح، ينتقل الوباء إلى الشرق فينادي المخدوعون بنذ تعاليم الإسلام لأنها مدعاة التأخر!! و بانسحاب المسلمين من معركة الكفاح أخذت أوربا تعلن وصايتها عليهم، حتى صاروا لا يملكون من أمرهم شيئاً، و الذين يحكمون البلاد سياسياً لا يبالون بغير النفع الخاص، و سبيله في رأيهم السير في التيار الأوربي، تابعين غير متبوعين.

و العلاج لهذه الانواء العاتية هو البعد عن أخلاق أوربا إلى أخلاق الإسلام، فالعالم في حاجة إلى هذا الدين السامح لينقذه من جاهليته الثانية، كما أنقذ الإسلام أمم العالم من جاهليتها الأولى عند ظهوره، و سبيل ذلك أولاً الاستعداد الروحي لتلقي المدد الأوفر من الثقة بالله، ثم العمل على التقدم العلمي في مضمار التصنيع و الاكتشاف و تفهم روح الإسلام التي غطتها أغشية المستشرقين و أنابهم حين دعوا إلى فصل الدين عن السياسة، و هتفوا بأن قوانين المجتمع لا تخضع لقواعد الدين، و بلغ الحد المضحك بأصحاب هذه النزعات أن يقولوا إن الحضارة الأوربية هي آخر ما وصل إليه العقل البشري من تمدين، و لابد من احتذائها شبراً فشبراً دون إنحراف، و متى تسمم الجو بهذه الأوبئة الضالة فلا بد من تنظيم العالم الإسلامي تنظيماً جديداً يتفق و روح الشريعة، و منهج القرآن،

و لا بد من الاستعداد الروحي و الصناعي و الحربي حتى يتقدم الشرق من جديد.

و العالم العربي له أهميته الكبرى في زعامة الإسلام، و اضطلاع به برسالة الإصلاح، فهو إلى جانب ثروته و مناخه و عروبتة، و مقدساته، ينظر إليه المسلمون نظرة رفيعة فهو مهد الإسلام و مشرق نوره و له تاريخه المجيد في الحضارة، و الدولة العربية كلها من حسنات محمد صلى الله عليه و سلم و لن يتقدم هذا العالم إلا بما تقدمت به الدعوة في أول عهدها، بالإيمان، و بالتضحية، و بالفروسية التي تعود الشباب على الخشونة و محاربة أدوات الإعلام الهابطة و أهمها الصحافة الماجنة، لقد أكرم الله العرب قديماً بقيادة الحاكم، و عليهم أن يعرفوا أن رسالتهم دائمة باقية فهبوا لأخذ الوسائل الحاسمة في الانتصار الحاسم، كي يقودوا العالم من جديد.

هذه خلاصة مركزة لصفحات الكتاب، و قد خلت من النبض الحار الذي تتوهج به سطور هذا الكتاب، إذ لا سبيل إلى إشعال هذا الوهج في صفحات رسالتها التلخيص، و اعترف أنني خالفت عادتي في التعليق على آراء الكاتب الذي أتعرض لمؤلفه لأن الكتاب منار هداية قد استثرت به و لا يعلق الإنسان على قول إلا إذا رآه مخالفاً لاتجاهه، و المؤلف القدير راند كبير في تحديد الاتجاه القويم، فليتنا نعمل على نقل أفكاره إلى دنيا العمل فنبلغ ما أراد لنا من سعادة و ارتقاء.

يقول الدكتور شكري فيصل في حديثه الممتع عن هذا الكتاب: "شيء آخر يمتاز به المؤلف و يرتفع به إلى مصاف كبار المفكرين المسلمين، و ذلك هو نظرتة الشاملة العالية إلى تطور الحياة الإنسانية، فإن الأبواب الخمسة التي كسر عليها الكتاب لتدل على هذا الأفق العالي الذي يجتنب التاريخ الإسلامي و التاريخ العام، و يركزه فيه، فمن خلال صفحات الكتاب تستطيع أن تصفى تاريخ الدولة الإسلامية و الدول الأوروبية من حيث الحياة الاجتماعية

و الدينية على السواء كما تلم بالخطوط العريضة للحركات الدينية، و بتلاقيها و توازيها و اقتراب بعضها من بعض، و بالاتجاهات و ما كان من انحدارها و ارتفاعها و من إشراقها و أفولها.

و قد تعددت طبعات الكتاب حتى بلغت بضع عشرة طبعة عربية و نفدت الطبعة الثالثة المترجمة للإنجليزية و الطبعة السادسة المترجمة للالمانية و الطبعة الثامنة المترجمة للفارسية و غير هذه اللغات مما لم أقف عليه، و معنى ذلك أن صيحة الأستاذ المؤلف صادفت أذاناً واعيةً و قلوباً ظامنةً فاثمرت ثمرها البهيج.



رجال الفكر و الدعوة في الإسلام

لسماحة الشيخ أبي الحسن علي الندوي

دراسة تحليلية موجزة

بقلم: أ. د. محمد اجتباء الندوي

الإسلام دين دعوة و إصلاح، و فكر و بناء و فلاح و نجاح، و هو درب قويم للخلق النبيل و السلوك الجميل، و منبع احسان و تزكية، و سياسة و اجتماع و معيشة و اقتصاد، و قيادة حكيمة و موعظة حسنة ملؤها المواساة و المساواة و الإخاء و الوفاء، لتكون الحياة في هذه الدنيا كريمة هنيئة، رغيدة مطمئنة، و في الآخرة أنعم و أنبل و أكرم و أعظم سمواً و رفعةً و علواً.

هذا ما أراد الله عز و جل للإنسان، و لأجل هذا أرسل أنبياءه و رسله (عليهم السلام) آخرهم نبينا محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم لينير الطرق و يهدي السبل، و سار على هذه الدروب المضيئة النيرة أصحابه الغر الميامين رضي الله عنهم، و هذا حنوهم الدعاة و المفكرون بعدهم عبر التاريخ الإسلامي، يسدون الخطى، و يقوّمون الإعوجاج، و يرشدون الغواة، و يصلحون الفساد و يسدون الثغرات و يلمّون الشعث و يجمعون الشتات و المشردين و يبثون الوعي و يهدون إلى الصراط السوى، و كاد خير القرون يعود على أنداجه، و يوشك الظلام تسدل الأستار إذ يشع نور يضيئه أول مجدد هذه

الامة، شاء الله ان يتولى سدة الخلافة الاموية من غير حسابان هو عمر بن عبد العزيز رحمه الله، فأجرى الامور في مدة قصيرة جدا إلى مجاريها، و تتابع الرجال للفكر و الدعوة و الإصلاح بسلسلة ذهبية محكمة نرى عراها من عمر بن عبد العزيز إلى الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بالشاه ولي الله الدهلوي رحمهم الله، هذا موضوعنا و هذه هي قصة الكتاب الذي دبجته ريشة قلم شيخنا ابي الحسن علي الندوي، الرشيقه الانيقه، و قدمته إلى دنيا العلم و الفكر و الدعوة بحبر من نور، و بمداد من الروح العلمية و البحث النقدي التحليلي و الدراسة العميقة الواعية، و التأملات التاريخية البعيدة الأغوار، الواسعة الأطراف و الاكفاف، سابراً غور النصوص التاريخية و العلمية و الادبية، مقتطفاً منها وروداً و أزهاراً ليقدم باقة جميلة إلى رحاب الدعوة و الإصلاح و البحث و العلم و الفكر و الفن، و البحث كله موضوعي لبس غير، لم يكتف سماحة المؤلف العلامة رحمه الله في إعداد الكتاب بأجزائه الاربعة بالإستفادة من كتب التاريخ و السير و التراجم بل بذل جهوداً مضنية في إدلاء دلوه إلى أعماق المؤلفات الأدبية و الثقافية و اللغوية و المواعظ الدينية و الخطب و المحاضرات و الأحاديث المتنوعة و كتب علوم القرآن و الحديث، و الدواوين و المجموعات التي صرت من العصر الاول إلى عصره، و بما أن المؤلف الكريم كان يتقن اللغات العديدة الأخرى غير العربية كالاربية و الفارسية و الإنكليزية و كان بوسعه أن يبحث عن بغيته بصدد التأليف عن هؤلاء الاعلام و رجال الفكر و الدعوة، حياتهم و أعمالهم و خدماتهم و تأثيرهم، فراجعها و انتفع منها و نقل قبسات و عبارات ليبرهن على آرائه بعد التعريب و الترجمة، و هذا ما جعل الكتاب وثيقة تاريخية مثالية لا يوجد مثيلها مجتمعة في المكتبة العربية الغنية السابقة، فتحول المؤلف هذا إلى موسوعة كبيرة

ضخمة لم تنحصر على حياة عالم و حركته و أعماله، بل ظهر أكثر جامعية شاملة، و أعم نفعاً، و أجدر بأن يتحلى بها كل مكتبة في العالم، فقد عذر المؤلف الفاضل المؤرخين الذين كانت دراستهم قاصرة مستعجلة و قال:

"و الذنب ليس على المؤرخين فقط، إن الذنب على من يقتصر على كتب التاريخ "الرسمي" و المصطلح، و لا يتعدى هذه الكتب إلى الكتب التي لا تحمل إسم التاريخ و لا توجد في ركن التاريخ في مكتبته، و لكنها مادة واسعة للتاريخ و مصدر قيم من مصادر التاريخ" ثم يعدد هذه المصادر و يسلط أضواء ساطعة عليها و يقول:

"فلو اتسعت الحراسة و شملت هذه المصادر المهجورة و تخصص" لهذا الموضوع باحث واسع الفكر صبور على المطالعة، دقيق في الملاحظة استطاع أن ينتج تاريخاً متصلاً شاملاً للإصلاح و التجديد و التفكير الجديد في الإسلام، يدل على أن الإصلاح و الكفاح مترافقان لهذه الأمة، لا يتخلفان عنها" (١)

و قد اختار سماحة المؤلف هذه الطريقة الصعبة التي أجهد نفسه في استخراج هذه اللآلئ و الدرر من المعادن الخبيثة و الكنوز المختفية عن عامة الباحثين و الدارسين، و هي ميزة المؤلف رحمه الله يمتاز بها عن غيره من المؤرخين قديماً و حديثاً، و قد دأب في الكتابة عن شخصية من الشخصيات المدرجة في الكتاب، فلا يدرسها دراسة إجمالية سريعة، بل يتحدث عن بيئته و مجتمعه و محيطه قبل حياته و في حياته و عن العوامل و العناصر المكونة لشخصيته، و عن خدماته، و مكارمه و آثاره و تأثيره في المجتمع الذي عاش فيه، ثم يستنتج من جميع ما تحثت عنها و يقدم نتائج و عطايا يستفاد منها في

حياتنا المعاصرة، وسماحة الشيخ رحمه الله في بحثه عن شخصية ورجل لا يحيد قيد شعرة عن الموضوعية والحياد، ولا ينحاز إلى شخصية ولا إلى فئة دون فئة وهو يصير على أن الآراء والأفكار النقدية والدراسة التحليلية لأي شخصية أيا كانت لابد أن تكون موضوعية وحيادية ملاحظاً لتلك البيئة والأجواء التي عاشت فيها وقدمت خدماتها لمن عايشوها وسأبروها في ذلك المجتمع، وتكون الموازين هي الموازين التي كانت سائدة في ذلك العصر، ويكون البحث مركزاً ومنصباً على نفس المقاييس والملازمات والأبعاد التي تعرف فيها، لا الموازين التي نحن نختارها في عصرنا هذا، ونجعلها شخصية معاصرة، فننتصدي لها ونبدي آراءنا جُزافاً بدون أن نعرف تلك الظروف ونقدر تلك الأوضاع ونحسب حساب الزمن الذي عاشوا فيها، وهذا ما يسوق الباحث إلى أخطاء فاحشة في تصوير الشخصية وأعمالها ومكارمها تصويراً واقعياً وعرضاً عرضاً حقيقياً بين يدي القراء والدارسين المعاصرين بل الجمهور الذي نتحدث إليه.

قد ينساق القارئ لمجموعة "رجال الفكر والدعوة في الإسلام" بأجزائها الأربعة، والخمسة في اللغة الأريية، بأن سماحة المؤلف حينما يقدم مفكراً من هؤلاء المفكرين يتحمس حماساً شديداً بل يتغنى بمكارمه وأثره ويعرضها كأنها لم تؤثر مثلها عن غيره من المصلحين والدعاة، فليس الخنب خنبه بل لأنه لم يدرك تلك الروح الدعوية والأسلوب العلمي والعرض الدعوي الذي يتحلى به الشيخ أبو الحسن الندوي، بل يمتاز ويتميز بين أقرانه من المؤرخين والباحثين، وتلك الروح هي روح الدعوة وروح إصلاح المجتمع، وعاطفة إنعاش النفس، وإيقاظ الضمير، وإرهاف الحس والشعور، وبث الوعي والدعوة إلى التحرك والنشاط والعمل الحيوي الفعال لأنه داعية مفكر قبل أن يكون باحثاً

و عالماً و أدیباً، و لكنه كما اشیر فیما اعلاه، لم یغفل طرفة عین عن البحث و الدراسة و الموضوعیة لأجل هذا نرى فی كل جزء من أجزاء كتابه یتقید بقواعد البحث العلمی سواء كان البحث عن الاسس و النظرات أم كان عن الشخیصة و خدماتها، أم عن إمام و فقیه أو عن مفكر و مصلح، أو یتحدث عن الإحسان و السلوك، و التربیة و التزکیة، أم یحكى قصة التتار و هجماتهم الوحشیة أو الصلیبیة و غاراتها الغارة أو الحملات المرهتیة و السیخیة و الزوطیة فی الهند، یقدم الوقائع كما هی ثم یناقشها و ینتقدھا و یحللھا بلین و لباقه و یأتی بنتائج و عوامل و اسباب و یقدم حلولاً أساسیة ناجعة.

و بما أن سماحة الشیخ الندوی رحمه الله كان داعیة و مصلحاً یرید أن ینشأ مجتمع صالح مثالی على منهاج النبوة، و تقوم دولة مثالیة على نهج الخلافة الراشدة، و تلك الروح تتجلى فی كل حدیثه عن هؤلاء الرجال الدعاة الصالحین فینسجم معهم و یتوافق، و یتحدث عن مكارمهم و خدماتهم بكل فخر و اعتزاز، فیهتز و یطرب و لكن بهوادة و جد، و لین و نبل و فطنة و لباقه، لانه كان معجباً بهؤلاء الافذاذ الاعلام اشد الإعجاب، یلخص مكارم الإمام أحمد بن حنبل فیقول:

"و لیس سر عبقریة أحمد بن حنبل فی دفاعه عن عقیده من عقائد الإسلام، و انتصاره لها" – و فضله لا ینکر – و لكن ماثرتة الكبرى التي اكسبته منصب التجدید، هو أنه وقف سدا منیعاً فی اتجاه هذه الأمة إلى التفکیر الفلسفی المتهور، الذي لو سيطر على هذه الأمة لانقطعت صلتها بالتدریج عن منابع الدین الأولى، و عن النبوة المحمدیة، و خضعت هذه الأمة للفلسفات، و أصبحت عرضة للأراء و القیاسات، و انتصرت الحكومة على الشعب، و السیاسة على الدین انتصاراً مؤبداً، و سلبت حرية الراى

و العقيدة، و لا شك أنها رزنية جليلة، و فتنة عظيمة في الإسلام، و قد قضى عليها أحمد بن حنبل و هي في شبابها و أوجها، و حفظ هذا الدين من أن يعبت به العابثون، و تتحكم فيه السلطة و الأهواء، و حفظ هذه الأمة من أن تكون في حضانة الملوك الشباب الثائرين المتهورين و حاشيتهم، يفرضون عليها العقائد فرض الجبايات و يسوقونها إلى أهوائهم سوق الغنم و البقرات، و رد إلى العقيدة الإسلامية كرامتها و أصلتها، و إلى الأمة حريتها و شخصيتها، فاستحق بذلك تقدير الإنسانية و ثناء المسلمين، و اعتراف الأجيال القادمة و إجلال التاريخ و أكباره، و كان من المجدين الكبار في الإسلام" (٢).

و إليكم نموذج آخر من مآثر الإمام الدهلوي يقول:

"و يمكن أن يكون سبب ذلك – عدا التوفيق و التقدير الالهيين – يرجع إلى مقتضيات ذلك العهد الذي عاشه و إلى ذلك الاحتواء و الشمول و علو الهمة، و المنهج الخاص للتعليم و التربية الذي خصه الله و قدره له و قد كان نتيجة كل ذلك أن الإمام الدهلوي قام بمآثره التجديدية و الإصلاحية في مجالات متنوعة من العلم و العمل حتى أن المترجم له و الكاتب في "تاريخ رجال الفكر و الدعوة في الإسلام" ليواجه الصعوبة في استيعابها و دراستها التحليلية و التفصيلية، و الذي يريد استيعاب هذه الجوانب و المجالات كلها فإن لسانه ينشد و يشكو بهذا البيت الفارسي المعروف الذي معناه:

"إن ذيل النظر ضيق و ورود حسنك كثيرة، و إن مقتطف ربيعك يشكو من ذيله الضيق" (٣).

كان سماحة الشيخ من المفكرين المعاصرين الذي غير بدراسته الموضوعية الواعية الموازين فقد كان العلم و الأدب البناء هو الأدب المثالي عنده، وقد كان الرجل المفكر الداعية الذي بذل مجهوده و روحه لتركيز القيم و تأصيل المبادئ الإسلامية مثالياً لديه فقد كان ابن تيمية و الحسن البصري و الإمام أحمد بن حنبل و الإمام ولي الله الدهلوي شخصيات مثالية لديه و اعتبرهم من الأبطال و العمالقة، و غيره من الباحثين المعاصرين عدا المأمون (الخليفة العباسي) و عبد الملك بن مروان جعلهم أبطال الإسلام و زعماءه، مثل هذا الإتجاه و المبدأ يتميز الشيخ الندوي عن غيره من المفكرين و الدعاة المصلحين، و هو يحتاج إلى دراسة واسعة عميقة مستوعبة شاملة.

و المؤلف يتوزع في أجزاء و فصول تالية:

الجزء الأول:

- ١ - الحسن البصري و خلفاءه
- ٢ - حركة التنوير في الإسلام و تنظيم الحياة على الأسس الدينية
- ٣ - الإمام أحمد بن حنبل
- ٤ - أبو الحسن الأشعري و خلفاؤه.
- ٥ - الانحطاط في علم الكلام و ازدهار الفلسفة الباطنية و الحاجة إلى متكلم جديد

٦ - حجة الإسلام الغزالي: حياته و دراسته

٧ - حجة الإسلام الغزالي ناقد للفلسفة و متكلم

٨ - حجة الإسلام الغزالي مصلح اجتماعي

٩ - الإمام عبد القادر الجيلاني: عصره، حياته و صفته، تأثيره

١٠ - الإمام عبد القادر الجيلاني: دعوته، إصلاحه، و فضله و فضل خلفائه
في تجديد الإيمان و الدعوة إلى الإسلام.

١١ - مولانا جلال الدين الرومي: مفكر مبتكر و مؤسس علم كلام جديد

١٢ - مولانا جلال الدين الرومي: داع إلى الحب و العاطفة، و احترام الإنسان
و الإنسانية.

الجزء الثاني:

شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: حياته و أعماله.

تلاميذه:

الحافظ ابن قيم الجوزية، ابن عبد الهادي، ابن كثير، الحافظ ابن رجب.

الجزء الثالث:

الإمام السرهندي: ثمانية أبواب .

الجزء الرابع:

الإمام الدهلوي: اثنا عشر باباً.

إنها السلسلة الذهبية التي وصلت جواهرها ريشة الشيخ الندوي رحمه
الله، الرشيقة الشقيقة، قَدَمَتها أولاً باقة جميلة جذابة إلى طلبة كلية الشريعة
و أساتذتها و أعيان البلد و مفكريه و المعنيين بتاريخ التجديد و المجتدين في

عدد ممتاز

الإسلام، بالجامعة السورية (جامعة دمشق) ثم أتمّها باسم (رجال الفكر و الدعوة في الإسلام) (٤).

ابتدأ سماحة الشيخ رحمه الله من القرن الأول الهجري و انتهى برجال القرن الرابع عشر الهجري في أربعة أجزاء تشتمل على ألف و خمس مائة صفحة تقريباً، و قد نشرت الجامعة السورية محاضرات الجزء الأول في طبعته الأولى، و تحلّت بمقدمة قيّمة بقلم استاذنا الحبيب الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله عميد كلية الشريعة بجامعة دمشق إذ ذاك، قال فيها:

"و هذا الكتاب الذي نقدّمه اليوم لقراء العربية صورة واضحة لأفكار الأستاذ الندوي و ميوله الإصلاحية، و لفهمه العميق للتاريخ الإسلامي و لروح الإسلام الصافية المشرقة، و ما علق بها - في العصور الأخيرة - من غبار، و ما أصابها من انحراف، و بذلك يسدّ هذا الكتاب ثغرة في دراسة التاريخ الإسلامي، كنا و مانزال نشعر بالحاجة إليها، إذ يتحسّث عن تاريخ الإصلاح في حياة المسلمين السياسية و الدينية و الاجتماعية في فترات من تاريخ الإسلام في الماضي، كما يعرض لنا صوراً واضحة لأبرز زعماء الإصلاح الإسلامي منذ العصر الأموي" (٥).

و قال سماحة المؤلف رحمه الله عن هذه المحاضرات التي طبعت في الجزء الأول:

"و إنني في هذه المحاضرات لا أدعي علماً غزيراً و لا اكتشافاً جديداً، كل ما حرصت عليه هو دراسة هذه الشخصيات من جميع نواحيها و إبرازها، و القول المتزن، و أن لا أقول شيئاً إلا عن اعتقاد و اقتناع مستنداً إلى حقائق التاريخ و شهاداته، غير مجازف في القول، و لا معتمد على

القياس و النزعة الفردية، و لم يكن شأني في ذلك شأن من يحدّد غاية ثم يخضع التاريخ لها، و ما أهون ذلك على مؤلف قدير و كاتب لبق" (٦).

و تحدث الداعية الإسلامي الكبير و المفكّر الفقيه العلامة الدكتور يوسف القرضاوي عن أهمّ الكتب التي ظهرت للشيخ رحمه الله فقال عن رجال الفكر و الدعوة في الإسلام: "و هو كتاب يعتبر نسيجَ وَخْده" و قال: "و هو - في الأصل - محاضرات عن كل شخصية من الشخصيات المجتّدة التي اختارها الشيخ" و ألقاها على طلاب كلية الشريعة في دمشق بدعوة من عميدها الداعية الفقيه الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله.

و قد أعدّها الشيخ الندوي إعداداً جيداً، و بينت مدى عناية الشيخ بالتاريخ الإسلامي، و مراحلها المختلفة، و عميق معرفته بخصائص الرجال المجتّدين للدين، و المؤثّرين في الأمة، و أن كلّاً منهم جاء في أوانه، و سدّ ثغرة لم يكن ليستّها غيره، و قد أتبع الجزء الأول بأجزاء بعد ذلك تحدّثت عن عدد من الاعلام، مثل الحافظ ابن تيمية و تلاميذ مدرسته، و الإمام السرهندي و خلفائه، و شيخ الإسلام وليّ الله الدهلوي (٧).

و يحلّولي أن أضّمّ إلى هذه القبسات الوضيئة كلمة جيدة من رسالة السيدة الفاضلة و الكاتبة الممتازة مريم جميلة، أرسلتها إلى سماحة الشيخ الندوي بعد تسلّمها الجزء الأول من سلسلة رجال الفكر و الدعوة في الإسلام، تقول:

"و أما كتابكم فهو كامل و محتوٍ على الموضوع مع رشاقة القلم و إمتاع الأسلوب، و خاصة بحثكم حول الهجوم التتري على العالم الإسلامي شيق و ممتع جداً.

فالحقيقة ان تأليفكم هذا مؤثر و ممتلئ بالحماس، و يشعل العاطفة و يصوّر التاريخ الإسلامي و الافكار الصحيحة تصويراً دقيقاً و يعرضها عرضاً صادقاً" (٨).

ورث شيخنا الندوي رحمه الله من عائلته الكريمة التنوّق التاريخي، و المَلَكَة المميّزة، و القدرة الكتابية الواضحة البيّنة للسّير و التراجم و وقائع التاريخ، و ورث كذلك الامانة العلمية و التاريخية متجنباً المحاباة و الجانية و الانحياز، فقد عرض الحوادث و الوقائع عرضاً أميناً صادقاً، و بالإضافة إلى ذلك اختص بروح نقبية تحليلية شاملة ميّزته عن الكتاب الآخرين الذين أرخوا للرجال و الشخصيات و أعمالهم و خدماتهم تاريخاً عاماً، و لم يتعرضوا للابعاد و الملابسات و البصمات التي تركوها على المجتمع الذي عاشوا فيه.

و أما سماحة الشيخ فقد ألقى نظرة جامعة شاملة بأراء توجيهية ترشيدية بحيث تجلّت روح زكية و معاني سامية تحرك في النفوس رغبة الإصلاح و التجديد على الأساس الإسلامي الصحيح، و قد حالفه النجاح و التوفيق بهذا الصدد خاصة.

و الكتاب بأجزائه الأربعة التي صدرت يحتوي على جهود المصلحين و المجتهدين من لدن سيدنا عمر بن عبد العزيز إلى مولانا جلال الدين الرومي في الجزء الأول، و الجزء الثاني يخصّ الإمام ابن تيمية و تلاميذه، و الجزء الثالث يتحدث عن الإمام أحمد السرهندي و أصحابه في الهند، و الجزء الرابع يشتمل على مجهودات الإمام ولي الله الدهلوي و أبناءه في الهند.

الهوامش:

- ١ - رجال الفكر ج١، ص ٢٤
- ٢ - رجال الفكر ج١، ص ١٠٨
- ٣ - الجزء الرابع، ص ٨٦١
- ٤ - طلب المؤلف من ابن أخته العالم الكاتب الشيخ محمد واضح رشيد أن يكتب في هذه السلسلة أجزاء أخرى نتناول رجالاً لم يكتب عنهم في الأجزاء الأربعة المطبوعة، وسوف تصدر دار القلم هذه السلسلة كاملة إن شاء الله.
- ٥ - مقدمة الجزء الأول، ص ٣ - ٤
- ٦ - تقييم الجزء الأول، ص ٥
- ٧ - الإمام العلامة الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفته بتصرف، ص ٤١ - ٤٢
- ٨ - رسالة السيدة مريم جميلة المؤرخة ١٩ أكتوبر ١٩٧٤م



نظرية الشيخ أبي الحسن علي الندوي عن الأدب على ضوء كتابه "نظرات في الأدب"

بقلم: أ. د. زبير أحمد الفاروقي

بادي ذي بدء أهنا رئيس قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة دلهي الأستاذ الدكتور محسن العثماني و زملاءه أساتذة القسم على تنظيم هذه الندوة حول الآثار العلمية و الأدبية لشيخنا الكبير و أستاذنا المبجل المرحوم الشيخ أبو الحسن علي الندوي رحمه الله، كما أشكرهم على تشريفني بتوجيه الدعوة إليّ لحضور هذه الندوة العلمية و تقديم ملاحظات حول إحدى أهم كتب المغفور له "نظرات في الأدب"، فقد حاولت محاولة متواضعة أن أفهم من خلال هذا الكتاب ما كان مفهوم الأدب و أهدافه و أغراضه عند شيخنا رحمه الله الذي كان يجمع في شخصه داعية و مصلحاً كبيراً و مفكراً عظيماً و أديباً و كاتباً له أسلوب متميز، و إذا أراد أحد أن يعرف عن تصوره للأدب و نزعته الأدبية فلا يمكنه الغنى عن هذا الكتاب إلى جانب كتابين آخرين له و هما "روائع أقبال" و "مختارات من أدب العرب" و كلاهما يدلان على نوقه المرفه و ثقافته الواسعة و حسه النقدي الرفيع.

إن الأدب عند شيخنا أبي الحسن رحمه الله نوعان: الأدب الصناعي التقليدي و الأدب الطبيعي الجميل القوي، و النوع الثاني من الأدب قديم بل أكبر سناً و أسبق زمناً من النوع الأول و جرى تدوينه في كتب الحديث و السير قبل أن

يُنَوِّنُ الأدبُ الصناعي في الرسائل و المقامات، "و لكنه لم يَحْظَ من دراسة الأدباء و الباحثين و عنايتهم ما حظى به الأدب الصناعي" رغم كونه مرآة لعبقرية اللغة العربية و براعة أصحابها. و إن الزمان الذي قد فُسِّر فيه الأدب بكلام مصنوع لا قوة فيه و لا روح هو زمان الشقاء و المحنة بالنسبة للأدب.

يأتي الشيخ بأمثلة عديدة من كتب الحديث و السير لهذا الأدب الطبيعي تمتاز بدقة التعبير عن الخواطر و الوجدانات و وصف بليغ للأحداث، و من هذه الأمثلة حديث كعب بن مالك عن تخلفه عن غزوة تبوك و حديث الإفك الذي ظهرت فيه البراعة الأدبية و الخطابة البيانية للسيدة عائشة رضي الله عنها و حكايتها للهجرة النبوية و حديث حلیمه السعدية عن رضاعة رسول الله صلى الله عليه و سلم في سيرة ابن هشام.

يقدر الشيخ جهود المؤرخين من عهد التأليف و الترجمة في القرن الثالث و الرابع أمثال الطبري و المسعودي و الأدباء أمثال الجاحظ و ابن قتيبة و أبي الفرج الإصْبَهاني في الحفاظ على هذا الأدب الطبيعي و اللغة العذبة البليغة مع جمالها الأول و نقائها الاصيل.

و قد استعرض الشيخ باختصار في منتهى من البلاغة وضع الأدب العربي في العصور المختلفة من عهد الرسول صلى الله عليه و سلم إلى القرن الثالث عشر من الهجرة. و قال إننا نجد في كتب التاريخ و السير نماذج أدبية رائعة تتميز بقدرة فائقة على الوصف و التعبير و البيان الساحر لدقائق الحياة و خوالج النفس في لغة صافية و تعبير دقيق، و إن أدباء القرن الثالث و الرابع حفظوا لنا تلك اللغة البليغة التي كان العرب الصرحاء يتكلمون بها في بيوتهم و ذلك في كتاب البخلاء للجاحظ و كتاب الإمامة و السياسة لابن قتيبة و كتاب الاغانى لأبي الفرج الإصْبَهاني و روضة العقلاء و نزهة الفضلاء للبُستي و كتاب الإمتاع

و المؤانسة لابن حيان التوحيدي. ثم جاء دور ابن العميد و صاحب بن عباد و أبي بكر الخوارزمي و بديع الزمان الهمداني و أبي العلاء المعري و هم اخترعوا اسلوبا للكتابة و الإنشاء غلب عليه السجع و البديع و أصبح أسلوبهم في الكتابة هو الأسلوب الوحيد الذي يُحتذى و يُقلد في العالم الإسلامي، و تبعه دور المقامات التي تغلغلت في مدارس الفكر و الأدب و بقيت مسيطرة على العقول و الأقلام لمدة طويلة لمجرد أن محتواها كان يوافق هوى النفس و صادف عصر الجمود و العقم الأدبي في العالم الإسلامي. و هذا هو الأسلوب الذي جده القاضي الفاضل و ظل يتحكم في العالم الإسلامي من القرن التاسع إلى القرن الثالث عشر من الهجرة باستثناء عبقرين اثنين و هما ابن خلدون و الإمام الشيخ ولي الله الدهلوي الذين تركا لنا كتابات علمية تاريخية و دينية في أحلى و أجمل صفات للأدب العربي الأصيل من ناحية البيان و الأسلوب.

و قد أشار الشيخ إلى نقطة مهمة و هي أنه إذا تناول كاتب موضوعا أدبيا و تكلف الإنشاء فلم يأت بقطعة أدبية رائعة و لكن إذا كتب في موضوع علمي أو ديني أحسن و أجاد و أتى على ذلك بمثال للزمخشري فهو متكلف مقلد في "أطواق الذهب" و كاتب بليغ موفق في مقامة "المفضل" و في مواضع من تفسيره "الكشاف" و ابن الجوزي فهو غير موفق في كتابه "المدھش" و كاتب بليغ في "صيد الخاطر".

و يرى الشيخ أن المزايا التي تضمن القيمة و البقاء لأثار أي كاتب هي العقيدة و العاطفة و الفكرة التي تحتوي عليها، و لهذا السبب فإن الكتابات الأدبية التي كانت ورائها دوافع سطحية مثل اقتراح ملك أو وزير أو تحقيق رغبة المجتمع أو حرص التفوق فتكون خالية من الروح و القوة و لا يقرر لها البقاء و الخلود و يقول: "إن الفرق بينها و بين الكتابات المنبعثة من القلب و العقيدة كالفرق بين الصورة و الإنسان و كالفرق بين الناحية و الثكل".

فما كتبه الغزالي في "الاحياء" و في "المنقذ من الضلال" و ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيميه و تلميذه الحافظ ابن قيم الجوزية في كتبهما تعد نماذج رائعة للكتابة الادبية العالية.

و في حين لا يقلل الشيخ من أهمية كتب الادب القديمة من رسائل و مقامات و قيمتها اللغوية و الفنية و يعتقد أنها مرحلة طبيعية في حياة اللغات و الآداب، يؤكد أنها ليست الادب كله و لا تُحسِنُ تمثيل الادب العالي. و الشروط الضرورية عنده للإنتاجات الادبية العالية هي كما ذكرناه فيما سبق العقيدة و الفكر و العاطفة و الحماسة و العزم و التحرر من البديع و الترسل و الإيمان و صفاء النفس، و إذا كان الادب متصفا بهذه الصفات فهي الادب العالي الخليق بالبقاء. و مما لا شك فيه أن أهم عناصر الادب و هي الاخلاص و الصدق و الواقعية تتجلى في الادعية النبوية و عليه قد عدها الشيخ من أفضل نماذج الادب و أروعها و منها ما دعاه في الطائفة و أبدى فيه عجزه و ضعفه و صَوَّرَ فقره مستجلبا رحمة ربه و لا يمكن أن نتصور بكلمات أشد من كلمات هذا الدعاء تأثيرا و أبق منها دلالة على المعاني أو الدعاء الذي دعاه في ميدان عرفات.

كان الشيخ رحمه الله قد وُلِدَ و نَشَأَ في أسرة و بيئة يشغل أهلها بالكتابة و التأليف في تراجم الرجال و طبقات الشعراء و الأدباء و سير كبار المصلحين و العلماء، فكل منا يعرف جده العلامة السيد فخر الدين الحسيني صاحب موسوعة باللغة الفارسية "مهرجان تاب" (الشمس المضيئة) كتبه حين لم تكن الموسوعات و دوائر المعارف تُعرف في الهند و يقع بمجلدين ضخمين في ١٣٠٠ صفحة و أكثرها تراجم لطبقات الصوفية و العلماء و الشعراء و والده العلامة السيد عبد الحئ الحسيني صاحب نزهة الخواطر و هو في ثمانين مجلدات

عدد ممتاز

و يحتوي على أكثر من ٤٥٠٠ من التراجم و يشبه في أسلوبه و نهجه بإبن خلكان، و لذلك، كما يقول: "كان أدب التراجم و السير من أحب الآداب و أخفها و أسهلها إليه و كان هوايته و شغله الشاغل فبدأ يؤلف في تراجم الرجال و سير العلماء و المصلحين".

و على عكس الاعتقاد السائد بأن تأليف التراجم هو من أسهل الأغراض الأدبية و المواد الكتابية يرى الشيخ أن وصف شخصية أو ترجمة إنسان ليس من السهولة بالمكان الذي يتصوره كثير من الناس بل أنه يحتاج لعدة مؤهلات و في مقدمتها المعرفة الشخصية الواعية الناقدة و دافع نبيل و رغبة ملحة تنبع من القلب و من تجاوب مع فكرة أو استجابة لنداء الضمير مما يساعد في تحديد اختصاص الشخصية المترجمة. و يعتقد الشيخ أن العلامة شمس الدين أحمد بن خلكان يمتاز بهذه الميزات في كتابه "وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان".

و هذه العاطفة و العقيدة و مشاعر النفس و أحاسيسها هي التي يتلمسها و يبحث عنها الشيخ في أدب الرحلات و يشعر بأن أكثر الكتب التي ألفت في هذا المجال الأدبي يتجرد عن هذه الميزات و يمثل دور آلة التصوير أو أداة التسجيل من غير تعليق على مشاهد الحياة يهتدى القارئ به إلى عقيدة المؤلف و فكره و القيم و المثل التي يحبها. و نقص آخر في كتب الرحلات الكثيرة أشار إليه الشيخ الندوي هو أنها كُتبت أو أُمليت بعد أن مضى زمن طويل على تلك الرحلات و المشاهدات، الأمر الذي ينعكس سلباً على دقة الوصف حيث أن الانطباعات مَثَلُها كمثل ظلال و أمواج فلا تدوم و لا تبقى و لا يستطيع الإنسان أن يستعرض كل ما شاهده بعد مضي وقت. و من أجل تفادي هذا النقص في تأليف كتب الرحلات يفضل الشيخ طريقة المذكرات أو تسجيل اليوميات و قد اعتمد هذه

الطريقة في كتابه المعروف "مذكرات سائح في الشرق العربي" فكان قد التزم في رحلته أن يسجل كل حديث و كل انطباع في يومه غالباً أو في أقرب وقت و اضاف إلى ذلك ملاحظاته حول كل مقابلة أو زيارة أو حديث أو مشهد مما يدل على أنه وصف أو تصوير من إنسان حي يحمل القلب و العاطفة و العقيدة بحكم ارتباطه بثقافة البلدان التي يزورها و يحبها. و لا يعنى هذا أنه قد استخف بكتب الرحلات القديمة الشهيرة مثل رحلة ابن جبير الانلسي (م ٦١٤هـ) و رحلة ابن بطوطة المغربي (م ٦٧٧هـ) بل أنه يعترف بفضل تلك الكتب و مؤلفيها و يؤكد أن الحياة التي صوروها و البلاد التي رسموها كانت بسيطة خالية من التنوع و التعقد و لم تكن فيها من الثورات و الحركات الفكرية و السياسية و الفلسفات ما يتميز بها هذا العصر و لذا فإن مهمتهم كانت بسيطة مقارنة مع أي سائح في العصر الحديث.

كما تناول الشيخ موضوع العلاقة بين الدين و الأدب و أكد أنه ليس هناك أي فصام نكد بينهما و لا احتكار للأدباء المتزعمين للأدب و اللغة و الانشاء و النقد و التاريخ فقال في الكلمة التي ألقاها في الندوة العالمية للأدب الإسلامي المنعقدة في ندوة العلماء بلكنهؤ في ابريل ١٩٨١م:

"من سمات علماء الهند البارزة أنهم قادوا الحركة الأدبية الإنشائية في شبه القارة الهندية، و كانوا من الدعائم القوية الشامخة التي قام عليها قصر الأدب الرفيع، و النثر الفني بعد ثورة ١٨٥٧م و كان كل واحد منهم مؤسس مدرسة أدبية خاصة لا يزال لها أنصار و أتباع و مقلدون، و كان كثير منهم رائد نشاط جديد في الإنشاء و التحرير و النقد و تاريخ الأدب و الشعر، و لا تزال مؤلفاتهم هي المرجع الأصيل و العمدة في هذا الموضوع، و لم يكن في الهند تلك الفصام

النكد بين علوم الدين و الأدب العصري و لغة البلاد؛ و لم تكن الفجوة التي وقعت في بعض البلاد بين علماء الدين و الشاادين بالأدب و الشعر، و الهانمين بهما، الفجوة التي جنت على الدين و الأدب في وقت واحد".

إنه لا يحب الجمود و تقليد أسلوب معين في الأدب و لا يتردد في تجاوز حدود تعريف الأدب و الانشاء الذي وصفه المؤلف الأول أو مؤرخ الأدب القديم و دائماً نطمح للزيادة و الابتكار و تطوير نماذج الأدبية و اثراتها مزيداً. و يلمس هذه الميزات في شعر الدكتور محمد اقبال فيقول في مقدمته لروائع اقبال:

"إن أعظم ما حملني على الاعجاب بشعره هو الطموح و الحب و الإيمان و قد تجلى هذا المزيج الجميل في شعره و في رسالته أعظم مما تجلى في أي شعر معاصر، و رأيت نفسي قد طبعت على الطموح و الحب و الإيمان و هي تندفع اندفاعاً قويا إلى كل أدب و رسالة يبعثان الطموح و سمو النفس و بعد النظر و الحرص على سيادة الإسلام و تسخير هذا الكون لصالحه و السيطرة على النفس و الآفاق و يغنيان الحب و العاطفة و يبعثان الإيمان بالله و الإيمان بمحمد صلى الله عليه و سلم و بعبقريته سيرته و خلود رسالته و عموم امامته للأجيال البشرية كلها. إنني أحببته و شغلت به كشاعر الطموح و الحب و الإيمان و كشاعر له عقيدة و دعوة و رسالة و كأعظم ثائر على هذه الحضارة الغربية المادية و أعظم ناقد لها و حاقد عليها و كداعية إلى المجد الإسلامي و سيادة المسلم و من أكبر المحاربين للوطنية و القومية الضيقتين و أعظم الدعاة إلى النزعة الإنسانية و الجامعة الإسلامية.

أشهد على نفسي أنني كلما قرأت شعره جاش خاطري و ثارت عواطفني و شعرت بدبيب المعاني و الأحاسيس في نفسي و بحركة للحماسة الإسلامية في

عروقي و تلك قيمة شعره و أنبه في نظري".

كما يعجبه شعر مولانا جلال الدين رومي لانطوائه على المعاني الصوفية
الاسمى و في مقدمتها العاطفة و الدعوة إلى الحب الخالص الذي لا يجدر إلى
المحبوب الحقيقي الخالد و كرامة الإنسان و شرفه.

و بالجملة فإن تصويره للأدب يتلخص بأحسن وجه في العبارة التالية:
"إنني أتصور الأدب كأننا حيا له قلب حنون و له ضمير واع و له نفس مرهفة
الحس و له عقيدة جازمة و له هدف معين يتألم بما يسبب الألم و يفرح بما يثير
السرور فإذا لم يكن الأدب كذلك فإنه أدب خشيب جامد أدب ميت خامد أشبه
بالحركات البهلوانية و الرياضات الجمبازية، فالأدب ليس أداة تسلية و الهاء
نفس و ازجاء وقت فحسب و إن الأدب من أكبر الوسائل للوصول إلى الأهداف
النبيلة و للتأثير في النفس الإنسانية".



دراسة في كتاب العرب و الإسلام

بقلم: أ. د. شفيق أحمد خان الندوي

مجموعة محاضرات و مقالات كتبها الشيخ أبو الحسن رحمه الله في مناسبات عدة، ألقاها في أمكنة و أزمنة مختلفة في العالم العربي، توجد منها وحدة معنوية و غاية مشتركة تتغلب على اختلاف الزمان و المكان و تنوع أساليب البيان، و هي على حد تعبير المؤلف نفسه، إثارة الشعور الإسلامي أو إيقاظ الروح الإسلامية في نفوس العرب الذين أصبح كثير منهم بفعل عوامل كثيرة في حاجة إلى ذلك من مدة قصيرة، و هو إثارة كريمة عريق في الكرم و تحريك أريحيته للمكارم و البطولات و هو إيقاظ أسد غلبه النعاس أخيراً ليحتل مكانه الطبيعي في الغابة، و حاشا أن يكون تعليم جاهل أو اقناع جاحد.

يحتوي على ١١ حديثاً أو مقالاً في حدود ١٢٠ صفحة من المقاس المتوسطة، بالعناوين التالية:

١ - من العالم إلى جزيرة العرب

٢ - من الجزيرة العربية إلى العالم

٣ - اسمعي يا مصر!

٤ - اسمعي يا سورية!

- ٥ - اسمعي يا زهرة الصحراء (الكويت)
 - ٦ - اسمعوها مني صريحة أيها العرب
 - ٧ - إلى الراية المحمدية أيها العرب
 - ٨ - القومية في ميزان العلم و التاريخ و واجب العرب
 - ٩ - لا تخرجوا الأوفياء للإسلام بموقفكم أيها العرب
 - ١٠ - أ جاهلية بعد الإسلام أيها العرب
 - ١١ - مصر جوهرها إسلامي، إيماني، محمدي، مهما تراكمت عليه الاتربة.
- و إليك بعض التفاصيل:

من العالم إلى جزيرة العرب حيث أذاعته دارالإذاعة السعودية بمكة المكرمة عام ١٩٥٠م، حاول فيه الشيخ أن يخاطب العالم و يستنطق فاه فيقول على لسان حاله إن الجزيرة العربية تغتبطني في تقدماتي الصناعية و المادية و لا تدري الواقع و هو أن الإنسان أصبح يطير في الهواء كالطير و يسبح في البحار كالسمك فإنه لا يحسن أن يمشي على الأرض كإنسان، إنها تغتبطني في امتدادي المادي ورفاهيتي البراقة، و لا تدري إنني استسمنتها بصورة اصطناعية فأصبحت عليلاً ذا أورام غير طبيعية. و قد اجتمع حولي متطببون و مشعوون يعالجونني بالأمراض و يداوون الداء بالداء، و بعمليات جراحية خرقاء. لقد داووا جوراً بجور و ظلماً بظلم و إسرافاً بإسراف و جهلاً بجهل و علة بعلة، فزادوني مرضاً على مرض و ضعفاً على ضعف. إليك جنت أيتها الجزيرة العربية و كشفت سري فهل تُغيثيني و تسعفينني كما أغثني بالأمس و انقنتني من الموت الأحمر فلست اليوم بأقل حاجة إلى إسعافك و إنجارك من يوم بعث

رسولك و أشرق علي نورك، نفسي فداؤك يا جزيرة العرب خذي مني ما شئت من سيارات و قُطُر و طائرات و ماكينات و الآلات و زخارف و أصوات و تصدقي علي بهذا الإيمان الذي لا أجده في أسواق.

و يستطرد قائلاً: إنك تجوبين عليّ أيتها الجزيرة العربية بمقدار عظيم من البترول أدير به ماكيناتي و أسير به عجلاتي. فأنا أدين لك بالفضل و أشكر صنيعك و لكني كنت أنتظر منك، أيتها الجزيرة السعيدة، يا مولد نبي الرحمة شيئاً أعز و أثمن من الذهب الأسود. كنت أنتظر منك أن تخرجني لي عجلة الحياة التي غاصت في الوحل. و أن توجهيها و تخلص ركابها من هذا المارق فقد عجزت حكمة الحكماء و صناعة الصناع من إخراجها فأخرجيها بما معك من حكمة النبوة و بقية قوة الرسالة و الإيمان و اليقين و سيّريها بنور الشريعة الإلهية و الهداية الإسلامية.

و في الحديث الثاني: من الجزيرة العربية إلى العالم، تحبيب الجزيرة العربية على العالم، فبدورها تقول: غلبتك المادة أيها العالم فجئتني لا ترغب إلّا في ما احتوى عليه من كنوز الثروة و القوة و لا يهملك إلّا ما يجري في بطني من عيون البترول فأعطيتك سؤلك و أشبعت نهمتك و إنما يُعطى السائل على قدر همته و قد جئتني تسأل أعز ما عندي و أنفع للإنسانية تسألني الإرشاد و التوجيه فأهلاً بك و سهلاً أيها الزائر الكريم و دونك المنهل العذب الصافي من الدين السماوي و من الوحي المحمدي احتفظت به طول هذه المدة فارتو منه ما شئت و استقي منه الإيمان و اليقين و مبادئ الحياة السعيدة و العلم الصحيح و العمل الصالح و الخلق المستقيم و الاتجاه الصحيح في كل عمل و حركة و في كل دقيقة و جليلة، ذلك الاتجاه الذي لا يكون إلّا بالإيمان بالله و برسله و اليوم الآخر و الحساب و العقاب، تشرب هذه المبادئ من هذا المعين الصافي و استمد منه

الحياة و القوة و الشباب و الرسالة، و اطلع عالما فتيا مشرقا ي خلف العالم الشائب المظلم العليل الذي قد فقد الروح و الحياة و الشباب و أصبح لا يحمل رسالة للإنسانية.

اما الحديث الثالث فهو عبارة عن حلقة أولى من سلسلة اسمعيات شيخنا الندوي المعروفة و هي: اسمعي يا مصر، و نشر ذلك أولاً كمقال في مجلة الرسالة لصاحبها أحمد حسن الزيات سنة ١٩٥١م ثم نشر في رسالة مفردة في مصر نفس العام، يحي فيه الشيخ مصر العزيزة بتحفة الإسلام و يحي فيها الزعامة للعالم العربي، الزعامة التي كانت عن جدارة و استحقاق لا عن احتقار و اعتصاب و يقول: إنك يا مصر تحلين اليوم في العالم العربي محل السمع و البصر و محل العقل و الفكر رضي به الناس أم لم يرضوا و لكن الواقع لا يُنكر.

ثم يحييها بالعلوم و الفنون و بوجود المكتبات و الأزهر الشريف، و النيل، و رواج سوق اللغة العربية و آدابها و بالتالي فإنه يذكر بمسؤوليتها كمتلقى الثقافتين الشرقية و العربية ألا و هي مسؤولية كونها قنطرة لعبور تجارب أوربا الجديدة إلى الشرق و تبليغ الرسالة الالهية الإسلامية الخالدة إلى أوربا في سبيل مشكلات الروح و الجسد معا بالعدل و الإحسان.

و في الحديث الرابع: اسمعي يا سورية الذي أنيع من دار الإذاعة السورية بدمشق سنة ١٩٥٦م يحيي الكاتب سورية تحفة محب لها و مُعجَب بها و يذكرها بالأيام التاريخية البطولية السعيدة السورية ثم يقول إن سر عظمتك يا سورية و سيادتك على العالم كله، سيادة دامت قرنا كاملاً هو أنك تزعمت هذه الأمة التي بُعثت بعثاً جديداً و كلفت تبليغ رسالة إنسانية عالمية. فدعي التردد يا سورية و احملي رؤية الإيمان و الدعوة في الخارج و راية الإصلاح و التربية في

الداخل، و حاربي فساد الإخلاق و التحلل و الميل الزائد، إلى الملاهي و الرخاوة الترف. و أخيراً فإنه يذكرها بتاريخ صقر قريش و إقامة دولة اندلسية و حضارة عربية إسلامية دامت ثمانية قرون في الغرب كما يذكرها بفضلها على بلاده الهندية عن طريق محمد بن القاسم الثقفي و فتحه باب التبادلات الثقافية من حيث الاعتبارات المنوعة و يطالبها باستعادة المجد المفقود و الرجوع إلى القيم الخلقية الإسلامية النبيلة من جديد.

أما بالنسبة إلى حديثه اسمعي يا زهرة الصحراء و المراد بها الكويت و الذي أذاعها من الإذاعة العربية الكويتية عام ١٩٦٢م فإنه يذكرها بنعم الله التي أنعمها الله عليها في صحارها القاحلة التي لم يكن يتخيلها أحد من العالمين في عهد قريب. ثم يقول: لقد شئت سماحتك العربية و اريحيتك المعروفة في التاريخ أن تجودي بالنفط على العالم فكنت في ذلك السخية المحسنة المشكورة و لا شك أنها مساهمة غالية منك في بناء هذه الصرح الصناعي الكبير الذي يفتخر به العالم المعاصر و قد شهد الجو و البر بقيمة هذا النفط الذي يستخرج من أرضك و دانت له الطائرات و السيارات بالفضل و الشكر فشكراً لك أيتها الجزيرة الكريمة العريقة في السماحة و السخاء من كل من ينتفع بهذه الوسائل و ما أكثرهم في العالم. و لكن فيك ما هو أغلى من هذا الذهب الأسود و أنفع للمدنية و أعود على الإنسانية بالخير و النفع العام، هو الإيمان الذي نبع عيئه من أرضك لأول مرة بعد قرون متطاولة فإذا كان هذا النفط تحفة الأرض إلى الأرض، كان الإيمان الذي جاء به محمد صلى الله عليه و سلم تحفة السماء إلى الأرض، و فيك اتصلت السماء بالأرض لآخر مرة. و قد انقطعت صلة الأرض بالسماء و الأجسام بالروح و القلب، و الصناعة و الحضارة بالإيمان و الأخلاق فلتتصل الأرض بالسماء و الأجسام بالارواح و القلوب، و الصناعة و الحضارة

بالإيمان و الأخلاق مرة ثانية عن طريق الجزيرة العربية و عن طريق الوحي المحمدي و قد اشتهت حاجة الإنسانية إلى هذا الاتصال.

و بعد أسلوبه الهين اللين المزيج من اللطف و العطف و الأخاء و المجاملة فإنه يخاطب العرب و القوميين بوجه خاص فيقول: اسمعوها مني صريحة أيها العرب، إذا أردتم استعادة المجد المفقود فعليكم أن تنتمدوا على المادية العصرية كما تمرد أسلافكم على مادية عصرهم و تضحوا برفاهيتكم و ترفكم و أمانيتكم المعسولة في سبيل الإسلام و في سبيل المصلحة العامة و السعادة البشرية و تنضموا إلى الراية المحمدية و هي راية العدل و راية الحق و راية الله في العالم التي اختارها الله لكم كراية و اختاركم لها كأمة و جند إلى آخر الدهر.

ثم يقوم الشيخ بموازنة القومية و يضعها في ميزان العلم و التاريخ و ينذر إخوانه العرب و المسلمين بخطرها و يدعوهم إلى شد المنزر ضدها و ضد التيارات الهدامة المناوئة للإنسانية جمعاء. و لا تخرجوا الأوفياء الإسلام بموقفكم أيها العرب بموجب كلمته التي القاها في حفلة تكريم له أقيمت في جده أمام أعيان البلد. كما خاطبهم في مكة في بستان عبد الله السليمان يو ٢١ من ابريل ١٩٦٣م بعنوان أ جاهلية بعد الإسلام أيها العرب. و أخيراً فإنه ينبه العرب في مصر على الأخص، فيقول إن مصر جوهرها إسلامي إيماني محمد مهما تراكمت عليه الاتربة.

هذا و في ختام جولتنا السريعة في هذا الكتاب فإننا نستطيع أن نقول انه دعوة العرب لاستعادة مكانهم الطبيعي في القيادة البشرية و الحضارة الإنسانية، و في خلال ذلك المؤلف يتوجه إلى العرب من غير مجاملة بل يعتبرها

عدد ممتاز

جريمة خلقية في حق هذه الأمة فيقول: إنني لا أقل عن أكبر عربي يعيش في العواصم العربية في عربيّتي و نسبي الصريح و حبي للعرب و تضلعي من ثقافتهم و علومهم و آدابهم و لغتهم و ليس أحد من إخواني العرب الاقحاح أولى بالاعزاز بالعربية مني و أوفر نصيبها مني و لكن الإسلام أفضل من كل نسب و أقوى من كل عصبية.



"ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين"

دراسة تحليلية

بقلم: أ. د. محمد أسلم الاصلاحي

بدأ العلامة أبو الحسن علي الندوي رحلته التأليفية بكتابة "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" و بالرغم من هذا تعد هذه الباكورة لإنتاجه من أروع الأعمال التي صدرت حتى الآن من قلم المفكر الكبير العلامة الندوي المغفور له وقد عقد العلامة العزم على تأليف هذا الكتاب في زمن لم يتجاوز عمره فيه الثلاثين إلّا ببضع سنوات و في مكان لم تكن فيه المراجع العلمية و التاريخية و الثقافية ميسرة له إلّا بقدر قليل و في ظروف لم تكن مواتية للتركيز على موضوع يتقاضى سكون القلب و راحة الفكر و هدوء البال و بمناسبة هذا المكان تجدر الإشارة إلى أن تأليف هذا الكتاب قد اكتمل في عام ١٩٤٥م و كل من له أدنى إلمام بتاريخ الهند الحديث يعرف جيدا مدى توتر الأوضاع السياسية و الاجتماعية و الدينية في تلك الحقبة من الزمن إذ كانت الزعامات الوطنية و القيادات الإسلامية في شبه القارة الهندية حينذاك منقسمة أشد الانقسام و ذلك بخصوص تولي مقاليد السلطة بعد انسحاب الانجليز من البلاد و بلغ السيل الزبى عندما انقسم المسلمون حول هذه القضية إلى طائفتين كبيرتين فطائفة منهم كانت تطالب بإقامة دولة إسلامية في شبه القارة الهندية منفصلة عن الحكومة الهندية ذات الطابع الهندوسي و كان يتزعم هذه الطائفة محمد علي جناح تحت لواء العصبة الإسلامية (مسلم ليغ) و بمقابل هذه

الطائفة كانت ثمة ثلة من العلماء المرموقين تدعو المسلمين إلى صيغة سياسية بناءة يمكن باتخاذها قبول شرعية الحكومة الهندية ذات السيادة العلمانية (الهندوسية).

هذا الانشقاق و الانقسام بين صفوف المسلمين قد أثار الشك في أذهان الناس حول مصداقية التعاليم الإسلامية التي انصهرت في بوتقتها من قبل معالم الجنسية و الوطنية و القومية و العرقية و التي قد جمعت في القرون الماضية ملأاً عديدة و شعوباً مختلفة على رصيف واحد فبالرغم من هذه الخصيصة البارزة للإسلام لماذا و كيف تسربت التفرقة و الانفكاك في داخل المجتمع الإسلامي و هذا السؤال المهم كان في الحقيقة شغلاً شاغلاً لكثير من الكتاب و الباحثين في حين ألف العلامة الندوي "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" و كلما أراد هؤلاء الكتاب و الباحثون استئصال شأفة هذا الانفكاك توسعت هوة الصراع بين أبناء الإسلام حتى بدأ الناس و من بينهم كثير من المسلمين يشككون في قدرة الإسلام على مواصلة السير مع تقدم الزمان كما أخذوا يعتقدون بأن الإسلام لم يبق صالحاً لقيادة البشرية جمعاء و لأجل هذا السبب أجبر المسلمون على اخلاء الطريق للشعوب الأخرى و على التنحي عن الجلوس في الموقع الريادي و هذا الفكر الخاطئ قد ترك أثراً سيئاً و سلبية على أذهان النشء الجديد من المسلمين فما برح هؤلاء الشبان حتى بدأوا يعكفون على الأيدولوجيات العصرية الأخرى من أمثال العلمانية و الشيوعية و الديموقراطية و ما هو على شاكلتها و يعتنقونها.

لقد أدرك خطورة هذا الاتجاه الفتاك كل من له أدنى اهتمام بقضايا الإسلام و المسلمين و بذل بمقدوره جهوداً لتححيض الأفكار و النظريات المناوئة للتعاليم الإسلامية و التي توافينا بأن الإسلام هو السبب الرئيسي وراء تخلف

المسلمين فما دام المسلمون منتشبين بديانتهم يكون دورهم هامشياً في مختلف المجالات للحياة الإنسانية و بكلمة أخرى أن أراد المسلمون الاستعلاء والاستنهاض فعليهم الابتعاد عن القيم الإسلامية و المبادئ الدينية و من الملاحظ أن مثل هذه الأفكار سرعان ما بدأت تروج و تنتشر في داخل المجتمع الإسلامي و في عملية نشر هذه الأفكار لعب المتفرنجون من المسلمين دوراً بارزاً و ذلك لأنهم في أكثر الأحيان قد تربوا و تنقفوا على أيدي المستشرقين الذين لم تكن غايتهم إلا إثارة القلق و الفتنة بين صفوف المسلمين إلى جانب خلق الصدع في بنيان الإسلام و إبراز مواطن الضعف و الاضمحلال في تعاليم الدين الحنيف. فتحقيقاً لهذا الهدف هؤلاء الممستشرقون في بداية الأمر غرّبوا تراث المسلمين الديني و العلمي و الأدبي و الثقافي ثم قاموا بتحقيقه و نشره بعد إلقاء نظرة فاحصة و أحياناً نقدية عليه و لكن عندما أدركوا أن جهودهم هذه ما أتت أكلها حسب تطلعاتهم وقّروا منحاً دراسية لبعض الطلبة النابهين من المسلمين للدراسة في الجامعات الأوروبية و على هذه الشاكلة اشبعوا أذهانهم بأيديولوجيات فاسدة هدفها الرئيسي بث بذور الشكوك و الشبهات حول التعاليم الإسلامية فهؤلاء الطلبة من المسلمين مع بعض الاستثناءات بعد الرجوع إلى أوطانهم بنّوا قصارى الجهود لنشر أفكار أساتنتهم الأجانب في أوساط المجتمع الإسلامي و من الجدير بالذكر أن المستشرقين قد اتخذوا هذه الاستراتيجية المختلطة بعد فشلهم في الحروب الصليبية و نستشف هذه الفكرة مما أدرجه لويس التاسع في مذكراته قائلاً:

"إن الحروب العسكرية لن تجدى مع المسلمين فتيلاً و لا بد أن يعول على الحرب العقائدية و نربى من أبنائهم من يقوم بإفسادهم و تحويلهم عنا و لأمنا" (١)

و لا شك أن العالم المسيحي الذي قد تكبد دائماً خسائر فاحشة على أيدي

المسلمين الغزاة نجح في هذه الموامرة إلى حد كبير و إثار زوبعة الارتباك و الارتياح في قلوب الجيل الجديد من المسلمين تجاه المبادئ الإسلامية و القيم الحينية و لم تلبث هذه الحالة حتى التفت إلى خطورتها العلماء و المفكرون المسلمون و بعد تفكير عميق وصلوا إلى نتيجة أن الاستعباد الفكري أكثر فتكاً من الاستعمار الغربي و إن لم تتخذ الإجراءات لمقاومة هذا الاستعباد الفكري ليصطبغ الكيان الإسلامي بصبغة الحضارة الغربية تماماً و كان العلامة أبو الحسن علي الندوي في طليعة هؤلاء المفكرين الذين لم يرتضوا أن تكون الدول الإسلامية في مؤخرة الموكب الحضاري و يملئ عليها الاستعمار الغربي أوامره و أحكامه و يندفع المسلمون مع التيارات الحديثة فلرفع الستار عن سانس الكتلة المسيحية الغربية كتب هؤلاء المفكرون مقالات قيمة و كتباً عظيمة الفوائد و من بين هذه المؤلفات يحتل الكتاب "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" مكانة الصدارة لاستيعابه كليات الروح الإسلامية من جميع أطرافها و قد أشار الأستاذ سيد قطب إلى ميزة الكتاب هذه قائلاً:

"فإن الخصيصة البارزة في هذا الكتاب كله هي الفهم العميق لكليات الروح الإسلامية في محيطها الشامل و هو لهذا لا يعد نموذجاً للبحث الديني و الاجتماعي فحسب بل نموذجاً كذلك للتاريخ كما ينبغي أن يكتب من الزاوية الإسلامية" (٢)

و في الحقيقة أراد العلامة الندوي بتأليف هذا الكتاب إعادة الروح إلى الكيان الإسلامي و إعادة ثقة المسلمين بأنفسهم و بقيمهم الدينية و الحضارية و الأخلاقية و لتحقيق هذا الهدف ألقى العلامة المذكور نظرة بانورامية على تاريخ الحضارة الإنسانية بأسرها و ذلك لكي يثبت جدارة الإسلام مقابل الديانات

السماوية و غير السماوية و في هذا الصدد فإن ما يسترعى اهتمامنا هو استقصاء العلامة عن الحقائق الجذرية لمختلف الشعوب و الأمم و الديانات و مما يبدو أنه قد تفحص أكثر المواد التاريخية المتضمنة المراحل التاريخية للحضارة الإغريقية و الرومية و الفارسية و الصينية و العربية و ما إليها و مع هذا كله يشتكى العلامة الندوي في مستهل الكتاب من قلة الموارد العلمية و المراجع التاريخية قائلا:

"و كانت المراجع العربية التي لابد من استشيرها في هذا الموضوع قليلة و ذلك لأن ذلك العهد كان قريبا بالحرب العالمية الثانية و كانت الصلات تكاد تكون منقطعة بين الهند و البلاد العربية فكانت تستورد قليلا من البضاعة العلمية و المراجع التاريخية التي كانت تزخر بها البلاد العربية بصفة عامة و مصر بصفة خاصة" (٣)

يعنى ذلك أن المواد التاريخية المطلوبة لمثل هذا العمل الجليل لم تكن متوفرة لديه و بالرغم من هذا أنه شمرّ عن ساعده لإنجاز مشروعه العلمي و جاء بكتاب يقول عنه الدكتور محمد يوسف موسى "اني - علم الله - لست أذكر فيما قرأت من القديم و الحديث كتابا حوى من الخير ما حواه هذا الكتاب و لا كتابا وضع أيدينا على ما نشكو منه من أدواء و أمراض كما فعل هذا الكتاب و لا كتابا نفذ كاتبه إلى روح الإسلام و أخلص و يخلص في الدعوة له و يقف كل جهوده على هذا السبيل كهذا الكتاب" (٤) صحيح أن المراجع المطلوبة لمثل هذا العمل الرائع لم تكن متوفرة في الهند حسب رغبات العلامة الندوي إلا أن نشأته و تربيته و مطالعته الواسعة كانت في الحقيقة تكفل له "ما يستطيعه الاوائل" و في هذا السياق نلاحظه يقول:

"لقد أراد الله أن أنشأ في بيئة كانت هوايتها التاريخ و كتابة التراجم

و السير و أن اولد في أسرة كان فيها مؤرخون و مؤلفون و كان أكثر اشتغالهم بالتأليف في تراجم الرجال و طبقات الشعراء و الأدباء و سير العظماء من المصلحين و العلماء و الملوك و الأمراء" (٥)

فهذه الكلمات تدل على أن العلامة الندوي شب و ترعرع في أسرة كانت تتوسد العلم و المعرفة و كانت ميزتها البارزة الدراسة و الكتابة و البحث و التفكير و التوجيه و الإرشاد فكان من الطبيعي أن يتأثر هو الآخر بهذه البيئة العلمية و الأدبية و الفكرية و الدينية و فوق كل ذلك لقد وهبه الله نوقا مرهفا و قلبا نابضا و فكرا سليما و عقلا واعيا و نظرا ثاقبا و قدرة فائقة على سبر الأغوار و كشف الأسرار فلم يكن يطالع الكتب أو يجالس العلماء و الأدباء لترفيه النفس و تسلية القلب بل كان يقصد بذلك منذ نعومة أظفاره نشد أن الحق و العلم و المعرفة و اعلاء كلمة الإسلام بين الناس و قد ساعدته في هذا المضمار الظروف التي تبرعمت و تفتحت في وسطها مواهبه العلمية و الفكرية و الأدبية و لهذه الأسباب كلها سرعان ما بدأ يتفكر في العوامل و العناصر التي تلعب دورا حاسما في استنهاض و انتكاس أمة أو حضارة أو ديانة و هذا التفكير و التأمل قد أتاح له فرصة للوقوف على أحوال الأمم الغابرة و الحاضرة و بما أنه كان خبيرا بلغات عديدة من أمثال العربية و الانجليزية و الفارسية و الأرية فكان من الأيسر له أن يستفيد من اللغة الانجليزية هو يكتب في مكان:

"إنني حصلت في مدة قريبة مادة لغوية استطعت أن انتفع بها في أعمال التاليفية العلمية و في رحلاتي إلى إنجلترا أو أمريكا و قد تمكنت بهذه الدراسة أن أقرأ الكتب التي ألفت في المواضيع الإسلامية و التاريخ بالانجليزية بسهولة و لا أزال استفيد بها و انتفع" (٦).

و خير دليل على صدق هذه الكلمات كتابه "ماذا خسر العالم بانحطاط

المسلمين" الذي استعرض فيه بإسهاب الأحوال السياسية و الثقافية و الاجتماعية و الحضارية و الأخلاقية للبشرية جمعاء و وفق إلى قدر كبير في جعل باكورته هذه صورة مصفرة للعالم الإنساني تتبلور من خلالها الشعوب و الاقوام المختلفة بخصائصها البارزة فكل من يلقي نظرة غائرة على محتويات هذا الكتاب لا يتأثر بغزارة علم المؤلف وسعة معلوماته فحسب بل يجد نفسه حائرا في متاهات التاريخ الإنساني آخذا منها الدروس و العبر و مستسلما للنتائج الإيجابية التي وصل إليها المؤلف بعد الجهد الجهد و من الجدير بالملاحظة أن العلامة الندوي لم يستهل كتابه بذكر الصفات المشرقة للإسلام و كذلك لم يبد أي انحياز أو عصبية لإبراز المعالم الممتازة للحضارة الإسلامية بل أنه سرد الوقائع التاريخية بأسلوب منطقي و موضوعي تتجلى فيه الحقيقة تباعا و يتحلى بهذه الخصيصة المتميزة جميع أبواب الكتاب الخمسة فأقواله و آراؤه و أفكاره تتسرب إلى القلوب بدون مشقة و عناء و من هنا يمكن أن يصدق على كلامه القول "از دل خيزد بر دل ريزد" أي من القلب إلى القلب و لا يتصف الكلام البشري بهذه الميزة ما لم يكن الإنسان واضح الرؤية و صافي القلب و مخلص النية و صالح الفكر فهذه الصفات كلها تجمع في أسلوبه في حين هو يقوم بتحليل و تمحيص الأحداث التاريخية التي كانت بمثابة نقطة تحول في الحياة الإنسانية و ليس من شك أن رؤية العلامة الندوي كانت واضحة تماماً و لذا أنه لا يطيل كلامه بذكر العصور و الأزمان فلا ينقسم التاريخ الإنساني عنده إلا إلى عصرين، العصر الجاهلي و العصر الإسلامي و هذا التعريف الموجز للتاريخ الإنساني ينقذ من جانب المتلقى من تخطيط الطريق و تنشوش الفكر و من جانب آخر ينم عن وضوح فكر العلامة الندوي فكان العلامة

لا يرى للوجود الإنساني الاقاليين منفصلين أما قالب الخير و أما قالب الشر فكل الأحداث الإنسانية تدور حول هاتين النقطتين و مشيرا إلى أفكار العلامة هذه الأستاذ سيد قطب يقول:

"ولعله مما يلفت النظر تعبير المؤلف دائما عن النكسة التي حاقت بالبشرية كلها منذ أن عجز المسلمون عن القيادة بكلمة "الجاهلية" و هو تعبير دقيق الدلالة على فهم المؤلف للفارق الاصيل بين روح الإسلام و الروح المادي الذي سيطر على العالم قبله و يسيطر اليوم بعد تخلي الإسلام عن القيادة أنها الجاهلية في طبيعتها الأصلية" (٧)

هذه الكلمات تنم عن أن العلامة الندوي طالع و غربل تراث التاريخ الإسلامي من الزاوية الإسلامية البحتة فكل ما وجده معارضا للمبادئ و القيم الإسلامية اعتبره عملا من أعمال الجاهلية التي لا تمثل إلا قوى الظلم و الضلال و الكفر و الطغيان و العبودية و الانحلال و لهذه الجاهلية ليست فترة محددة من الزمن كما تزعم أغلبية المؤرخين و الكتاب بحيث أنه يعدون الفترة ما قبل الإسلام مختصة بالجاهلية إلا أن العلامة الندوي لا يوافق على هذا الرأي و يذهب إلى أن الجاهلية ليست محصورة في دائرة الزمان بل المراد منها استيلاء قوى الشر و العسف على مقاليد السلطة و السيادة دون تقيد بزمن مخصوص فانطلاقا من هذه الفكرة كان العلامة الندوي يعتبر عالم اليوم المتحضر نسخة مبهرجة للجاهلية الأولى و ذلك لأن القوافل البشرية في هذا الزمن قد تخطبت طريقها مرة أخرى فانست قوائمها في أوحال المادية الجامحة التي غايتها الأولى هي التمتع بملذات الحياة و ملاحيتها و الابتعاد عن القيم الروحية و الخلقية و الانغماس في تحقيق المطامح الدنيوية و عدم الإيمان بخالق الكون و بالحياة بعد الموت و في رأى العلامة الندوي كلما تتغلب

هذه المادية على أطوار الحياة الإنسانية تختل موازين الحق والخير والعدل والانصاف وتزعزع الاسس الاجتماعية والاخلاقية حتى تكاد تنهدم والنتيجة تتدهور أحوال الناس إلى أسوأ حد.

في الزمن الماضي كان خالق الكون يرسل الانبياء والرسل لهداية الإنسانية الحائرة إلى سبيل الرشده والسعادة ولانتشالها من أخود النار وهدية الهلاك ولكن هذه السلسلة انقطعت إلى الابد بعد خاتم النبيين الذي ترك لنا كتابا لن يضل من يتخذ تعاليمه بالنواجد وشريعة تخرج اتباعها المخلصين من الظلمات إلى النور كما تغرق عليهم السعادة والرفاهية في الدنيا والآخرة ومادام المسلمون كانوا متشبثين بهذين المرجعين الاساسيين كانت تنعم الإنسانية كلها بالخير والسعادة لانهم جاؤوا بـ "مدنية فاضلة قوية البنیان ومحكمة الاساس يسود فيها روح التقوى والعفاف والامانة وتقدر فيها الاخلاق الفاضلة فوق المال والجاه والروح فوق المظاهر الجوفاء يتساوى الناس فلا يتفاضلون إلا بالتقوى ويهتم الإنسان بالآخرة فتصبح النفوس مطمئنة والقلوب خاشعة ويقل الناس في أسباب هذه الحياة والتكالب على حطام الدنيا ويقل التباغض والتشاحن" (٨)

ما أحوج الإنسانية اليوم إلى رجال متصفين بالصفات المذكورة أعلاه، رجال يزهدون في الشهوات والملذات ويعزفون عن شره الاموال والثروات ويقومون بالقسط بين الناس شهداء لله ولو على أنفسهم أو الوالدين والأقربين ويعرضون حياتهم للخطر لقلع الفساد والشر من الجذور، رجال يأمرون الناس بالبر والتقوى وينهونهم عن المنكر والسيئات ويوفون بالعهود والمواثيق ويتجنبون كبائر الاثم والفواحش إلا اللهم ويستعدون يوما لوضع البلمس على الجروح الدامية للإنسانية فيستأنس بهم الايتام والارامل والمستضعفون

و المنكوبون و لا مرء في أن هذه السجايا و المزايا مادامت تسود المجتمع الإنساني أحرز المسلمون قصب السبق في جميع ميادين الحياة إذ كانوا خير أمة أخرجت للناس فالناس كانوا يؤثرونهم على أنفسهم في تدبير أمورهم و تنظيم شؤونهم و لم يزل المسلمون يتمتعون بهذه الثقة من قبل الناس إلى أن تسرب إلى سويداء قلوبهم حب المال و الجاه فأرتاحوا إلى مفاصد الأرض و مساوئها و كانت نتيجة ذلك أنهم فقدوا المؤهلات اللازمة لقيادة الناس و هكذا تخلفوا عن جادة التقدم و الازدهار فلم يخسروا هم أنفسهم فحسب بل الإنسانية كلها منيت بالخسران المبين بسبب خسرانهم و انحسارهم و هذه هي الفكرة الرئيسية نستشفها مبنوثة في جميع أوراق "ماذا خسر العالم بالانحطاط المسلمين".

الهوامش:

- ١ - جريدة العالم الإسلامي العدد ١٤٢١، ١١ - ١٧ سبتمبر ١٩٩٥
- ٢ - من مقدمة "ماذا خسر العالم بالانحطاط المسلمين" ص ٣١
- ٣ - ماذا خسر العالم بالانحطاط المسلمين للعلامة أبو الحسن الندوي ص ١٣
- ٤ - المرجع السابق ص ٢٧
- ٥ - شخصيات و كتب للأستاذ العلامة أبو الحسن علي الندوي ص ١٣
- ٦ - مجلة البعث الإسلامي (عند ممتاز) المجلد الخامس و الأربعون، محرم / صفر ١٤٢١هـ
- ٧ - من مقدمة "ماذا خسر العالم بالانحطاط المسلمين" ص ٣١
- ٨ - ماذا خسر العالم بالانحطاط المسلمين للعلامة أبو الحسن علي الندوي ص ١٢٤



دراسة في كتاب قصص النبيين للأطفال*

بقلم: د/ أنيس الرحمن الدهلوي

و بديهياً أنه لا حاجة إلى أن أعرف بشخصيته العملاقة، و أذكر من حالات أسرته التي هي عريقة في النجابة، و أذكر و أعدّد جميع آثاره الأدبية الكثيرة، الوفيرة، لأن كل ذلك لا تسعه هذه المقالة الوجيزة و لا يمكن استيعابها في هذا الوقت القصير. و المؤلف الذي أريد أن أتكلّم عنه شيئاً بصورة وجيزة هو كتاب "قصص النبيين للأطفال".

و في الحقيقة، إن دارساً مثلي، قليل الحظّ من العربية قصير الباع في البيان و يعوزه الفكر السليم و هو لا يقدر على التعبير المستقيم. لا يمكنه إلقاء الضوء على مؤلفات تلك الشخصية البارعة التي يعترف بعربيته الأدباء و يخضع لأدبه البلغاء. فوقوفي في هذا الموقف ليس إلّا كمثّل المصباح الذي نوره ضئيل و يلقي الضوء على السراج الوهاج الذي في السماء.

إن كل كتاباته في الحقيقة، نموذج من الأدب الفني الرائع و متميز بسلاسة العبارة و لطافة التعبير. فالشيخ أبو الحسن الندوي رحمه الله عندما يكتب، يكتب ارتجالاً بالعربية الخالصة و يتدفق كالسيل بلغة عربية بليغة فيها الصور البيانية و التعبير الجميل.

* القى هذا الحديث في ندوة عقدت في جامعة دلهي يوم ١٩، ٢٠ مارس ٢٠٠١م حول مؤلفات الشيخ أبي الحسن علي الحسيني الندوي

إن كتاب "قصص النبيين للأطفال" سلسلة في ثلاثة أجزاء كتبه الشيخ الندوي رحمه الله أصلاً لابن أخيه "محمد" الذي كان صغيراً ويرغب في القصص و الحكايات كعادة الأطفال في عمره. فكان يأخذ في يده قصص السنانير و الكلاب و الأسد و الخنازير و القردة و الدباب. ذلك أنه لم يجد في متناوله إلا هذه القصص. فيقول الشيخ الندوي مخاطباً له: أتأسف أن لا أرى في يدك إلا حكايات السنانير و الكلاب وغيرها من الحيوان. فرأيت أن أكتب لك و لامثالك – أبناء المسلمين – قصص الأنبياء و المرسلين عليهم صلاة الله و سلامه بأسلوب سهل يوافق سنّك و ذوقك.... و فعلت.

و قد قدّم الطبعة الأولى للجزء الأول من الكتاب الدكتور الفاضل الشيخ أحمد الشرباصي، المدرس بالأزهر الشريف بالقاهرة. فيقول في المقدمة التي كتبها له: "لا شك أن تتابع هذه المجموعات من أخينا أبي الحسن سيؤلف ركناً كبيراً من مكتبة الأطفال المسلمين في الهند ممّا سيكون له أكبر الأثر في تثقيفهم ثقافة إسلامية عربية، تجعلهم أهلاً للنهوض بواجباتهم في حياتهم على الوجه القويم و الأسلوب الحكيم".

إن أساتذة اللغة، و العارفين بصناعة الكتابة يعرفون معرفة جيدة أنه من أصعب الأمور أن يأتي الكاتب – مهما بلغ الذروة من مهارة الكتابة – أن يأتي بكتاب يكون سهلاً على المبتدئين، بسيطاً في الكلمات و التعبيرات مع كونه واضح البیان و التعبير، تكون جملة قصيرة ساذجة و لا تكون طويلة معقدة فيصعب على الناشئ فهمها.

و شيخنا، المربي الكبير، الداعية الإسلامي المخلص، الأديب الإسلامي البارع الأستاذ المفضل، جاء بهذه المجموعة العظيمة، بعبارة جميلة قوينة الأسلوب محكمة النسخ.

و كما علم من مقممة الكتاب أن الهدف من هذه المجموعة امداد الشبيبة المسلمة بما تطمح إليه من غذاء روحيّ و عقلي يرضى العواطف و المشاعر و يهذب الاخلاق و الطبائع و ثانيا هو تمكين قواعد اللغة العربية في صدور الشبيبة حتى تكون وثيقة الصلة بلغة القرآن الكريم و لغة الحديث الشريف و لغة التاريخ الإسلامي في أغلب نواحيه.

فلغرض تحقيق هذا الهدف النبيل سلك المؤلف في تأليف هذه المجموعة طريقة سهلة، يبسط الحديث و يختار من الجمل أيسرها و أهونها لكيما يتفق و مستوى الاطفال الصغار الذين أهدى إليهم هذه المجموعة القصصية.

عندما نظرنا إلى المجموعة نظر الاعتبار و قرأناها قراءة متأنية، نجد فيها عدة خصائص و عددا من الميزات لا نجدها في أية مجموعة أخرى من قصص الاطفال مما يجعلها ممتازة و رائعة و بديعة.

أولاً: التكرار: نجد في عدة مواطن تكرار الكلمات و أحيانا تكرار الجمل. فمثلا يقول الشيخ في الجزء الاول: كان في هذه القرية بيت بيت كبير جدا. و كان في هذا البيت أصنام أصنام كثيرة جدا و سبب هذا التكرار، كما قلنا أن القصد من هذه القصص تعليم الاطفال، فعندما يتكلم الاطفال بعضهم مع بعض، يتكلم بكلام متقطع و يعيد الجمل و الكلمات و هكذا. فهذا هو الاسلوب الذي يلائم حديث الصغار الذين يقدم إليهم هذا الكتاب. و هناك سبب آخر و هو أن الغرض من ذلك تعليم اللغة. و تعليم اللغة يتطلب اعادة الكلمات و الجمل و تكرارها لترسخ في ذهن الطالب.

ثانيا: مراعاة نفسية الاطفال و صغر سنهم: إن الشيخ عندما يذكر في كتابه قصة نوح عليه السلام و يذكر صنعه السفينة و يبين كيف سخر الناس به

فيحكي سخريتهم بتعبير هو أقرب من التعبيرات التي يستعملها الاطفال فيما بينهم في مثل هذه المواقف. فلنر كيف يكتب: "ما هذا يا نوح؟ من متى صرت نجاراً؟ اما كنّا نقول لك لا تجلس إلى هؤلاء الاراذل؟ ولكنك ما سمعت كلامنا وجلست إلى النجارين و الحدابين فصرت نجاراً. و أين تمشى هذه السفينة يا نوح؟ إن امرك كله عجب. أ تمشي هذه في الرمل أم تصعد الجبل؟ البحر من هنا بعيد جداً. هل يحملها الجن، أم تجرّها الثيران؟"

و المواطن الآخر حيث نلاحظ مراعاته نفسية الاطفال و مراعاة صغر سنهم هو عند ذكر قصة يوسف عليه السلام و بيان خيانة امرأة العزيز و مراودتها يوسف عليه السلام على أمر شنيع، لم يذكر الشيخ ذلك الأمر الشنيع و اكتفى بـ "إنها دعتة إلى الخيانة".

ثالثاً: براعة اللغة: و على الرغم من أن هذه القصص تختصّ بالأطفال و كتبت خاصة لهم بلغة سهلة بسيطة، فإنها تحتوي، في غضوننا، حلاوة اللغة و عذوبة البيان. فإذا قرأناها قراءة متأنية نصادف مواطن حيث نجد أن البراعة اللغوية بلغت أوجها و العبارة مزخرفة و مسجعة بدون تكلف. و إليكم نبذة من تلك البراعات اللغوية: ففي موضع نرى كيف يتنوع في البيان "تعجّب هود من جرائنتهم و تأسف هود على سفاهتهم" و في موضع آخر يقول: "اعتنق الاطفال بالأمهات و دخل الناس الحجرات" و يقول: "الاطفال يبكون و النساء يصحن و الرجال يدعون و يصيحون" و يقول: "حزن شديد و اشتياق عظيم" و يقول: "يمشون على أرض الله و يكفرون بالله، يأكلون رزق الله و يشركون بالله". و أرجو منكم الاهتمام بهذه البراعة في التعبير البياني: "إن يوسف كان كبير النفس أبيعاً. إن يوسف كان كبير العقل ذكياً. و أرجوكم النظر في هذه العبارة

البليغة المزخرفة بالسجع المحمود: "جانت لهم السماء بالامطار، وجانت لهم الارض بالنبات و الأزهار و جانت لهم البساتين بالفواكه و الاثمار، و بارك الله لهم في الرزق و الأعمار".

رابعاً: فوائد تفسيرية و تاريخية: و يلاحظ القارئ المتأنّي في هذه المجموعة ميزة أخرى و هي كما ادّعى المؤلف في مقدمة الجزء الثاني بقوله: "و في ثنايا القصص و مطاويها فوائد تفسيرية و تاريخية و أجوبة عن أسئلة خفية قد يتناجى بها الضمير".

و بما أن تلك الفوائد التفسيرية و التاريخية و كذلك الأسئلة و الأجوبة لم يصرح بها الشيخ فعليّنا أن نبحت عنها و نفهمها. فنأتي أولاً على فوائد تفسيرية:

إنه يوجد في القرآن الكريم كثير من الكلمات هي غريبة للأطفال و صعب فهمها عليهم إمّا لعدم استعمالها هذه الايام أو ليست آخر. فالشيخ عند سياق القصة، يفسّر تلك الكلمات الغريبة بحيث يسهل على القارئ الصغير فهم القصة بدون انقطاع و بدون صعوبة.

فمثلاً كلمة "تفتؤ" في قوله تعالى: "تفتؤ تذكر يوسف" يقول الشيخ: وقالوا إنك لا تزال تذكر يوسف.

و مثلاً كلمة "سيارة" في قوله تعالى: "و جاءت سيارة، فأرسلوا واردهم، فأدلى بلوه" فسرها الشيخ بقوله: و كانت جماعة تسافر في هذه الغابة – و ترك كلمة السيارة لأنها لا تستعمل في هذه الايام في المعنى الذي أراده الله بها هذا المكان.

و مثلاً كلمة "أضغاث أحلام" إن هذه الكلمة أيضاً تتطلب الشرح والتفسير. فالشيخ فسرها، في سياق القصة بقوله: قالوا هذا ليس بشيء. إن النائم يرى أشياء كثيرة لا حقيقة لها (الخ) و هلمّ جراً.

و بجانب الكلمات المفردة إن الشيخ اهتم أيضاً بشرح الآيات التي تتطلب التفسير. فمثلاً آية: "أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار" لا يفهم القارئ الصغير ماذا أراد يوسف عليه السلام بالآرباب المتفرقين فبسط الشيخ شرحه ثمّ شرح المقارنة التي أراد يوسف فيقول: تقولون ربّ البرّ و ربّ البحر و ربّ الرزق و ربّ المطر. و نحن نقول الله ربّ العالمين.

و مثلاً قول الله عزّ و جلّ على لسان قوم نوح عليه السلام "لو كان خيراً ما سبقونا إليه" إن الآية، في بداية النظر صعب فهمها على القارئ الصغير فشرحها الشيخ بقوله: و قال الأغنياء: إن الذي يدعو إليه نوح ليس بحق و ليس بخير. لماذا؟ لأنّ جربنا أنا نحن السابقون في كل خير. لنا كل طيّب من الطعام، و لنا كل جميل من اللباس. و الناس في كلّ شيء لنا تبع. و أنّا رأينا أن الخير لا يخطئنا و لا يجاوزنا في المدينة فلو كان هذا الدين خيراً لاتانا قبل هؤلاء المساكين.

إنني لا أستطيع أن أذكر في هذه المقالة الوجيزة جميع تلك المواضع التي تثبت ما ادعاه المؤلف من تضمين فوائد تفسيرية في ثنايا القصص فلذلك أقتصر على مثالين و أتطرق إلى الدعوى الأخرى و هي تضمين فوائد تاريخية في سياق القصة.

في كثير من المواضع قام المؤلف بسرد خلفية تاريخية لآية قرآنية. فمثلاً عند بيان قصة يوسف عليه السلام أنه ذكر خلفية أسرته و كذلك عند بيان قصة

إبراهيم عليه السلام أنه ذكر أحوال أسرته و سفره إلى مكة و بيان زوجيه و ابنيه و بناء الكعبة، كما أنه حدّد مكان ديار شمود ببيان الحديث النبوي الشريف أنه في طريق الشام.

أما الأجوبة عن الأسئلة الخفية فهي أيضا في عدة مواضع. منها أنه يكتب في القصة: و أراد الله أن يكون هذا الرسول بشرا و أن يكون واحدا من الناس يعرفه الناس و يفهمون كلامه. فينتطرق السؤال إلى الذهن: لماذا يجب أن يكون الرسول بشرا من الإنسان؟ و لماذا لا يجوز أن يكون ملكا؟.... فيجيب الشيخ على ذلك السؤال المحتمل بقوله: و إذا كان الرسول ملكاً قال الناس: ما لنا و له. هو ملك و نحن بشر. نحن نأكل و نشرب. و لنا أهل و نريّة. فكيف نعبد الله؟

و في مكان آخر يردّ الشيخ على سؤال مقتر و هو لماذا لا يكون الرسول من الأغنياء - ردّ على هذا السؤال المحتمل بجواب مسكت: الله يعلم من يحمل رسالته.

و كذلك في قصة هود عليه السلام عندما ندّد الله ببناء قومه البيوت و القصور يجيب الشيخ على ذلك السؤال المحتمل أنه لماذا كان بناؤهم البيوت محلاً للاعتراض و الاستنكار، يجيب عليه بقوله: كانوا يبنون بيوتا و قصورا من غير حاجة. و الناس لا يحبون ما يأكلون و يلبسون. و كان الفقراء منهم لا يحبون بيتا يسكنون فيه. و بيوت الأغنياء لا ساكن فيها. - فبهذه العبارة يثبت الشيخ أنهم كانوا يبنون بيوتا بلا حاجة على سبيل الافتخار فقط.

و إنني كما كتبت، إن للمجموعة ثلاثة أجزاء. فالشيخ النبوي اهتم اهتمامه الكبير بالصغار في الجزأين الأولين و لم يقم بذلك الاهتمام في الجزء

الثالث الذي يشتمل على سيرة خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم فيقول هو بنفسه في مقدمة الجزء الثالث:

"لم أتقيد في هذا الكتاب بالالتزامات التي التزمتها في الأجزاء الأولى من "قصص النبيين للأطفال" من محاكاة أسلوب الأطفال و طبيعتهم و تكرار الكلمات و الجمل، و سهولة الالفاظ، و بسط القصة. فقد شبّه هؤلاء القراء الصغار عن طوقهم و تقدموا في ثقافتهم اللغوية و درجتهم العقلية، فأصبحوا قادرين على اساعة هذا الغذاء العلمي العقلي و التذوق لهذه القصة الرائعة لحياة أكبر إنسان و أشرف نبي".

فكان كما قال المؤلف: فإن الجزء الثالث أرفع مستوى من الجزئين الأول و الثاني من الناحية اللغوية، لا نجد فيه تكرارا و لا شرحا للكلمات الصعبة الغريبة و لا بسطا يناسب الطفل و يملّ الكبير.

و مع كل ذلك إن الشيء الذي يلاحظه القارئ في الجزء الثالث - الذي يشتمل على السيرة النبوية - عقيدته الصافية و إيمانه الراسخ و حبه للإسلام و المسلمين و حرصه على تعليم أبناء المسلمين بالتعاليم الإسلامية و تثقيفهم و تربيتهم بثقافة إيمانية و آداب قرآنية و حبّه للنبيّ و سنتّه و محاولته أن تعم الأخلاق النبوية معشر المسلمين من خلال كتاباته، و ما إلى ذلك.

و في الأخير أن أختمه بمسك الختام: فأنقل ما قاله علامة عصره مفسّر القرآن و مؤلف "في ظلال القرآن" الأستاذ الفاضل السيد سيد قطب الشهيد رحمه الله عن الشيخ و كتابه قصص النبيين:

"و لقد قرأت الكثير من كتب الأطفال بما في ذلك قصص الانبياء عليهم الصلاة و السلام و شاركت في تأليف مجموعة القصص الديني للأطفال في

مصر مأخوذاً كذلك من القرآن الكريم و لكني أشهد في غير مجاملة أن عمل السيد أبي الحسن في هذه القصة التي بين يديّ جاء أكمل من هذا كله. و ذلك بما احتوى من توجيهات دقيقة و إيضاحات كاشفة لمرامي القصة و حوائثها و مواقفها و من تعليقات داخلية في ثنايا القصة، و كلّها توحى بحقائق إيمانية ذات خطر حين تستقر في قلوب الصغار أو الكبار. جزى الله السيد أبا الحسن و زاده توفيقاً".



دراسة في كتاب "المسلمون في الهند"

بقلم: د/ حبيب الله خان

إن العلامة أبا الحسن علي الحسيني الندوي لقد بذّ و تخصص، في الدراسات الإسلامية و العربية و التاريخية و هو صغير، و أنجز فيها كتباً و أبحاثاً و دراسات مهمةً بعدد هائل، إضافة إلى اهتمامه بأحوال المسلمين داخل الهند و خارجها، و بأمور الدعوة و تراث الأمة الذي تجنّد له طوال عمره باحثاً و منقّباً و محققاً حتى وافاه الأجل في ٣١ ديسمبر عام ١٩٩٩م، و في هذا التاريخ لقد فقدنا، و فقد العالم معنا، عالماً ربانياً، داعياً مخلصاً، كاتباً بارزاً، إنساناً عظيماً، أكرمّه الله سبحانه و تعالى بشعبية كبيرة ليست في الهند فحسب و إنما في البلدان الإسلامية و العربية قاطبةً، نستشهد على ذلك بالانطباعات الواردة في رسائل العزاء، حيث وضعه الكتاب العرب في مصاف أئمة السلوك الإسلامي من أمثال الحسن البصري و الفضيل بن عياض و عبد القادر الجيلاني رحمهم الله رحمةً واسعة (١)، و بالجملة أنه كان مصداقاً لقول الشاعر الإسلامي العلامة محمد إقبال رحمه الله تعالى:

پرے ہے چرخ نیلے قام سے منزل مسماں کی
ستارے جس کی گردِ راہ ہوں وہ کارواں تو ہے

و ما من شيءٍ لقد كان العلامة رحمه الله تعالى قافلةً في رجل، ترك وراءه
غباراً من النجوم و من هذه النجوم كتابه "المسلمون في الهند" الذي كُلِّفْتُ أنا

بدراسته، و الآن أتجاسر على أن أقدم أمامكم حصيلة الدراسة المتواضعة التي خرجتُ بها، لقد تناولتُ لغرض هذه الدراسة، الطبعة الثالثة للكتاب المذكور التي قدّم لها فضيلة الشيخ مولانا محمد رابع الندوي، أمين عام ندوة العلماء الحالي، أن هذه الطبعة خرجت مع بعض الإضافات الهامة التي لا توجد في الطبعتين السابقتين، يضمّ الكتاب بين دفتيه ٢٧٠ صفحة، و يحتوي على مقجمة قيّمة من المؤلف و ١٤ مقالة متنوعة، بعضها أحاديث المؤلف عن جوانب دينية و علمية و حضارية من حياة المسلمين التي أنبعت من إذاعة عموم الهند، وبعضها مقالات مهمة دبّجها المؤلف باللغة الأربية ثم عربّها فضيلة الشيخ المرحوم محمد الحسني، و بعضها كلمات مهمة ألقاها المؤلف بالمناسبات المختلفة و كل هذه المواضيع تمتّ إلى مسلمي الهند بصلة وثيقة، و خلال دراستي الاستقصائية لهذا الكتاب وجدتُ أن هذا الكتاب و لو أنه صغير في الحجم ولكنه كبير في المحتوى و المضمون، إن أهميّة أيّ كتاب و قيمته يتوقّف على لماذا وُضِعَ ذلك الكتاب؟ ثم ماذا كُتِبَ فيه؟ و بعد ذلك من وضعه؟ و إذا أردنا أن نقيّم هذا الكتاب بهذا المنظور، لوجدنا أن المؤلف المرحوم وضع هذا الكتاب لغرض نبيل، و ليسدّ به عوزا كبيرا لمسه في بداية الخمسينات من القرن الماضي، خلال جولته في الشرق الأوسط التي شملت المملكة العربية السعودية و مصر و السودان و سوريا و فلسطين، حيث كان يواجه أسئلة مُدهشة في كلّ حلّه و ترّ حاله عن المسلمين الهنود، مثل كم عدد المسلمين في الهند؟ هل يوجد فيها المدارس و المساجد؟ و هل يوجد فيها من يعرف اللغة العربية و يُحسن قراءة القرآن الكريم؟ و غيرها من الأسئلة التي هزّت كيانه من الداخل، و أحرزته أيما حزن، و أخيراً حملته على القيام بسدّ هذه الفجوة الإعلامية التي كانت تحول بين الشعبين، المؤلف بنفسه يقول: "إن من الجفاء أن تبقى هذه البلاد الغنية برجالها و أعمالها و ماضيها و حاضرها مجهولة عند أصدقائها في الخارج، مطمورة في صفحات التاريخ، لكنّ التبعة في ذلك على ابنائها قبل أن

عدد ممتاز

تكون على أصدقائها، لأنهم فرّطوا في تقديم هذه البلاد، و ما تمتاز به من فضل و علم و حياة و نشاط، إلى الناطقين بلغة الضاد، و انطووا على نفوسهم و عاشوا في العزلة عن العالم" (٢).

و يقول المؤلف في مقدمة الكتاب: "أقدم إلى إخواني في الشرق العربي هذا الكتاب، يتحدث عن الهند، و عن إخوانهم فيها قديماً و حديثاً، و يتناول هذا الحديث نواحي شتى في الحياة العلمية و الاجتماعية و الدينية، و عما أضافه المسلمون إلى ثروة الهند منذ دخولها و ما أدخلوا عليها من إصلاحات و تجديدات في مختلف نواحي الحياة، و عما أنتجه المسلمون في الهند في العلوم الإسلامية، و ما زادوا إلى تراثها، و من نبغ فيها من العلماء الكبار و المؤلفين العظام، و عن مظاهر نشاط المسلمين العلمي و الديني، و مراكزه الكبيرة في العصر الحاضر، و عن خصائص هذا الشعب و طبيعته و شخصيته و عن ماضيه و حاضره، و عن قضايا الرئيسية و مشكلاته، عسى أن يكون حلقة - ظلت مفقودة زمناً طويلاً - في سلسلة تنوير الرأي العام و التزويد بالمعلومات الصحيحة، و في سبيل التعارف الإسلامي.

و يحملني على تقديم هذا الكتاب ايضاً أننا نلاحظ أن كثيراً من أقطاب السياسة و الثقافة و رجالات العالم الإسلامي و الشرق العربي يزورون هذه البلاد كل عام و يقضون فيها ما شاء الله من الوقت، و لا يهتمهم أن يتصلوا بإخوانهم المسلمين - الذين أسهموا في بناء الحضارة و الثقافة الإسلاميتين العربيتين بسخاء و جدارة - و أن يعرفوا أوضاعهم السياسية و الثقافية و الدينية و ما يمثلونه أو يستطيعون أن يمثلوه من دور في حضارة هذه البلاد و حضارة العالم، و ما لهم من قضايا و مشكلات يعالجونها، كأنها بلاد - كأوروبا و اليابان - ليس فيها شعب مسلم، و ينصرفون إلى بلادهم لا يعرفون عن الشعب الإسلامي في الهند إلا معلومات ضئيلة سطحية مبعثرة، و قد يعرفون عن البونيين

و الجينيين أكثر مما يعرفونه عن المسلمين الذين يشاركونهم في العقيدة و الثقافة و الحضارة، و الذين كانوا بناء الهند الجديدة و صانعيها، و الذين هم من أغنى شعوب العالم علماً و إنتاجاً و حكماً و إدارة و آثاراً، و لا يزالون مصدر قوة و أمل^(٣) " إن هذا الاقتباس إن يدلّ على شيء فإنه يدلّ على الشعور المرير الذي شعر به المؤلف المرحوم قبل وضع هذا الكتاب و الحاجة الماسة التي حنت به إلى وضعه، أن هذا الكتاب الذي يتألف من ١٤ مقالة، و هي "دور المسلمين في حضارة الهند" و "تراث المسلمين العلمي في الهند، و عنايتهم باللغة العربية" و "نوابغ الشعب الهندي" و "تأثير اللغة العربية في اللغات الهندية" و "الحضارة الإسلامية في الهند" و "الحركة العلمية القديمة في الهند، مراكزها و مزاياها" و "مزايا منهج التعليم القديم" و "مراكز العلم و الثقافة الإسلامية في الهند" و "الصوفية في الهند و تأثيرهم في المجتمع" و "المسلمون في الهند شعب ممتاز" و "الحور الذي قام به المسلمون في تحرير الهند" و "مشكلات الشعب الإسلامي الهندي" و "شخصية الشعب المسلم" و "شعب يقرر و يعاهد الله" هذه هي المقالات القيمة التي يتألف منها الكتاب، تصلح فيه كلّ مقالة أن تكون عنوان كتاب مستقل عن الموضوع لو لم يختار المؤلف المرحوم أسلوب الإيجاز في تقديم المعلومات، و بعبارة أخرى أن هذا الكتاب يفتح ١٤ نافذة على التاريخ الحضاري و الثقافي لمسلمي الهند، اسمحوا لي - أيها الاساتذة الكرام - أن اتجول معكم قليلاً لنرى بمنتهى الإيجاز، على بعض ما تفتح عليه هذه النوافذ؟

إن نافذة من هذه النوافذ تفتح على "دور المسلمين في حضارة الهند" و تقدم لنا معلومات قيّمة و موجزة عن دور المسلمين في إثراء الحضارة الهندية عن طريق تقديم أفكار جديدة لم تكن مألوفة في الهند، و هي فكرة التوحيد الإسلامي النقي و المساواة الإنسانية و الأخوة الإسلامية و احترام المرأة و الاعتراف بحقوقها و كرامتها و علوم جديدة و النظافة الزائدة و خدمات

طبية و إحياء صلة الهند بالعالم الخارجي و إيجاد الوحدة السياسية و إيجاد لغة رسمية و إدارية و تطوير لغات إقليمية و تجديد التجارة عن طريق البحار، هذه هي هبات الإسلام للشعب الهندي، و لقد اعترف بها برحاب الصدر المثقفون في كتبهم منهم: K. M. Panikkar في كتابه "A Survey of Indian History" و بانديت جواهر لال نهرو أول رئيس وزراء الهند في كتابه "Discovery of India" و الدكتور برنير في "مذكرة رحلته" و غوستاف لوبون في كتابه "حضارة الهند" و Pattabhai Sita Ramyya في كلمته أمام المؤتمر الهندي و W.W. Hunter في كتابه "Indian Muslims" و N. N. Mehta في كتابه "Indian Civilisation and Islam" و جادو ناتة سركار في عدة مقالاته عن "الإسلام في الهند".

و الثانية تفتح على "تراث العلماء المسلمين في الهند و عنايتهم باللغة العربية" لقد سلّط المؤلف المرحوم الضوء الكاشف على قائمة طويلة من أمهات الكتب و مؤلفيها من العلماء المسلمين الهنود الذين قدّموا خدمات جليلة في حقل القرآن الكريم و الأحاديث النبوية الشريفة و الفقه و اللغة العربية و القواميس العربية، نذكر منهم البعض على سبيل المثال و هم الإمام حسن بن محمد الصفاني اللاهوري و الشيخ محمد طاهر البتني و العلامة مرتضى البلغرامي و الشيخ عبد الحي اللكهنوي و مولانا أشرف علي التهانوي و العلامة عبد الحي حسني و العلامة شبلي النعماني و العلامة السيد سليمان الندوي و الشيخ مناظر حسن الكيلاني و الشيخ حميد الدين الفراهي و مولانا فيض الحسن السهارن بوري حتى الدكتور عبد العزيز الميمني، كما ذكر بإيجاز دور المجلات العربية الصادرة من الهند و منها مجلة البيان و الجامعة و الضياء و البعث الإسلامي و الرائد و صوت الأمة و الكفاح و الدعوة و دعوة الحق و الداعي وغيرها من المجلات.

و على هذا الغرار تحتوي النوافذ الأخرى أيضا على معلومات وفيرة لا غنى عنها لكل من يريد الوقوف على تاريخ المسلمين في الهند، و لا يفوتني أن أنكر أن الذين يطالعون مؤلفات العلامة المرحوم يدركون جيداً بأنه أولى اهتماماً كبيراً بحضارة المسلمين الهنود و ثقافتهم و آدابهم و مؤسساتهم العلمية و نشاطاتهم الدعوية و إنتاجاتهم الأدبية، و وضع عدداً وجيهاً من المؤلفات حول هذا الموضوع و السير الذاتية، و لولا جهوده لما عرف الجيل الحالي الكثير عن أسلافه و مآثرهم الخالدة، فإن كتابه "المسلمون في الهند" يعدّ جزءاً مهماً من هذه السلسلة، جمع فيه المؤلف كل ما أراد أن يقدمه إلى العالم العربي بأسلوب علمي بحت، و مما يزيد من قيمة الكتاب هو حرصه على أن يعزو كل نص أو فكرة إلى المصدر الذي استقى منه ليكون الكتاب مصوراً للأمانة العلمية، و حرصه الشديد على انتهاز أسلوب الإيجاز السليم الذي صعبٌ للغاية و لا يمارسه أحدٌ سوى الكتاب المقتردين، ذات مرة قال قائل لمولانا أبي الكلام آزاد، في هذه الأيام نقرأ افتتاحيات طويلة في مجلة الهلال، فرد عليه مولانا قائلاً: "لا أجد وقتاً كافياً لاكتبها بالإيجاز" و هذا هو الإيجاز الذي اتخذ منه الشيخ المرحوم أسلوباً لكتابه "المسلمون في الهند" الذي لقي قبولاً واسعاً لدى الأوساط العلمية في البلدان العربية، و تُرجم إلى اللغات العديدة منها الإنجليزية و الأربية، فإنني لا أعتبر هذا الكتاب هدية قيّمة من الشيخ المرحوم للعالم العربي بل أعتبره فرض الكفاية الذي أدّاه خيرُ أنباء الهند في العصر الحاضر، جزاه الله عنا و عن المسلمين جميعاً خير جزاء، و أسكنه في فصيح جنّاته.

دراسة تحليلية "لروائع إقبال" للشيخ الندوي

بقلم: د/ عبد الماجد القاضي

كان الشيخ الندوي أنسب من يتصدى لمهمة ترجمة إقبال إلى العربية لعلو كعبه في الآداب العربية ورسوخ قدمه في الفارسية و آدابها و طول باعه في الثقافة الأربية و إطلاعه المباشر على جل مصادر إقبال و الانسجام الفكري بينه و بين الشاعر.

تربى الشيخ الندوي في بيئة الثقافة و الأدب و المعرفة و انحدر من أسرة عريقة ذات جذور ضاربة في العلم و الأدب حيث كان والده العلامة عبد الحي الحسني صاحب "الإعلام بما في الهند من اعلام" أديباً و مؤرخاً و عالماً كبيراً و أمه كانت سيدة ذات فضل و ثقافة عالية و كانت شاعرة قبيرة صاحبة ديوان باللغة الأربية. و بفضل هذا الجو التربوي الملائم نشأ على حب العلم و تطلع إلى الأدب و المعرفة في وقت مبكر جدا، و انطبعت على مرآة قلبه الصافية أناشيد إقبال التي تلهف إليها صغيرا و وعاماً كبيراً و وجد نفسه مدفوعاً إلى هذا الشاعر العبقرى و مولعاً بشخصيته الفذة، و شاءت الأقدار أن يحظى بلقياه مرتين و ينظر إليه و يسمع منه و بذلك كان سنده متصلأ و حديثه موصولاً به.

أقبل الشيخ الندوي على إقبال لميزاته المتفردة التي اكتسبت شخصيته قوة وجاذبية خاصة منها إيمانه الراسخ بخلود الرسالة المحمدية وصلاحها المطلق عن قيود الزمان و المكان. يقول الشيخ عن صلته بإقبال:

"إن أعظم ما حملني على الإعجاب بشعره هو الطموح و الحب و الإيمان، و قد تجلى هذا المزيج الجميل في شعره و في رسالته أعظم مما تجلى في شعر معاصر و رائيت نفسي قد طبعت على الطموح و الحب و الإيمان و هي تندفع اندفاعاً قوياً إلى كل أدب و رسالة يبعثان الطموح و سمو النفس و بعد النظر و الحرص على سيادة الإسلام و تسخير هذا يكون لصالحه و السيطرة على النفس و الأفاق و يغذيان الحب و العاطفة و يبعثان الإيمان بالله و الإيمان بمحمد صلى الله عليه و سلم و بعبقريته سيرته و خلود رسالته و عموم إمامته للأجيال البشرية كلها" (١)

و نجد آثار هذا الإعجاب في غضون مؤلفاته حيث يكثر الإستشهاد به و لاسيما فيما يتعلق بالحضارة الغربية و الفلسفات المادية و المذاهب الفكرية الحديثة.

منهج العلامة الندوي في الترجمة:

تصفح الشيخ الندوي دواوين إقبال الأردية و الفارسية ليختار منها باقات يقدمها إلى العرب، و أراد أن ينتقي من بنات فكره أقواها صلة بالعرب و ألقها علاقة بوحى المواقف التي وقفتها الأمة العربية في ماضيها و حاضرها. ليتسنى له استنهاض همهم و تنكيرهم بالدور المرتقب منهم.

و سار الشيخ منهاجاً جديداً في ترجمة شعر إقبال و فكره فاستقاهما و وعاهما حتى حلاً في سويداء قلبه و قرارة وجدانه، و بدأ صياغة المفاهيم

الفكرية و الصور الفنية بأسلوبه الأدبي القوي، و احتفظ لنفسه حق التصرف في الترتيب و التنسيق حيث يتم نقل المضمون الشعري و الصورة الفنية بأقرب عبارة و اللفظ إشارة، و ربما تطلب النص تفسيراً لبعض الرموز التاريخية فينبسط الشيخ فيها ليتقشع غموضها و تتضح دلالتها.

و على هذه الشاكلة تناول الوحدات الشعرية بصفة مستقلة و صاغها حسب هذه الخطة بدل أن يقابل النص بالنص و يتبع منهج الترجمة المتقيدة، فجاءت المواضيع مبنية و مترابطة بنظام و منطقية و منهجية و متماسكة من النواحي الفكرية و الفنية، و زاد الأسلوب روعة و قوة أنه يسير على خط واحد مع إقبال على المستويين الشعري و العاطفي و يشاطره همومه و مشاعره تجاه القضايا المطروحة على ساحة الشعر و الفن و لذلك نجد أن البناء الفني في "روائع إقبال" جاء على نمط آخر حيث تزوج فيه أصالة العواطف مع ما تنعكس فيه بواعث الشوق التي سجلها المترجم عفو البديهة و يمكن القول بأن هذه الروائع جاءت وليدة تجربتين، التجربة الفنية الأولى التي مرّ بها إقبال و التجربة الشعورية الثانية التي عاشها المترجم خلال عملية الصياغة الثانية.

و يكاد يكون نثره الفني في "الروائع" أشعر من كثير من المنظومات الشعرية لقوته و جريانه مع السجية، و نرى المترجم هنا يزيح أستار اللفظ و يخوض غمار المعاني ليصل إلى ما وراء طبيعة اللفظ فيستلهم مباشرة من مصادر الشعور و أغوار التجارب التي لا يستطيع اللفظ أن يستوعبها و يصورها بدقة لأنه إنما يلمع إليها و لا يتعدى من الإشارة الخاطفة إلى الدلالة الواضحة. و هنا يحصل الانسجام على محيط التجربة الشعورية و تتصل أسباب المترجم بإقبال على مستوى المشاعر فينفعل معها و يتفاعل و تتلاشى الحدود التي تفصل بين القدر الذي استوحاه من إقبال و بين ما تلقاه شعوره من وحي

الخواطر و المشاعر الذاتية، و في نهاية العملية يأتي هذا المزيج الذي يمتاز بالأصالة الذاتية جنباً بجنب مع الموضوعية التي تمثل في نقل شعر إقبال بدقة و أمانة. و هذه العملية الشبه الكيمياوية على المستوى الشعوري – إن صح التعبير – تكاد تخرج هذا العمل الفني من زمرة أعمال الترجمة إلى فئة الإنتاجات الإبداعية.

تنقسم محتويات "روائع إقبال" إلى ثلاثة أنواع:

أولاً : المقالات التي تناولت شخصية إقبال بالبحث و الدراسة بصفة عمومية، و اشتملت على الجوانب البارزة من حياته و آثاره و الإنطباعات الشخصية عنه.

و هي : (١) العوامل التي كونت شخصية محمد إقبال (٢) شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال (٣) صلتى بمحمد إقبال.

ثانياً: الدراسات النظرية، و هي أبحاث علمية و أدبية تتركز حول نقاط معينة من مميزات شعر إقبال و آراءه و نظرياته، و التزم فيها المؤلف بالجانب الموضوعي حيث جمع من شتات شعره ما يدور حول تلك النقاط المعنية بالذات، و انتقى من دواوينه القطعات الشعرية التي تؤلف وحدة موضوعية خاصة، و قد ترجم هذه القطعات ليستشهد بها في إبراز جوانب فكرية من شعر إقبال، و جاءت في ثنايا الحديث سرداً و استدلالاً، و يغلب على هذه الأبحاث الطابع الأدبي و الإنشائي. و من هذه الأبحاث:

- ١ - الإنسان الكامل في نظر محمد إقبال ٢ - مكان المسلم في الوجود
- ٣ - نظرة محمد إقبال إلى نظام التعليم العصري و مراكزه ٤ - الحضارة الغربية و التربية الغربية ٥ - الحقائق التاريخية في شعر إقبال.

ثالثاً: سائر المواضيع ماعدا الدراسات المذكورة آنفاً عبارة عن تراجم وحدات شعرية متسلسلة و منظومات مستقلة، و تمتاز هذه التراجم بالوضوح و التسلسل الموضوعي و التحرر من التعقيد و الإلتواء اللذان نشاهدتهما في كثير من تراجم الشعر، و تكشف دراستها التحليلية المقارنة أن نجاحها يعود إلى سببين:

أولاً : التزام الشيخ الندوي بتمهيد الجو الملائم و التوطية الوجدانية التي تضمن خلق الظروف المواتية للاستجابة الفنية فوضع التراجم في سياقها الصحيح بعد مداخل الحديث الضافية و استعراض الخلفيات. و قد كانت لهذا الأسلوب آثار بعيدة المدى في إعادة الأمور إلى نصابها و إتاحة فرص التأمل و التدنوق الفني.

ثانياً: اختار الشيخ خطة متداخلة في الترجمة فجمع بين الترجمة الوصفية غير المباشرة و بين الترجمة المباشرة، و نعني بالترجمة الوصفية أو غير المباشرة ما يتم فيها سرد الحديث عرضاً و حكاية بلسان المترجم و على غرار الرواية بالمعنى، و الترجمة الوصفية تتيح للمترجم فرصة التصرف و تفسح له مجال الحرية في التعبير. و قد تجلّى ذكاءه و توفيقه في هذا الأسلوب غير المباشر، و يبدو أنه اختار ذلك الأسلوب في قطعات "الروائع" التي لا تتابع في تدفقها و لا يمكن ملاحقتها لسرعتها الجارفة و قوتها العارمة، حيث يكون المشهد الفني – لشدة الحركة – أشبه شيء برعد و خطفة و برق و عند ذلك لا يكون توخي مسايرة إقبال و مجاراته قراراً مأمون العواقب و اللجوء إلى الوصف و التعبير غير المباشر أنسب و أوفق.

نقرأ على سبيل المثال قصيدة إقبال التي دمجها بعنوان "ساقى نامه" (٢)

ہوا خیمہ زن کاروان بہار	ارم بن گیا دامن کوہسار
مُگل و زمرس و سوسن و نستر	ہبید ازل لالہ خونیں کفن
جہاں چھپ گیا پردہ رنگ میں	لہو کی ہے گردش رگ سنگ میں
فضا نیلی نیلی، ہوا میں سرور	ٹھہرتے نہیں آشیاں میں طیور
وہ جوئے کہتاں اُچکتی ہوئی	اکٹی لچکتی، سرکتی ہوئی
اُچھلتی پھلتی سنھلتی ہوئی	بڑے بچ کھا کر نکلتی ہوئی
رُکے جب تو سل چیر دیتی ہے یہ	پھاڑوں کے دل چیر دیتی ہے یہ
ذرا دیکھ اے ساقی لالہ خام	سناتی ہے یہ زندگی کا پیام
پلاوے مجھے وہ مئے پردہ سوز	کہ آتی نہیں فصل مُگل روز روز
وہ مئے جس سے روشن ضمیر حیات	وہ مئے جس سے ہے سستی کائنات
وہ مئے جس میں ہے سوز و ساز ازل	وہ مئے جس سے کھلتا ہے راز ازل
اٹھا ساقیا پردہ اس راز سے	لڑا دے مولے کو شہباز سے

و ترجمہا الشیخ الندوی بعنوان "حدیث الربیع" یقول:

"خیم السلطان الربیع، و انتشرت جنوده فی رحاب الصحراء و اودية الجبال و قامت دولة الزهور و الرياحین و دبت الحیاة إلى الصخرات و الحجارة حتی کانت تنطق و تنطلق، و غشیت العالم سحابة من المرح و السرور، حتی اُبت الطیور أن تستقر فی اُوکارها مرحاً و انطلقت عیون الجبال تمیس و تنساب کالحیات فی الصعید، تدب أحياناً و تجري برفق و هدوء، و تتدفق أخرى و تجري بسرعة و قوة، و إذا حبسها حابس فلقت الصخور و الهضبات، و شقة طریقها إلى الامام و إنها بخیرها الدائم تغنی نشید الحیاة و ترعد حقائقها" و یقول:

"يصفى محمد إقبال - الشاعر الحكيم - إلى هذا النشيد، و يرى كيف تتلون هذه العين التي تدفقت من بعض الجبال و كيف تنعطف و تتعرج، و تتداول الرفق و القوة، و هي مع ذلك لا تفقد حقيقتها و حياتها، متسلسلة في الفيضان، مستمرة في الجريان و يرى فيها صورة للحياة التي تجري باستمرار و تظهر في أدوار و أطوار، و تلتزم الحركة و التطور، فما لها من قرار، و يستلهم الشاعر الحكيم من مناظر الربيع التي فتقت قريحته و أهاجت شاعريته، و من الدروس التي يلقيها نهر الحياة الفياض، معاني حكيمة، يهديها إلى الجيل الإسلامي الجديد، الذي هو مناط آماله، و يهيئه لاستقبال العصر الجديد الذي ظهرت تباشيره" (٢)

و قد جمع المؤلف بين الأسلوبين المباشر و غير المباشر في معظم التراجم، غير أنه تتجلى براعة يراعه و سيلانه أكثر و أقوى في الأسلوب الوصفى حيث يرسله على سجيته فيخلق بنثره الفني جواً شعرياً.

الخصائص الأسلوبية العامة:

تمتاز ترجمة الشيخ الندوي بالدقة و تتغلغل إلى أعماق المعاني، و يتسم أسلوبه بالطابع الأدبي الرائع فيه حيوية و حركة و إثارة و رنين و ترتج هذه الأصدا في محيط القلب و يلج دويها في إجاشة العواطف، و تدق أبواب الوجدان بصفة متتابعة و تلقى الحظ الأوفر من الاستجابة و التأثير.

و الدكتور صلاح الدين الذي أعد أطروحته للدكتوراه "حول الإتجاه الإسلامي في شعر إقبال" في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر يقول عن ترجمة الشيخ الندوي:

"و الترجمة التي وجدتها طبق الأصل، قام بها السيد أبو الحسن الحسنى الندوي فهو أستاذنا و أستاذ أساتذتنا الكرام، و له من المنزلة في قلوبنا ما

يجعلنا نجله ونقدره ونحترم الترجمة التي قام بها، و تلك الترجمة نشرت في شكل كتاب بعنوان "روائع إقبال" و لهذا الكتاب مكانة مرموقة في الأوساط الأدبية و خير دليل على أن المؤلف كان موفقاً في فهم شعر إقبال و ترجمته هو قول الدكتور جاوید إقبال – ابن الشاعر محمد إقبال – عن هذا الكتاب "لقد عرض المؤلف في كتابه جوانب مختلفة من فكر محمد إقبال في أسلوب أكبر ظني أنه يوافق شعور محمد إقبال نفسه أو كان يؤثره لشرح أفكاره" (٤).

هوامش:

١ - روائع إقبال: ص ١٢

٢ - بال جبريل ص: ٣٤٣

٣ - روائع إقبال: ص ١٨٢ – ١٨٣

٤ - د/ صلاح الدين الاتجاه الإسلامي، ص ١٦



السيرة النبوية

لسماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي

بقلم: محمد فهمي اختر الندوي

لو سئل المرء المسلم عن أحب موضوعاته لديه و أثرها إطلاقاً لكان جوابه "السيرة النبوية" على صاحبها ألف ألف تحية، وذلك لأن السيرة النبوية هي الاسوة الحسنة لمن يرجو الله و اليوم الآخر، و هي ثاني المصدرين التشريعيين و أحد الأمرين الذين لن يضل من يتمسك بهما، و السيرة النبوية هي الوحي غير المتلو و النموذج العملي للإسلام، و هي المدرسة الأولى و الأخيرة التي يتربى فيها كل مسلم.

و كان من فضل الله على أمة صاحب هذه السيرة الطاهرة أن قيض لها من لم يتركوا من سيرته صلى الله عليه وسلم صغيرها و كبيرها دقيقةها و جليلها إلا و عتها قلوبهم و حفظتها صدورهم و تناقلتها ألسنتهم، حتى دونت في بطون الكتب، و انطلقا من أهمية هذه السيرة الفذة اعتنى بها المسلمون جيلاً بعد جيل في شرق الأرض و غربها و في لغات العالم قديمها و حديثها، و تناولها الكتاب بجوانبها المختلفة و بأساليب شتى، حتى أصبحت المؤلفات في السيرة النبوية تفوق العد و الحصر.

إن الكاتب المسلم يرى من سعادة نفسه و حسن حظه أن ينخرط في السلك الذّهبي لمؤلفي السيرة النبوية، و هذا الدافع في حد ذاته لمبرر كاف

لإسداء كتاب جديد إلى مكتبة السيرة النبوية، ولكن الباحث المتمرن على مواضيع السيرة مثل شخصية العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسيني النوي لم يكن يكفيه هذا الدافع الديني الوحيد فحسب عندما خاض هذا الموضوع الحبيب الأثير والمهم الخطير.

يعرف كل من له إلمام بحياة الشيخ النوي أنه كان في غاية من الحب لذات النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، فإنه كان فتح عينيه و عاش صباه في جو الحب النبوي و دراسة السيرة النبوية، ثم درس و قرأ أكثر و افضل ما كتب في السيرة، و عندما أمسك قلمه و بدأ يراعه يديج خواطره و أفكاره، فكانت مادة السيرة و روحها سائرة في مقالاته و محاضراته و مؤلفاته، يستهدى فيها بهديها و يستضيء بنورها و يستوحى من وحيها، يجعل منها سداها و لحمتها و جواهرها و قشرها، إنه يمهد "الطريق إلى المدينة" و يسلكها بكل شوق و حب و تقدير و أدب، إلى مدينة "النبي الخاتم"، و هو يحمل بين جنبيه قلباً استقر الحب النبوي في سويدانه و فكراً تغلغلت الرسالة النبوية في أحشائه.

بالرغم من هذا الاقتراب إلى موضوع السيرة النبوية لم يكن الشيخ النوي يرغب في تأليف السيرة النبوية بحكم الدافع الديني المحض، بل كان يعتبره وفق خصائصه و مواصفاته تحقيق حاجة عصرية و سد فجوة في الموضوع.

استخراجاً لهذه المواصفات نتوقف على مقدمة الشيخ النوي باعتبارها مدخلا لما أراد عرضه في مؤلفه.

إن الشيخ النوي في رحلته لدراسة السيرة النبوية بدأ يشعر بمواصفات يعتبرها مرتكزات أساسية و سمات خاصة لأي مؤلف على السيرة النبوية، و الشيخ يعيش في القرن العشرين، و لكل عصر أسلوبه و طبيعته و اقتضاءاته

وتحقيقاته، ومن هنا بدأ يشعر بمسئولية الحاجة إلى كتاب فيها يتصف بمواصفاته الذهنية، ولما تناول الموضوع فكانه قدم كتاباً متصفاً بتلك المواصفات و متحلياً بتلك الخصائص، ويمكن لنا تصنيف هذه المواصفات إلى قسمين، قسم يتعلق بانتقاء مادة السيرة، وقسم منها عن أسلوب عرضها وترتيبها، وفيما يلي نسلط بعض الأضواء على القسمين من المواصفات:

القسم الأول: انتقاء مادة السيرة

في انتقاء مادة السيرة ركز الشيخ الندوي على المواصفات التالية:

١ - الاعتماد على مصادر السيرة الأولى من كتب السيرة و الحديث، فكان أكثر اعتماده على كتب الصحاح و سيرة ابن هشام و زاد المعاد لابن قيم الجوزية و السيرة النبوية لابن كثير، و على أصح ما كتب و ألف في هذا الموضوع. (المقدمة ص ١٢)

٢ - التطابق بين مفردات السيرة و بين ما جاء في القرآن الكريم و السنة الصحيحة، لأن القرآن و السنة الصحيحة هما المصدران الصادقان، و هما المعياران للأخذ و الرد، فراعى هذا التطابق و لم يتبنى أسلوب حشد المعلومات في غير نقد و تمحيص. (المقدمة ص ٦)

٣ - التمشي مع المقررات الدينية من غير إخضاع السيرة للأهواء و الأغراض و للنظريات العلمية المتغيرة صباح مساء و للشبه و الاعتراضات التي يدفع إليها التعصب الديني أو الجهل العلمي أو الغرض السياسي، و من غير تقليد للاتجاهات العصرية و خضوع لكتابات المستشرقين و أقوال المشككين. (المقدمة ص ٧)

٤ - اعتماد زايد على النصوص الحرفية للحواث و الوقائع من السيرة و تركها تنطق بلسانها بما كان فعلا لا بما يراد لها أن يكون، و ذلك لان النصوص التاريخية للسيرة على قدر كبير من الاستيعاب لدقائق الحياة و تفاصيلها و ملامحها و قسماتها، فليس الامر فيها من الصعوبة و الغموض و الافتراض و القياس كما هو في سير الآخرين، و لذلك يقول الشيخ الندوي في أسلوبه الرائع: "السيرة النبوية غنية بجمالها و روعتها و سحرها على النفوس و العقول و وقعها منها موقع القبول من شفاعة شافع و تنليل حكيم و براعة أنيب، و جل ما يحتاج إليه المؤلف هو جمال العرض و حسن الترتيب و جودة التلخيص". (المقدمة ص٧)

٥ - الاستفادة مما كتب في هذا الموضوع في العصر القديم و العصر الحديث، و من المراجع الأجنبية التي توضح الكثير من السيرة و التاريخ المعاصر و تلقى ضوءا على الحكومات و المجتمعات المعاصر، ليأتي هذا الكتاب جامعا لخير ما قمنته المصادر القديمة من روايات موثقة أصيلة و لأحسن ما طرحته الدراسات الحديثة من تحاليل و مواقف و استنتاجات. (المقدمة ص ٨، ١٣، و مقال الدكتور عماد الدين خليل عن السيرة النبوية للشيخ أبي الحسن الندوي).

و لإدراك حجم المراجع القديمة و الحديثة التي استفاد منها المؤلف يكفي إلقاء نظرة على قائمة المراجع العربية و الأجنبية الملحقة بآخر الكتاب، هذه النظرة تكشف لنا عن أن المراجع العربية و الأربية المختارة يبلغ عددها إلى مائة و عشرين كتابا، و هي شاملة لموضوعات القرآن و كتب الحديث و كتب التفسير و كتب السيرة النبوية و كتب التاريخ و التراجم و الأخبار و تاريخ البلاد و الأهم و كتب الشريعة الإسلامية و الأديان و المذاهب و كتب المعاجم و كتب

الادب و المحاضرات و الموسوعات، كما يبلغ عدد المراجع الأجنبية باللغات الإنجليزية و الفرنسية إلى عشرين كتاباً. (٤٦٤ - ٤٧٢ ص).

القسم الثاني: أسلوب عرضها و ترتيبها

في أسلوب عرضها و ترتيبها و إخراجها في حلتها القشبية نرى خصائص تأليف الشيخ الندوي كما يلي:

١ - الكتابة في أسلوب عصري؛ ولعل هذا الوصف كان من أعلى دوافع التأليف على السيرة النبوية للشيخ الندوي، لما كان يرى من مسيس الحاجة إلى كتاب روعيت فيه عقلية الجيل الجديد و ذوقه و مستوى فهمه و نفسيته، و ما جد من طلبات و حاجات و أسلوب كتابي و منهج علمي، (المقدمة ص ١٢).

و تطبيقاً لعناصر الأسلوب الكتابي الحديدي ركز المؤلف على عرض وقائع السيرة بلغة سهلة واضحة و بأسلوب مؤثر رشيق و ترتيب زمني حسن، و ذكر محتويات الوقائع بالاستفادة من القديم الأصيل و الحديث المقارن، و من الكشف الحديثة و الخرائط و الممالك الجغرافية، ثم التزم فيها بتوثيق المعلومات من تثبيت المصادر و المراجع بأجزائها و صفحاتها و أحيانا بطبعاتها، كما اعتنى بشرح المفردات و تحديد الاعلام.

٢ - ترتيب مضامينها بالتسلسل الزمني للأحداث، الأمر الذي يعرض أمام القاري حياة صاحب السيرة منذ ولادته و نشأته و مراحل وقائعه و أحداثه بحيث تتجلى الحياة النبوية العطرة متمثلة في صباح مساء بالترتيب الطبيعي.

٣ - تصوير الظروف التي تلابس وقائع السيرة، لأن كثيراً من الحوادث التي يمر بها القاريء في السيرة لا يفهمها إلا إذا عرف الظروف الملائمة لها و طبيعة

أرضها وجغرافيتها و أعرافها و المعاملات الشائعة هناك، و لأن معطيات السيرة تتحلّى بالبُعدين المحلي و العالمي معاً، فإنها كما تتجاوز حدود الزمن و المكان فهي كذلك وليدة زمنها و جغرافيتها و ابنة بيئتها، و قد نجد المؤلف أنه خصص مساحة واسعة للإلقاء الضوء على البيئة المعاصرة من العصر الجاهلي إلى ما قبل البعثة و بعدها في مكة و المدينة، كما لم يفته التعريف بالحكومات المعاصرة و البلاد المجاورة عندما خاطب الرسول صلى الله عليه وسلم الملوك و الأمراء و دعاهم إلى الإيمان برسالته. (المقدمة ص ٩، ١٠)

٤ - الجمع بين الجانب العلمي و الجانب التربوي البلاغي، لأن السيرة النبوية ليست مجرد معلومات جافة فحسب، بل هي تشتمل على أكبر مقدار من القطع النابضة الدافقة بالحوية و التأثير، لتلعب دورها في تربية القاريء و تمكينه من التآسي بأسوة صاحب السيرة المباركة، و لاشك أن الضرورة التربوية من أهم أهداف كتابة السيرة النبوية. (المقدمة ص ١٤)

٥ - الجمع بين العقل و العاطفة، فلا يكفي أن يكون كاتب السيرة يتعامل من الخارج بالبحث العلمي الجاف و النقد التحليلي المجرد، بدون المشاركة الوجدانية و الانفعال بها و تنوقها، لأن الحياة النبوية ليست تجربة وضعية محضة، يتحتم لفهمها الانفصال منها، بل هي بالعكس لا يمكن إدراك أغوارها و الاقتراب من صميم أحداثها إلا بالمعايشة الوجدانية معها و الانمماج فيها، و قد جمع الشيخ الندوي بين صفحات كتابه و جنبات قلبه. (المقدمة ص ٧)

٦ - التقديم إلى المسلم و غير المسلم: من المعلوم أن صاحب السيرة كان مرسلأ إلى الناس كافة و رحمة للعالمين، فليست سيرته أسوة و هديأ للمسلمين فقط، بل هي كذلك لغيرهم أيضاً، و كما يقول الندوي: "ليس حق غير المسلمين

على هذه السيرة و حظهم فيها أقل من حق المسلمين الذين نشأوا في ظلال الإيمان و الإسلام، و الدواء حاجة المريض أكثر من حاجة السليم، و القنطرة يحتاج إليها من يعيش وراء النهر أكثر مما يحتاج إليها من يعيش دونه" (المقدمة ص ٨)

و نحن نرى أن الكتاب بمضمونه العالي و محتواه السامي و بأسلوبه العصري و منهجه العلمي جدير بتقييمه إلى كل مثقف منصف من المسلمين و غير المسلمين.

متصفاً بهذه المواصفات و متحلياً بهذه الخصائص و متبوءاً المكانة اللانقة المرموقة جاء الكتاب "السيرة النبوية" في حوالي خمسمائة صفحة أول مرة في عام ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ثم توالى بعدها الطباعات، و ترجمت إلى اللغة العربية و اللغة الانجليزية و غيرها من اللغات، و الكتاب كما نال قبولاً و حظوة لدى الأوساط العلمية كان حبيباً إلى مؤلفه الراحل أيضاً، يقول أستاذنا الشيخ البرفيسور سيد محمد إجتباء الندوي: "سالت سماحة الشيخ رحمه الله قبل وفاته بأربع و عشرين يوماً، و كان إذ ذاك في حرم ندوة العلماء (لكهنؤ) الهند: "أي مؤلفاتكم أحب إلى جنابكم"، فقال: "السيرة النبوية، و النبوة و الانبياء، و الطريق إلى المدينة، و الأركان الأربعة، و ماذا خسر العالم". (أبو الحسن علي الندوي، ص ١٠٦، طبع دار القلم).



المساهمون في هذا العدد

(١) الأستاذ السيد محمد الرابع الحسيني الندوي: أمين عام ندوة العلماء و نائب رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

(٢) د/١ يوسف القرضاوي: كاتب إسلامي بارز صاحب مؤلفات كثيرة

(٣) د/ عدنان علي رضا النحوي: شاعر كبير و عضو بارز لرابطة الادب الإسلامي العالمية

(٤) د/١ د عبد الرحمن مومن: أستاذ بقسم العلوم الاجتماعية بجامعة مومبائي

أبو مسعود أظهر الندوي: شاعر أردي و مترجم قدير

(٥) الشيخ ضياء الدين الإصلاحي: رئيس تحرير مجلة "معارف" الأربية الصادرة من دار المصنفين بأعظم كره الهند.

الأستاذ السيد محمود الحسن الندوي: منيع و مترجم في قسم اللغة العربية لإذاعة عموم الهند الخارجية سابقاً.

(٦) الشيخ وحيد الدين خان: كاتب و مفكر إسلامي معروف و رئيس تحرير مجلة "الرسالة" الأربية.

السيدة رضية سلطانه واحدي: حائزة على شهادة عالية في تطوير المناهج و ماجستير في اللغة و الأدب العربي.

(٧) الأستاذ أبو سحبان: أستاذ الحديث النبوي الشريف بدار العلوم ندوة العلماء لکناؤ

السيد آيس. آيه صديقي: خريج مدرسة الإصلاح بأعظم كره

(٨) الأستاذ واضح رشيد الندوي: أستاذ و عميد كلية الآداب بدار العلوم ندوة العلماء و

رئيس تحرير جريدة الرائد الصادرة بکناؤ.

(٩) الأستاذ الدكتور محمد راشد الندوي: أستاذ و رئيس قسم اللغة العربية بجامعة

علي كره الإسلامية سابقاً، الهند.

(١٠) د/ محمد ثناء الله الندوي: أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية بجامعة علي كره

الإسلامية.

(١١) د/ جمشيد أحمد: باحث بقسم اللغة العربية بجامعة علي كره الإسلامية.

(١٢) د/ عبد الحليم عويس: كاتب إسلامي معروف و خبير تربوي في مصر.

(١٣) الأستاذ محمد حسن بريغش: كاتب إسلامي قدير و عضو في رابطة الأدب

الإسلامي العالمية.

(١٤) الأستاذ الدكتور منجد مصطفى بهجت: كاتب و ناقد أدبي معروف.

(١٥) د/ عبد السلام آزادى: كاتب و لغوي شهير.

(١٦) الأستاذ بن عيسى باطاهر: أستاذ اللغة العربية في الإمارات العربية المتحدة.

(١٧) الأستاذ س. ضياء الحسن الندوي: عميد كلية اللغات و العلوم الإنسانية و أستاذ

اللغة العربية بالجامعة المحلية الإسلامية نيو دلهي و رئيس تحرير المجلة.

(١٨) د/ الحسن العربي رحمون: كاتب عربي شهير.

(١٩) د/ سعيد الأعظمي: أستاذ و مدير دار العلوم ندوة العلماء و رئيس تحرير مجلة

البعث الإسلامي.

المساهمون في هذا العدد

(٢٠) د/ سمير عبد الحميد إبراهيم: كاتب إسلامي و باحث في الأدبين العربي و الأردني.

(٢١) الأستاذ عميد الزمان الكيرانوي: رئيس المكتب الصحفي بسفارة المملكة العربية السعودية بدلهي سابقاً و رئيس تحرير مجلة "ترجمان دار العلوم" للآربية.

(٢٢) د/ محمد رجب البيومي: كاتب إسلامي قدير.

(٢٣) د/ محمد إجتباء الندوي: رئيس قسم اللغة العربية بجامعة كشمير و جامعة آله آباد سابقاً.

(٢٤) د/ زبير أحمد الفاروقي: رئيس قسم اللغة العربية بالجامعة الملوية الإسلامية الأسبق و رئيس تحرير مجلة "ثقافة الهند" سابقاً.

(٢٥) د/ شفيع أحمد خان الندوي: رئيس قسم اللغة العربية بالجامعة الملوية الإسلامية نيو دلهي.

(٢٦) د/ محمد أسلم الإصلاحي: أستاذ بمركز الدراسات العربية و الإفريقية بجامعة جواهر لال نهرو.

(٢٧) أنيس الرحمن الدهلوي: أستاذ اللغة العربية و رئيس القسم بكلية ذاكر حسين بدلهي.

(٢٨) د/ حبيب الله خان: أستاذ مساعد بقسم اللغة العربي بالجامعة الملوية الإسلامية بنيو دلهي.

(٢٩) عبد الماجد القاضي: أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية بالجامعة الملوية الإسلامية بنيو دلهي.

(٣٠) محمد فهيم اختر: باحث بالمجمع الفقهي بنيو دلهي.